

أحباب الله

دكتور

عبد العظيم بن بدوي الخلفي

دار
الكتاب المنير

أجاب الله

تأليف

عبد العظيم بن بدوى الخلفى



شركة علوم الحاسب

كمبيوتر ساينس

المركز الرئيسى : ٤٩ ش الحجاز - أمام دار المناسبات - مصر الجديدة

ت/ف: ٢٤٠٥٣٣٠ - ٦٣٩١٢٩٥ - ٦٣٩٠٦٣٣

مدينة نصر : ١ ش عبد الحكيم الرفاعى من عباس العقاد (أمام الحديقة الدولية)

ت/ف : ٦٧٠٢٢٦٣ - ٢٨٧٤٧١١

E-mail: info@compuscience.com.eg

www.compuscience.com.eg

حقوق الطبع محفوظة للناسر ، ولا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبة أو تصويره أو اختزان مادته العلمية بأية صورة دون موافقة كتابية من الناسر.

الطبة الأولى

٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

: ٢٠٠٣/١٨٥٦٠

: 977-5735-91-2

رقم الإيداع

I. S. B. N

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إِنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب] .

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

وبعد: فهذه هي ”الأربعون المنبرية (السادسة)“ خطبتُ بها في مسجدنا العامر مسجد النور بالشين مركز قطور، في الفترة من (١٤٢٠/٤/٣ هـ — الموافق ١٩٩٩/٧/١٦ م) إلى (١٤٢٠/١٢/٢٥ هـ — الموافق ٢٠٠٠/٣/٣١ م). وقد رأيتُ أن أبيضها وأقدمها للطبع عسى الله أن ينفع بها مقروءةً ومسموعةً،

وعسى قارئٌ كريم ينتفع بها أو أخٌ خطيبٌ يخطب بها فيكتب الله لي مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء .

وقد سميتُ هذه الأربعين : (أحباب الله) وذكرتُ فيها ما يحبه الله من الأقوال والأفعال التي إذا قام بها العبدُ كان من أحباب الله الذين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٥٤) [المائدة] . وذكرت أربعين صنفاً جوامع، وقد يكون تحت الصنف الواحد أصناف .

وقد قدّمتُ لها بمقدّمةٍ تكلمتُ فيها عن منزلة المحبةِ ومكانتها، وأسبابها وآثارها، وختمتها بخاتمةٍ تحضُّ على التشمير للتسابق في هذه المنزلة وبلوغ ما يمكن بلوغه منها. وأسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يرزقنا حبه، وحُبَّ من يُحبه، وحُبَّ كلِّ شيءٍ يقربنا إلى حبه .

كما أسأله سبحانه أن ينفع بهذه الأربعين السادسة من سلسلة ”الأربعون المنبرية“ وأن يكتب ليَ الأجر والثواب. إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

وأنبه القارئ الكريم أنني قد خرّجتُ الأحاديثَ كلّها وكتبتُ أمام كلِّ حديثٍ درجته من الصّحة والحسن، معتمداً في ذلك على كُتُبِ شيخنا العلامة الجليل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله رحمةً واسعةً ورفع درجته مع أهل السنة جميعاً وإمامهم محمد ﷺ .

وكتبه

عبد العظيم بن بدوي الخلفي (لقباً)

قبيل ظهر الثلاثاء ١٤٢١/٦/٧هـ

الموافق ٢٠٠٠/٩/٥م

وذلك بمنزلي الكائن بقريتي الشين /قطور /غربية.

أحباب الله

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾ [المائدة].

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنِ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ مَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ عِبَادًا مُخْلِصِينَ وَرَجَالًا صَادِقِينَ، قَدْ تَكَفَّلَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ بِهَدَايَتِهِمْ، وَوَعَدَ بِالْإِثْتِيَانِ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُ الْخَلْقِ أَوْصَافًا وَأَقْوَاهُمْ نَفُوسًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، أَجَلَ صِفَاتِهِمْ أَنَّ اللَّهَ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١)

فَالْمَحَبَّةُ الْمَتَبَادَلَةُ هِيَ الصِّلَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا يَتَنَافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا شَخْصُ الْعَامِلُونَ، وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَرُ السَّابِقُونَ، وَعَلَيْهَا تَفَانِي الْمَحْبُوتُونَ، وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرْوَحُ الْعَابِدُونَ، فَهِيَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ وَقِرَّةُ الْعَيُونَ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنَ حُرْمِهَا فَهُوَ مَنَ جَمَلَةُ الْأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنَ فَقْدُهُ فَهُوَ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنَ عَدَمُهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنَ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ، وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، الَّتِي مَتَى خَلَّتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ، تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بِالْغِيهَا، وَتَوْصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلٍ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا، وَهِيَ تَبَوُّهُمُ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا، وَهِيَ مَطَايَا الْقَوْمِ الَّتِي مَسَرَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا دَائِمًا إِلَى الْحَبِيبِ، وَطَرِيقُهُمُ الْأَقْوَمُ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ مَنَازِلَهُمُ الْأُولَى مِنْ قَرِيبٍ^(٢).

١- تفسير السعدي (٢/٣٠٧) .

٢- تهذيب مدارج السالكين (٥٠٩) .

وَحُبُّ اللَّهِ لِعَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُ إدْرَاكَ قِيَمَتِهِ إِلَّا مَنْ يَعْرِفَ اللَّهَ - سبحانه - بصفاته كما وصف بها نفسه، وإلا مَنْ وَجَدَ إيقَاعَ هذه الصفات في حِسِّهِ وَنَفْسِهِ وَشُعُورِهِ وَكَيُنُونَتِهِ كُلِّهَا.. أَجَلٌ لَا يَقْدِرُ حَقِيقَةَ هذا العطاء إلا الذي يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْمُعْطِي.. الذي يَعْرِفُ مَنْ هُوَ اللَّهُ.. مَنْ هُوَ صَانِعُ هذا الكونِ الهائل، وصانعُ الإنسانِ الذي يُلَخِّصُ الكونَ وهو جُرْمٌ صَغِيرٌ! مَنْ هُوَ فِي عَظَمَتِهِ. وَمَنْ هُوَ فِي قُدْرَتِهِ. وَمَنْ هُوَ فِي تَفَرُّدِهِ. وَمَنْ هُوَ فِي مَلَكُوتِهِ.. مَنْ هُوَ وَمَنْ هَذَا الْعَبْدُ الذي يَتَفَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهُ بِالْحُبِّ.. وَالْعَبْدُ مَنْ صَنَعَ يَدِيهِ - سبحانه - وهو الجليلُ العظيم، الحيُّ الدائم، الأزليُّ الأبديُّ، الأوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ.

وَحُبُّ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ نِعْمَةٌ لِهَذَا الْعَبْدِ لَا يُدْرِكُهَا كَذَلِكَ إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا. إِذَا كَانَ حُبُّ اللَّهِ لِعَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ أَمْرًا هَائِلًا عَظِيمًا. وَفَضْلًا غَامِرًا جَزِيلًا، فَإِنَّ إِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ بِهَدَايَتِهِ لِحُبِّهِ وَتَعْرِيفِهِ هَذَا الْمَذَاقَ الْجَمِيلَ الْفَرِيدَ، الذي لَا نَظِيرَ لَهُ فِي مَذَاقَاتِ الْحُبِّ كُلِّهَا وَلَا شَبِيهَ.. هُوَ إِنْعَامٌ هَائِلٌ عَظِيمٌ. وَفَضْلٌ غَامِرٌ جَزِيلٌ^(١). وَلِذَلِكَ خَتَمَتِ الْآيَةُ بِمَسْكِ الْخَتَامِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤) [المائدة].

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي يَجِبُ إِثْبَاتُهَا وَالْإِيمَانُ بِهَا دُونَ تَمَثُّلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَكْيِيفٍ، وَقَوْفًا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى].

وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَمْلُوءَانِ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذِكْرِ مَا يُحِبُّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) [البقرة]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) [البقرة] ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) [آل عمران] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٤) [الصف].

وفي السنّة: عن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا»^(١) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٢).

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأشجَّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(٣)

فنقول: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا وَيُبْغِضُ فَلَانًا، ويحب كذا من الأقوال والأعمال ويكره منها كذا وكذا.

وليس للحُبِّ من تعريف سوى الحُبِّ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا اشْتَدَّ وضوحُهُ لَا يُفْسَرُ بغير نفسه، كما قيل: وفَسَّرَ الماءَ بعد الجَهْدِ بالماء. ولا يصحُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّ حُبَّ اللَّهِ لِلْعَبْدِ إِرَادَةُ إِثَابَتِهِ، أَوْ إِرَادَةُ رَحْمَتِهِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، لِأَنَّ هَذَا مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

ولا يجوز تشبيه حُبِّ اللَّهِ لِلْعَبَادِ بِحُبِّ الْعِبَادِ، وَإِنَّمَا الْحُبُّ صِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَلِيقٌ بِجَلَالِهِ وَلَا تُشَبِّهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الرِّضَى وَالْغَضَبِ، وَالِاسْتَوَاءِ وَالنُّزُولِ، وَالِإِثْيَانِ وَالْمَجِيءِ، وَسَائِرِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ. وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي صِفَاتِ الذَّاتِ كَالْيَدِ وَالْعَيْنِ، وَالسَّاقِ وَالْقَدَمِ، نَوْْمٌ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ، وَلَا تَمَثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

فَنُتَبِّهُ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَتْبَعَهُ لِنَفْسِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، أَوْ فِيمَا صَحَّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَنَقَطَ الطَّمَعُ عَنْ إِدْرَاكِ الْكِيفِيَّةِ. وَنَنْزَعُ رَبَّنَا عَنْ مِثَابَةِ صِفَاتِ

١- متفق عليه: خ (٢/٩/٥٢٧)، م (١/٩٠/٨٩)، ن (١/٢٩٤ و ٢٩٣).

٢- متفق عليه: خ (١١/٢٠٦/٦٤٠٦)، م (٤/٢٠٧٢/٢٦٩٤)، ت (٥/١٧٥ و ١٧٤/٣٥٣٤)، ج (٢/١٢٥١/٣٨٠٦).

٣- م (٣/٢٤٧/٢٠٨٠)، ت (١/٤٨/-٢٥-١٧).

الخلق^(١) كما قال الإمام مالك في الاستواء: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول (أي: فهو معلوم)، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^(٢)، وكما قال الإمام ابن شهاب الزهري: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

هذا وإن لمحبة الله لعبده آثاراً :

منها: أن يُيسَّرَ له الأسباب، ويُهَوَّنَ عليه كلَّ عسير، ويُوفَّقَ لفعل الخيرات وترك المنكرات، وهذا معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»^(٣)

ومنها: أن يُلقِيَ اللهُ محبةً حبيبه في قلوب عباده، كما قال لموسى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(٣٩) [طه] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رَحْمَةً وَّذَاتًا رَّحِيمًا﴾^(٩٠) [مريم] أي محبةً في قلوب العباد، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(٤)

ومنها: أن يقبل الله منه اليسير من العمل، ويغفر له الكثير من الزلل، على حدِّ قول القائل :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ظَهَرَتْ حَسَنَاتُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

١- قاعدة في دراسة الأسماء والصفات. الشنقيطي .

٢- مختصر العلوم (١٣٢/١٤١).

٣ - خ(٣٤٠/٦٥٠٢ و ١١/٣٤١).

٤ - منفق عليه: خ(٧٤٨٥/١٣٤٦١)، م(٢٦٣٧/٢٠٣٠/٤).

وعلاماتُ القبولِ التوفيقُ لفعلِ الخيرِ دائماً، كما قيل: مِنْ علاماتِ قبولِ الحسنةِ الحسنَةُ بعدها.

ومن ثمراتها: مغفرةُ الذنوب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) [آل عمران] .

ومن ثمراتها مُعَاْفَةُ الحبيبِ من التعذيب، كما قال النبي ﷺ «وَاللَّهُ لَا يُلْقِي اللَّهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ» ^(١) وردَّ اللهُ تعالى على اليهود والنصارى ادَّعاءهم أنهم أحبابه فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ (١٨) [المائدة] .

أما محبةُ العبدِ لله تعالى فهي فرضٌ عَيْنٌ على جميع المخلوقين، لأنها بعينها حقيقةُ التوحيد، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ۚ إِنِّي بِمَا تَصِفُونَ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) [التوبة] فهذه الآيةُ أعظمُ دليلٍ على وجوب محبةِ الله ورسوله ﷺ، و تقديمها على محبةِ كلِّ شيءٍ ^(٢) فأصلُ المحبةِ لله عزَّ وجلَّ، وما سوى الله يجب أن يُحِبَّ الله إذا كان مما يُحِبُّه الله، ولذلك كان «أوثقُ عرى الإيمانِ الحبُّ في الله والبغضُ في الله» ^(٣) و «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» ^(٤) قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

١ - صحيح: [ص.ج: ٦٩٧٢]، ك (٤/١٧٧).

٢ - تفسير السعدي (٣/٢١٤) .

٣ - حسن: [ص.ج: ٢٥٣٦]، طب (١١/٢١٥/١١٥٣٧).

٤ - صحيح: [ص.د: ٣٩١٥]، د (١٢/٤٣٨/٤٦٥٥).

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة]

فلا يجوز للمؤمن الذي يُحبُّ الله ورسوله أن يُحبَّ ما لا يُحبُّه الله أيًّا كان. ولذلك ذمَّ الله أقواماً على حُبِّهم غيره كحُبِّه وتوعَّدهم بالعذاب فقال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾ [البقرة] وأخبر سبحانه أنهم سيندمون على هذه التسوية فقال تعالى: ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (١٤) وَجَنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)﴾ [الشعراء] وهم لم يسوؤهم ربُّ العالمين في الخلق والرُّبُوبية وإنما سوؤهم به في المحبة والتعظيم، وهذا هو العدل الذي قال الله فيه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)﴾ [الأنعام] أي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم.

ولمحبة العبد لله أسباب تجلبها وتوجبها، فمنها:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهيم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقربُ إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فإنها توصَّله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

الثالث: دوامُ ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.

الرابع: إيثارُ محابِّه على محابِّك عند غلبات الهوى، والتسليم إلى محابِّه، وإن صعبَ المرتقى .

الخامس: مُطالعةُ القلبِ لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة وميادينها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبُّهُ لا محالة.

السادس: مُشاهدةُ برِّهِ وإحسانِهِ وآلائِهِ، ونِعَمِهِ الباطنة والظاهرة. فإنها داعيةٌ إلى محبَّته .

السابع: وهو من أعجبها- انكسارُ القلبِ بكلِّيته بين يدي الله تعالى. وليس في التعبير عن هذا المعنى غيرُ الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوةُ به وقتَ النزولِ الإلهيِّ، لمناجاتِهِ وتلاوةِ كلامِهِ، والوقوفِ بالقلبِ والتأدُّبِ بأدبِ العبوديةِ بين يديه. ثم ختمَ ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مُجالسةُ المحبِّين الصادقين، والتقاطُ أطايبِ ثمراتِ كلامِهِم كما تُنتقى أطايبُ الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحةُ الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعةً لغيرك.

العاشر: مُباعدةُ كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عز وجلّ.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبُّون إلى منازل المحبَّة، ودخلوا على الحبيب. وملاكُ ذلك كلُّهُ أمران : استعدادُ الرُّوح لهذا الشأن، وانفتاحُ عَيْنِ البصيرة (١).

ولما كان ادِّعاءُ المحبَّةِ سهلاً امتحن اللهُ المُدَّعينَ وابتلاهم، وأمرهم بإقامة البينة وإثبات المحبَّة بالدليل والبرهان، فذكر في الآية التي معنا لمن يُحبُّهم ويُحبُّونه علامات:

الأولى والثانية: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فيجب أن يكون مُحِبُّ اللهِ متواضعاً للمؤمنين، لئِنَّ الجانبَ معهم، حَسَنَ المعاملةِ لهم، وأن

يكون شديداً على الكافرين المحاربين مترفعاً عليهم لا يجدون منه إلا العزّة والغلظة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٧٣) [التوبة]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٣) [التوبة] ومدح رسول الله ﷺ والمؤمنين فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢٩) [الفتح]

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» (١)

والعلامة الثالثة والرابعة: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩) [الأحزاب] وبذلك وصّى رسول الله ﷺ أبا ذر (٢) ومن العلامات: ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) [آل عمران].

فاتباع الرسول الأمين هو عنوان محبة الله رب العالمين، فمن لم يكن للرسول متبعاً لم يكن لله محباً. فنسأل الله تعالى أن يرزقنا الاتباع، وأن يجعلنا من الأحباب .

١- متفق عليه: خ(١١/٤٣٨/٦٠١١)، م(٤/١٩٩٩/٢٥٨٦).

٢- صحيح: [س.ص: ٢١٦٦]، حم(٨٧/١٩٩/١٩)، حب(٢٠٤١/٥٠٠)، طب(١٦٤٩/١٥٦/٢).

الصف الأول

التوابون

يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة].

في هذه الآية يخبرنا الله تعالى أَنَّ الصحابة سألوا رسول الله ﷺ ، فأفتاهم الله وأمر رسوله أن يخبرهم، مما يدلُّ على عناية اللطيف الخبير بهذه العصبية المؤمنة وأنهم عنده بمنزلة: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»^(١)

وفي هذه الآية فوائدٌ وآدابٌ يجب على المسلمين أن يتأدَّبوا بها:

منها: وجوبُ التعبير عما يُستحيى منه بألفاظٍ مهذَّبةٍ لا تجرح الحياء ولا تخدشه، حيث نهى الله تعالى عن الوطء في زمن الحيض بالأمر بالاعتزال فقال تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ (٢٢٢)﴾ [البقرة] وأذن في الوطء بعد الطهر بقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة] وكنى عن موضع الوطء بقوله سبحانه: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتَى شَيْئْتُمْ (٢٢٣)﴾ [البقرة].

ألفاظٌ كُلُّها طهر، وكلُّها عفة، وكلُّها نقاء، لا تثير غريزة، ولا تخدش حياء ومنها: وجوبُ اعتزال النساء في وقت الحيض، وأنَّ الإتيان في وقت الحيض حرام، شدَّد فيه النبي ﷺ حيث قال: «مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي

دُبِّرَهَا أَوْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ « (١)

والكفرُ يكون الكفرَ الأكبرَ الذي يضادُّ الإسلامَ في حقٍّ مَنْ أنكر حُرْمَةَ إتيان الحائض واعتقد حلَّه، فيكفر كفراً مخرجاً من الملةَ لأنَّه استحلَّ معلوماً من الدين حرمة بالضرورة .

ومن أتى حائضاً وهو يعتقد حرمةَ فيطلق عليه الكفر - ولا يخرج به من الإسلام - تنفيراً له عن هذا الفعل، وتخويفاً له منه، وهذا شأن كلِّ مَنْ استحلَّ المحرمات، لا بُدَّ من التفريق بين من استحلَّها بقلبه ومن استحلَّها بفعله مع اعتقاد حرمتها.

فمن غلبته نفسه الأمارة بالسوء فأتى حائضاً فعليه الكفارة، وهي تختلف باختلاف الوقت: فإن أتاها في أول أيام الحيض وقت فوران الدم فعليه دينار (وهو الجنيه الذهب)، وإن أتاها آخر أيام الحيض وقت الإدبار فعليه نصف دينار.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « فِي الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ قَالَ يَتَصَدَّقُ بِدِينَارٍ أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ » (٢)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِذَا أَصَابَهَا فِي أَوَّلِ الدَّمِ فَدِينَارٌ وَإِذَا أَصَابَهَا فِي انْقِطَاعِ الدَّمِ فَنِصْفُ دِينَارٍ « (٣)

ومنها: أنه يجوز للرجل أن يستمتع من امرأته الحائض بكل شيء سوى الوطء .

١ - صحيح [ص.ت: ١٣٥]، ت (١/٩٠/١٣٥)، ج (١/٢٠٩/٦٣٩)، د (٣٨٨٦/٣٩٨ و ٣٩٩/١٠).

٢ - صحيح [ص.د: ٢٣٧]، د (١/٤٤٥/٢٦١)، ن (١/١٥٣)، ج (١/٢١٠/٦٤٠).

٣ - صحيح موقوف [ص.د: ٢٣٨]، د (١/٤٤٩/٢٦٢).

ومنها: أنَّ الاعتزال مستمرٌّ إلى أن تغتسل ، وذلك لقوله تعالى :
﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ أي ينقطع الحيض ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي اغتسلن
﴿ فَاتَّوَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢٢٣) [البقرة].

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه العلاقة الزوجية سرٌّ من أعظم الأسرار ، لا
يجوز إفشاؤه ولا التحدث به :

عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند النبي ﷺ والرجال والنساء قعود فقال
ﷺ: "لعل رجلاً يقول ما فعله بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلته مع زوجها!
فأمر القوم .فقلت أي والله يا رسول الله! إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون . فقال
ﷺ: "لا تفعلوا، فإنما مثل ذلك كمثّل شيطانٍ لقي شيطانةً في الطريق فغشيها
والناس ينظرون" (١).

ولما كانت النفس أماراً بالسوء ،والإنسانُ ضعيفٌ أمام العلاقة الزوجية
والغريزة الجنسية وقد يتعدى حدودَ الله ويقع فيما نهى عنه الله أرشده الله إلى ما
يجب عليه حيث قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ (٢٢٢) [البقرة] والتَّوَّابُ هو كثير
الرجوع إلى الله تعالى،الذي يرجع إلى طاعة الله بعد معصيته، وإلى موافقة أمره
بعد مخالفته، فكلُّ ذنب يُبعد الإنسانَ عن الله، ويقطع صلته بمولاه، ففي الحديث
القدسي قال تعالى: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ
فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» (٢) والسعيد هو من إذا ضلَّ أناب، وإذا أذنب تاب ،فإن الله
تعالى قال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾ (١١٠) [النساء] .

١- صحيح: [آداب الزفاف: ٧٢]: حم (٢٣٧/٢٢٣ و ٢٢٤/١٦).

٢- م (٢٨٦٥/٢١٩٧ و ٢١٩٨/٤).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران ١٣٥).

والتوبة عقب الذنب واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها ولا التسويف بها، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء ١٧) «ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يندم عليها، ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الران على قلبه فلا يقبل المحو، ولذلك قال النبي ﷺ: «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»^(١) وقال لقمان لابنه: يا بني! لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة .

ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين :

«الأول: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو.

الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلةً للاشتغال بالمحو، ولذلك قيل إن أكثر صياح أهل النار واحسرتاه من سوف أهـ»^(٢)

فيا أيها المذنبُ بادر الموت واستبق الخيرات، و «اغتنم حياتك قبل موتك»^(٣) فإن الموت يأتي بغتة، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (القصص ٣٤) [لقمان]. فبادر بالتوبة، وعجل بالإجابة،

فإنك لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر.

١- حسن : [ص:ت. ١٩٨٧]، ت (٣/٢٣٩/٢٠٥٣).

٢- الإحياء ((٤/١٢)).

٣- صحيح: [ص:ج. ١٠٨٨]، ك (٤/٣٠٦).

واعلم أنَّ المفرطين في جنب الله سيندمون أشدَّ الندم عند الممات،
ويسألون الله الرجعة ليتداركوا ما فات، وهيئات هيهات، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ [المؤمنون] ولذا أمر
الله تعالى المسرفين في الذنوب والمعاصي بسرعة الإنابة وتعجيل الندم قال
تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا
لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم
مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ
يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ
أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً
فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ
الْكَافِرِينَ (٥٩)﴾ [الزمر].

وقد رغب الله عباده في التوبة وفتح لهم بابها، ونهاهم عن اليأس من
رحمته والقنوط من مغفرته، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ
تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (٨)﴾ [التحريم] وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ
وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا
(٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
(٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١)﴾ [الفرقان] وقال
تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)﴾ [طه]

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١)

وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (٢)

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ» (٣) وأعظم من ذلك ترغيباً قوله ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ فَأَيَسَ مِنْهَا فَاتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا فَقَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيَّتَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» (٤)

فبادر أيها المذنب بالتوبة، واجعلها توبةً نصوحاً لله عز وجل، ولن تكون كذلك حتى تتوفر فيها هذه الشروط:

- ١- الإقلاع عن الذنب .
- ٢- الندم عليه .
- ٣- العزم الأكيد أن لا تعود إليه .

ذلك إن كان الذنب فيما بينك وبين الله، فإن كان فيما بينك وبين الناس فلا بدّ من ردّ المظالم إلى أهلها عند القدرة، واستحلالهم منها إذا أمنت الفتنة، فمن عجز عن رد المظالم وخاف من استحلال أهلها فتنة ومفسدة وجب عليه أن

١- م (٤/٢١١٣/٢٧٥٩).

٢- م (٤/٢٠٧٦/٢٧٠٣).

٣- حسن: [ص: ٣٥٣٧]، ع (٣٦٠٣/٢٠٦ و ٥/٢٠٧)، ج (٤٢٥٣/٢٠١٤٢٠).

٤- م (٤/٢١٠٤/٢٧٤٧).

يتوب إلى الله ويكثر من الدعاء والاستغفار لأصحاب المظالم حتى يكافئهم بالدعاء لهم على ما وجب لهم عليه، فإذا توفرت هذه الشروط في التوبة فهي مقبولة إن شاء الله، وإلا فالمستغفر من الذنب وهو مُصِرٌّ عليه كالمستهزئ بالله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٢) [البقرة]

والتوبة واجبة على جميع العباد المطيعين والعاصيين، ووجوبها على العاصيين واضح، أما وجوبها على المطيعين فلأنهم لم يتحققوا من خلاص طاعتهم لله، كما لم يتحققوا من قيامهم بها على مراد الله، فالتقصير منهم حاصل، وعليهم أن يجبروه بالتوبة والاستغفار. ولذا كان أتقى الناس لله وأشدُّهم طاعة له يكثر من التوبة والاستغفار، وكانوا يعدُّون له في المجلس الواحد «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١)، وكان يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٢).

فلنكثر جميعاً من التوبة ولنكثر من الاستغفار، وليعلم التائب المبتدئ أنه لا بد من تغيير البيئة بعد التوبة، فرفاق السوء لا يصلحون له بعد التوبة، والمجالس التي كان يغشاها قبل التوبة لا تصلح بعد التوبة، فلا بد من تغيير الصحبة ولا بد من تغيير المجالس، فمن فعل ثبت الله قدمه على صراطه المستقيم الذي منّ عليه بالهداية إليه، ومن أصّر على صحبة الأشرار ومخالطة الفجار فإنه لن يثبت على طريق الأبرار، ولذلك وصّى العالم قاتل المائة بتغيير البيئة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَنَدَّى عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ

١- صحيح: [ص.ج: ٣٠٧٥]، د (١٥٠٢/٣٧٩/٤)، ج (٣٨١٤/١٢٥٣/٢).

٢- صحيح: [س.ص: ١٤٥٢]، حم (١٩/٣٣٤/٣).

فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَذَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَفَبَضَّتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» (١)

هذا، وقد بقيت فائدة تتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وهي أن الله تعالى سمى عباده التوابين، وسمى نفسه التواب: فالتواب من أسماء الله الحسنى، وهو يُطلق على من تاب، ومعناه في حق العبد كثير الرجوع إلى الله بالتوبة، ومعناه في حق الله الذي يقبل التوبة من عباده، قال تعالى ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٣) [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢٥) [الشورى]

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤) [التوبة] .

وتوضيح ذلك أن أسماء الله على قسمين :

منها ما يختص به فلا يجوز تسمية غيره بها، كأسماء: الله، الرحمن، المحيي، المميت، فهذه من أسماء الله الحسنى التي اختص بها سبحانه، ولا يجوز تسمية غيره بها.

ومنها: ما لا يختص به بل يجوز إطلاقه على غيره، كما سُمِّيَ نفسه
التواب، وسُمِّيَ عباده التوابين، وسُمِّيَ نفسه الرؤوف الرحيم، وسُمِّيَ النبي ﷺ
الرؤوف الرحيم، وسُمِّيَ نفسه السميع البصير، وسُمِّيَ الإنسان سميعاً بصيراً.

والفرق بين الاسم والاسم كالفرق بين الذات والذات، والله تعالى :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١١)﴾ [الشورى] ليس كمثله
شيء في أسمائه وصفاته، كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته وأفعاله، جلَّ عن
الشبيه والنظير، كما جلَّ عن الندِّ والشريك، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١) اللَّهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)﴾ [الإخلاص].

الصفحة الثانية

الْمُتَطَهِّرُونَ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) [البقرة].

وقال تعالى في حق أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (١٠٨) [التوبة]

عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ فَمَا طُهُرُوكُمْ؟ قَالُوا نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَنَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَنَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ. قَالَ فَهُوَ ذَاكَ فَعَلَيْكُمْوه»^(١)

ومعنى ذلك أن المتطهِّرين هم الذين يتطهرون بالماء من الحدث الأصغر والأكبر، ويتطهرون بالماء من النجس وقد أمر الله تعالى بذلك فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦) [المائدة]

وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ كناية عن قضاء الحاجة، وهذا أمرٌ له آدابه في الإسلام، حتى أن يهودياً عجب من ذلك فقال لسلمان

الفارسي رضي الله عنه: « قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ! فَقَالَ: أَجَلٌ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ » (١)

آداب الاستنجاء :

١ - يستحب لمن أراد دخول الخلاء أن يقول: بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث :

عن عليٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءُ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ» (٢)

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» (٣)

٢ - ويستحب إذا خرج أن يقول: غفرانك :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ غُفْرَانُكَ» (٤)

٣ - ويستحب أن يقدم رجله اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج، وذلك لكون التيامن، فيما هو شريف والتياسر فيما هو غير شريف، وقد ورد ما يدل عليه في الجملة.

٤ - إذا كان في الفضاء استحب له الإبعاد حتى لا يرى :

١ - م (١/٢٢٣/٢٦٢)، ت (١/١٣/١٦)، د (١/٢٤/٧)، ن (١/٣٨)، ج (١/١١٥/٣١٦).

٢ - صحيح: [ص.ت. ٦٠٦]، ت (٢/٥٩/٦٠٦)، وهذا لفظه، ج (١/١٠٩/٢٩٧).

٣ - متفق عليه : خ (١/٢٤٢/١٤٢)، م (١/٢٨٣/٣٧٥)، د (١/٢١/٤)، ج (١/١٠٩/٢٩٨)، ت (١/٧/٦)، ن (١/٢٠).

٤ - صحيح: [ص.د. ٢٣]، د (١/٥٢/٣٠)، ت (١/٧/٧)، ج (١/١١٠/٣٠٠).

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْتِي الْبَرَّازَ حَتَّى يَتَغَيَّبَ فَلَا يَرَى» (١)

٥- ويستحب أن لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «كَانَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً لَا يَرْفَعُ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْأَرْضِ» (٢)

٦- ولا يجوز استقبال القبلة واستدبارها في الصحراء ولا في البنيان :

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ وَلَكِنْ شَرْفُوا أَوْ غَرَّبُوا» «فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِضَ قَدْ بُنِيَتْ قَبْلَ الْقِبْلَةِ فَكُنَّا نَنْحَرِفُ عَنْهَا وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» (٣)

٧- ويحرم التخلّي في طريق الناس و ظلّهم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ قَالُوا وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ» (٤)

٨- ويكره أن يبول في مستحمه :

عَنْ حُمَيْدِ الْحَمِيرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا صَحِبَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمْتَشِطَ أَحَدُنَا كُلَّ يَوْمٍ أَوْ يَبُولَ فِي

١- صحيح: [ص.ج: ٢٦٨]، ج٥ (١٢١/٣٣٥)، د (١٨/٢ و ١٩/١) بنحوه .

٢- صحيح: [ص.د: ١١] د (١/٣١ و ١٤/١) ت (١/١٤ و ١٢/١) .

٣- متفق عليه: خ (١/٤٩٨ و ٣٩٤)، م (١/٢٢٤ و ٢٦٤)، ت (١/٨ و ٨/١)، د (١/٢٧ و ٩/١)، ن (١/٢٢ و ٢١/١) .

٤- م (١/٢٢٦ و ٢٦٩)، د (١/٤٧ و ٢٥/١) .

٩- ويحرم البول في الماء الراكد :

عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ» (٢)

١٠- ويجوز البول قائماً والقعود أفضل :

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْتَهَى إِلَى سُبَّاطَةِ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِماً فَتَنَحَّيْتُ فَقَالَ: ادْنُ. فَدَنَوْتُ حَتَّى قُمْتُ عِنْدَ عَقْبَيْهِ، فَتَوَضَّأَ فَمَسَحَ عَلَى خَفَيْهِ» (٣)

١١- ويجب الاستنزاه من البول :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» (٤)

١٢- ولا يمسك ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يستنجي بيمينه :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمَسُّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ» (٥)

١٣- ويجوز الاستنجاء بالماء أو بالأحجار وما في معناها والماء أفضل :

١- صحيح : [ص.د: ٢٣]، د(١/٥٠/٢٨)، ن(١/١٣٠).

٢- م (١/٢٣٥/٢٨١)، ن(١/٣٤).

٣- متفق عليه : خ(١/٣٢٩/٢٢٥)، م(١/٢٢٨/٢٧٣)، ت(١/١١/١٣)، ن(١/١٩)، د(١/١١١/٣٠٥)، ج(١/٤٦-٤٤/٢٣).

٤- متفق عليه : خ(١/٣١٧/٢١٦)، م(١/٢٤٠/٢٩٢)، ت(١/٤٧/٧٠)، د(١/٤٢-٤٠/٢٠)، ن(١/٢٨).

٥- صحيح : [ص.ج: ٢٥٠]، ج(١/١١٣/٣١٠).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ الْخَلَاءَ فَأَخْمِلُ أَنَا وَغُلَامٌ نَحْوِي إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ وَعَنْزَةً فَيَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ» (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ يَسْتَطِيبُ بِهِنَّ فَإِنَّهَا تُجْزِي عَنْهُ» (٢)

١٤- ولا يجوز الاقتصار على أقل من ثلاثة أحجار:

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قِيلَ لَهُ «قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ! فَقَالَ: أَجَلْ! لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لَغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ» (٣)

١٥- ولا يجوز الاستجمار بالعظم والروث:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَمَسَّحَ بِعَظْمٍ أَوْ بِبَعْرِ» (٤)

صفة الوضوء:

الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة، أمر الله تعالى به فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۖ﴾ [المائدة].

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ» (٥)

١- متفق عليه: خ (١/٢٥٢/١٥٢)، م (١/٢٢٧/٢٧١)، ن (١/٤٢)، وليس عنده لفظ العنزّة.

٢- صحيح: [ص: ن: ٤٣]، ن (١/٤٢)، د (١/٤٠ و ١/٦٢).

٣- م (١/٢٢٣/٢٦٢)، ج (١/١١٥/٣١٦)، ت (١/١٣/١٦).

٤- م (١/٢٢٤/٢٦٣)، د (١/٣٨ و ١/٦١).

٥- م (١/٢٢٤/٢٢٤)، ت (١/٢/١).

ويشترط لصحة الوضوء:

١- النية : لقوله ﷺ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ » (١)

٢- التسمية: لقوله ﷺ « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ » (٢)

٣- الموالاة :

عن خالد عن بعض أصحاب النبي ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ لُفْعَةٌ قَدَرُ الدَّرْهِمِ لَمْ يُصْبِحْهَا الْمَاءُ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعِيدَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ » (٣)

وصفة الوضوء على وجه الإجمال :

أن يقول المتوضىء: بسم الله، ثم يغسل يديه ثلاثاً، ويخلل بين أصابع يديه، ويتعاهد ما تحت أظافره، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاثاً ثلاثاً، والأفضل أن يجمع بين المضمضة والاستنشاق من غرفة واحدة، ثم يستاك لتأكيد النبي ﷺ عليه بقوله «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء» (٤) ثم يغسل وجهه ثلاثاً، من منبت الشعر إلى أسفل الذقن طولاً، و ما بين الأذنين عرضاً، ثم يأخذ حفنة من ماء يخلل بها لحيته، ثم يغسل يده اليمنى من رءوس الأصابع إلى ما فوق المرفقين، ثم يغسل يده اليسرى كذلك، قال الإمام الشافعي: «ولا

١- متفق عليه: خ (١/٩)، م (٣/١٥١٥/١٩٠٧)، د (٦/٢٨٤/٢١٨٦)، ت (٣/١٠٠/١٦٩٨)، ن (٥٨- ١/٦٠)، ج (٢/١٤١٣/٤٢٢٧).

٢- حسن: [ص. ج: ٣٢٠]، ج (١/١٤٠/٣٩٩)، د (١/١٧٥ و ١٧٤/١٠١).

٣- صحيح: [ص. د: ١٦١]، د (١/٢٩٦ و ٢٩٧/١٧٣).

٤- صحيح: [ص. ج: ٥١٩٣]، حم (١/٢٩٤/١٧١) من حديث أبي هريرة، حب (٦٥/١٤٢) من حديث عائشة .

يجزئ في غسل اليدين أبداً إلا أن يؤتى على ما بين أطراف الأصابع إلى أن تغسل المرافق، ولا يجزئ إلا أن يؤتى بالغسل على ظاهر اليدين وباطنهما وحروفهما حتى ينقضي غسلهما، وإن ترك من هذا شيء وإن قل لم يجزئ^(١)، ثم يمسح رأسه، ويجب أن يستوعبها بالمسح، ثم يمسح أذنيه مع رأسه مرة واحدة، ثم يغسل رجليه من رءوس الأصابع إلى الكعبين، ويخلل بين أصابعهما، وإن كان قد لبس جورباً أو خفاً وأدخل رجليه طاهرتين فليمسح على ظاهر الخف أو الجورب. فإذا فرغ دعا بهذه الأدعية :

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَخْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ فَتَحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٢)

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «من تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كَتَبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ طَبَعَ بِطَابَعٍ فَلَا يَكْسِرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)

ويستحب لمن تَوَضَّأَ أَنْ يَصْلِيَ رَكَعَتَيْنِ عَقِبَ الْوُضُوءِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبَلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بَلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنَفْعَةً فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ! قَالَ بَلَالُ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنَفْعَةً مِنْ أَنِّي لَا أَطْهَرُ طَهُورًا تَامًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ

١- الأم (١/٢٥).

٢- م (١/٢٠٩/٢٣٤)، د (١/٢٨٩-٢٨٧/١٦٨)، ت (١/٣٨/٥٥) واللفظ له، ن (١/٩٣ و ٩٢).

٣- صحيح: [الترغيب: ٢٢٥]، كم (١/٥٦٤).

الطُّهُورِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أَصْلِيَ»^(١)

أما الغسل من الجنابة فيشترط لصحته النية، ويجب فيه تعميم البدن بالماء

وصفته المستحبة :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ ثُمَّ يَفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَأْخُذُ الْمَاءَ فَيَدْخُلُ أَصَابِعَهُ فِي أَصُولِ الشَّعْرِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدْ اسْتَبْرَأَ حَفَنَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ ثُمَّ أَقَاضَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ»^(٢)

والمرأة كالرجل في الغسل من الجنابة، ولا يلزمها نقض شعرها في

الغسل من الجنابة، ويلزمها في الغسل من الحيض:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ: «سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ: تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطْهَرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهَا دَلَكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فُرْصَةً مُمْسَكَةً فَتَطْهَرُ بِهَا. فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطْهَرُ بِهَا؟ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! تَطْهَرِينَ بِهَا. فَقَالَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهَا تَخْفِي ذَلِكَ: تَتَّبِعِينَ أَثَرَ الدَّمِ. وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ تَأْخُذُ مَاءً فَتَطْهَرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ أَوْ تَبْلُغُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهَا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْتَنِعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»^(٣)

ويجوز للزوجين أن يغتسلا معاً في مكان واحد ينظر كل منهما إلى

صاحبه :

١- متفق عليه: خ(١١٤٩/٣/٣٤)م(٢٤٥٨/٢/١٩١٠/٤).

٢- م(١/٢٥٣/٣١٦).

٣- م(١/٢٦١/-٦١-٣٣٢).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كُنْتُ أُغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَنَحْنُ جُنُبَانِ»^(١)

«اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ».

١- متفق عليه: خ (٢٦٣/٣٧٤) م (٣٢١/٢٥٦) ن (١/١٢٩).

الصفحة الثالثة

المُحْسِنُونَ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) ﴿[البقرة]

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨) ﴿[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣) ﴿[المائدة] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَعَمِلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣) ﴿[المائدة].

والمحسنون أحبابُ الله هم الذين أحسنوا فيما بينهم وبين الله، وأحسنوا فيما بينهم وبين عباد الله:

قال تعالى: ﴿الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾ [لقمان] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ [الذريات] .

وإحسانُ العبد فيما بينه وبين الله معناه الإخلاصُ في عبادة الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧) [الحج] أي المخلصين في عبادة الله (١)

وقد سأل جبريلُ النبي ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٢) قال الإمام النووي: «مقصود الكلام الحثُّ على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربَّه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك» (٣)

ولقد أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بالإخلاص فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (٣) [الزمر]، وأمره أن يصدع بهذا الأمر فقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) [الزمر]، وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤) [غافر] وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) [غافر].

وحقيقةُ الإخلاص تنقيةُ كلِّ شيء مما يشوبه، فكل شيء مشوب إذا صفا عن شوبه وخلَّص عنه سُمِّي خالصاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦) [النحل].

١- تفسير القاسمي: (١٢/٢٩).

٢- م (٣٦/٨-٣٨/١)، ت (١١٩/٢٧٣٨-١٢١/٤)، د (٤٦٧٠/٤٥٩-١٢/٤٦٤)،
 جه (٦٣/٢٤ و ١/٢٥)

٣- شرح مسلم: (١/١٥٨).

فاللبن الخالص هو ما خلص مما يشوبه من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به (١)

والتوحيد الذي خلق الله الخلق له معرضٌ لشوائب الشرك والرياء والنفاق، فلا بد من تخليصه من هذه الشوائب حتى يخلص الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف]

وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)﴾ [النساء]

فاشترط الله سبحانه لقبول توبة المنافقين الذين يراعون الناس بأعمالهم أن يخلصوا دينهم لله، أي يخلصوه من شائبة النفاق والرياء.

فعلى العبد المسلم أن يخلص دينه لله تعالى في كل ما يرجو ثوابه من الله فإنه لا يترتب الثواب على صالح الأعمال إلا بابتغاء وجه الله، كما قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ [النساء]

ومدح من يفعل ذلك فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١)﴾ [الإنسان]

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرَى (٢١)﴾ [الليل]

وقد تفضل الله على المحسنين بإعطائهم أجرَ وثوابَ ما يعجزون عنه من الأعمال :

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)﴾ [النساء]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِرَجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاْدِيَا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ» (١)

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَاْدِيَا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ» (٢)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» (٣)

وعن أبي كبشة الأثماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَةً، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنَيْتِهِ

١- م (٣/١٥١٨/١٩١١).

٢- خ (٦/٤٧ و ٤٦/٢٨٣٩).

٣- خ (٦/١٣٦/٢٩٩٦).

فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبُطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَةُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنَيْتِهِ، فَوَزَرُهُمَا سَوَاءٌ» (١)

وعن أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَتَوَى أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» (٢)

وأعظم من ذلك فضلاً أن الله تعالى يُعْطِي المحسنين أجراً وثواباً على شهواتهم ولهوهم المباح :

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال له: «إِنَّكَ لَنْ تُتَفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي امْرَأَتِكَ» (٣)

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ! يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: «أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَاتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» (٤)

١- صحيح [ص.ت: ٢٣٢٥]، ت (٢٤٢٧/٣/٣٨٥)، ج (٤٢٢٨/١٤١٣/٢)

٢- صحيح [ص.ن: ١٧٨٦]، ن (٣/٢٥٨)، ج (٤٢٦/١٣٤٤ و ٤٢٧/١).

٣- متفق عليه خ (١٢٩٥/٣/١٦٤)، م (١٦٢٨/٢٥٠ و ١٢٥١/٣)، د (٢٨٤٧/٦٤-٦٦/٨).

٤- م (٢/٦٩٧/١٠٠٦).

ومعنى ذلك أن «المرء مادام قد أسلم وجهه لله، وأخلص نيَّته لله، فإن حركاته وسكناته ونوماته ويقظاته تُحسب خطوات إلى مرضاة الله. قال بعض السلف: إني لأحب أن يكون لي في كل شيء نيَّة حتى في أكلي وشربي، ونومي، ودخولي الخلاء» (١).

فأخلص نيَّتَكَ أيها المسلم في حركاتك وسكناتك حتى يكون شعارك ما أمر الله نبيه ﷺ به: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٥) [الأنعام].

ومن إحسان العبد فيما بينه وبين الله أن يكون متَّبِعاً في حركاته وسكناته هدي رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ (١٢٥) [النساء] أي أخلص العمل لربه عزَّ وجلَّ فيعمل إيماناً واحتساباً ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي يتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق .

وهذان شرطان لا يصح عملُ عاملٍ بدونهما، أن يكون العمل خالصاً وصواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متَّبِعاً للشرعية، ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العملُ أحدَ هذين الشرطين فسد، فمَنْ فقد الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يراءون الناس، ومَنْ فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومَنْ جمعهما كان عمل المؤمنين الذين يتقبَّل الله عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم (٢)

فمن رُزق الإخلاصَ والمتابعة فقد أحسن فيما بينه وبين الله .

أما إحسان العبد فيما بينه وبين الناس فقد أمر الله به الأولين والآخرين:

١- موارد الظمآن: (١/١١١).

٢- تفسير ابن كثير: (١/٥٥٩).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣)
[البقرة]

وقال تعالى لنا نحن المسلمين: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ (٣١) [النساء].

فيجب على من أحسن فيما بينه وبين الله أن يُحسن فيما بينه وبين الناس
والإحسانُ إلى الناس يكون بكل شيء: من مال وجاه وعلم ووقت، حتى يكون
بالكلمة الحسنَى لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٨٣) [البقرة] وقوله
تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٥٣) [الإسراء]،

ولذا قال ﷺ: الكلمة الطيبة صدقة كما جاء

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ
صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ تَغْدُلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي
دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ قَالَ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ
وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (١)

فمن أحسن فيما بينه وبين الله وأحسن فيما بينه وبين الناس كان من
الفائزين .

١- متفق عليه (خ/٢٩٨٩/١٣٢/٦)م، (١٠٠٩/٦٩٩/٢).

ولا بدّ من هذين الإحسانين لنجاة العبد، لا بد أن يحسن فيما بينه وبين الله، ولا بد أن يحسن فيما بينه وبين الناس، وبذلك وصّى رسول الله ﷺ
عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (١).

فمن أحسن فيما بينه وبين الله وأساء فيما بينه وبين الناس حبط عمله وكان من أهل النار :

عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَاقِهِ» (٢)
وعن أبي أمامة قال: قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا: عَاقٍ، وَمَنَّانٍ، وَمَكْذِبٌ بِقَدَرٍ» (٣)

وعن عمرو بن مرة الجهني قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله! أُرِيتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ، وَصَمْتُ رَمَضَانَ، وَأَدَيْتُ الزَّكَاةَ وَحَجَجْتُ الْبَيْتَ، فَمَاذَا لِي؟ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ إِلَّا أَنْ يَعْقِيَ وَالِدَيْهِ» (٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فُلَانَةٌ تُذَكِّرُ مِنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، وَلَكِنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ ﷺ «هِيَ فِي النَّارِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةً تُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَلَكِنَّهَا لَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ ﷺ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ» (٥)

١- حسن: [ص: ١٩٨٧، ت: ٣/٢٣٩/٢٠٥٣].

٢- خ (١٠/٤٤٣/٦٠١٦).

٣- حسن: [ص: ٣٠٦٠، السنة لابن أبي عاصم (١/١٤٢/٣٢٣)، طب (٨/١٤٠/٧٥٤٧)].

٤- صحيح بز (١/٢٢/٢٥)، خط (٢/٢٠٧/١٦٣٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/١٥٠):

رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحد إسنادي الطبراني رجال الصحيح.

٥- صحيح: [ص: ٨٨، حب (٥٠٣/٢٠٥٤)، كم (٤/١٦٦)، كم (١٩/٢١٩/٣٤)].

إِنَّ لِلإِحْسَانِ فَضلاً عَظِماً وَنَفْعاً كَبِيراً يَعُودُ عَلَى الْمُحْسِنِينَ: منه:

١- أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ الْحُكْمَ وَالْعِلْمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾ [يوسف].

٢- وَأَنْ يُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِإِخْوَتِهِ بَعْدَ أَنْ كَشَفَ لَهُمْ عَنْ هَوِيَّتِهِ: ﴿قَالُوا أَنْتَ لَا تَأْتِي بِنِجَسٍ لَأَنَّكَ لَآتَى يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)﴾ [يوسف].

٣- أَنْ يَزِيدَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِحْسَانًا، وَفِي الْآخِرَةِ أَجْرًا وَثَوَابًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١)﴾ [الأعراف]

٤- وَمِنْهَا أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ [الأعراف]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾ [يونس]، وَالْحُسْنَى هِيَ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ هِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

٥- وَمِنْهَا أَنْ يَهْدِيَهُمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت].

٦- وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَعَهُمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)﴾ [النحل]. وَهَذِهِ هِيَ الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ:

فَإِنَّ مَعِيَّةَ اللَّهِ نَوْعَانِ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ، فَالْعَامَّةُ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (٤)﴾ [الحديد] أَيَّ بَعْلَمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ،

وهذه المعية توجب الخوف والحذر والمراقبة، والخاصة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) [العنكبوت] وهي توجب التوفيق والنصر والهداية، وهي التي ذكر بها موسى بني إسرائيل حين رأوا البحر أمامهم والعدو وراءهم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) [الشعراء] وهي التي ذكر بها محمد ﷺ صاحبه أبا بكر: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (١٠) [التوبة].

٧- ومنها أن الله تعالى يرفع للمحسنين ذكرهم فلا يذكرون إلا بالجميل إلى يوم الدين، كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) [الصافات] سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) [الصافات].

٨- ومنها: أن يكفر عنهم سيئاتهم، ويجزيهم بأحسن أعمالهم، ويدخلهم الجنة يتمتعون فيها بما يشاءون، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) [الزمر]، وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) [المرسلات].

فأحسنوا رحمكم الله، فإن الله يحب المحسنين، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَأْسُرُنَا عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ﴾ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) [الزمر].

الصفحة الرابع

المُتَّبِعُونَ

قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)﴾ [آل عمران].

فطر الله النفوس على حب من أحسن إليها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ [فصلت]. وإحسان الله إلى العباد لا يدنو منه إحسان، فهو ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢)﴾ [فصلت] وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَانِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣)﴾ [البقرة] وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَخَفُورٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم].

لذلك كان حب الله سبحانه فرض عين على كل إنسان، ولا يؤمن عبداً حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولقد عاب الله سبحانه على الذين يحبون غيره مثل حبه، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ تَحَبُّاً لِلَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَكْبَرُ حُبّاً لِلَّهِ (١٦٥)﴾ [البقرة]، وعد هذا الحب ظلاماً - أي: كفراً وشركاً - فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾ [البقرة]، وأخبر أن الذين أحبواهم من دونه سيتبرءون منهم أحوج ما يكونون إليهم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَارَوْا الْعَذَابَ وَكَيْفَ يَكُونُ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِمَّنْ هَلَكُوهُ اللَّهُ أَخَذَهُمْ

حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴿البقرة﴾ .

وتوعد الله سبحانه من أحبَّ غيره- مهما كان- أكثرَ من حُبِّه، وعدَّ ذلك فسوقاً- أي خروجاً من الدين- فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ [التوبة].

فوجب علينا أن نفرِّدَ الله سبحانه بالمحبة، لأنه المستحقُّ للحبِّ لذاته، وكلُّ ما سواه فإنما يُحبُّ من أجله سبحانه، فإنَّ من كمال الحبِّ أن يحبَّ المحبُّ كلُّ ما يحبه المحبوب، وأن يُغضَّ كل ما ييغضه، ولذلك قال النبي ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(١).

ولكنَّ حُبَّ الله ليس مجردَ كلمات تُقال، ولا شعارات تُرفع، وإنما الحُبُّ طاعةٌ واتباعٌ، وخُضوعٌ وانقيادٌ، وامْتِثالٌ واستِسْلامٌ، وعنوان ذلك كله اتِّباعُ النبي عليه الصلاة والسلام، ونُصرةُ دينه وشريعته، والتمسُّكُ بسنته، ولذلك قال الحسن: ادَّعى قومٌ محبةَ الله، فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾^(٢) فاتَّبَعَ النبي ﷺ واقتفاء أثره والتمسُّكُ بسنته هو شاهدُ صدقِ العبد في محبته، وكلما عَظُمَ الحُبُّ زاد الاتِّباع، وكلما نقصَ الحُبُّ نقصَ الاتِّباع، فعلى كلِّ مُحِبٍّ لله سبحانه أن يحرص على اتِّباعِ نبيه ﷺ، فإنه لا سبيل للوصول من غير طريق الرسول ﷺ، ولذلك قال الإمام الجنيد: «الطَّرِيقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ إِلَّا طَرِيقَ مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَوْ أَتَوْنِي مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَاسْتَفْتَحُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ مَا فَتَحْتُ لَهُمْ حَتَّى

١- حسن: [س.ص. ١٧٢٨، طبع (١١٥٣٧/٢١٥/١١)].

٢- ابن كثير (١/٣٥٨).

يدخلوا خلفك» (١)

ودليل صحة هذا القول قول ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَشَاءُ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾ [النساء]. وقول النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (٢)

فاتَّباعُ النبي ﷺ هو مفتاحُ كلِّ خير: هو سببُ الهداية التي هي أعظم غاية، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ [الأعراف] لأنَّ الله شهد لنبيِّه ﷺ بأنه يدعو الناسَ إلى صراطٍ مستقيم ويهديهم إليه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣)﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ [المائدة]، فمن اتَّبَعَ النبي فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم، ومن اتَّبَعَ غيره فقد هُدي سواء الجحيم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ سَعِيرٍ (٤)﴾ [الحج].

واتَّباعُ النبي ﷺ هو سببُ الرَّحمةِ والدُّخولِ فيها، كما قال تعالى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾ [الأعراف]

١- طريق الهجرتين لابن القيم (ص ٧).

٢- خ (١٣/٢٤٩/٧٢٨٠).

كما أن اتباع النبي ﷺ هو سببُ الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧) [الأعراف].

كما أن اتباع النبي ﷺ من موجبات محبة الله للعبد، كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الضَّالِّينَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وتلك هي الغاية التي شمر لها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، فليس الشأن أن تحب، ولكن الشأن أن تحب، وإذا أحب الله عبداً وفقه وهداه، كما في الحديث القدسي: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» (١).

والمعنى أن الله إذا أحب عبداً سخر جوارحه لطاعته، فلا يسمع إلا الخير، ولا يرى إلا المباح، ولا تمتد يده إلا إلى الخير، ولا تسعى رجله إلا إلى الطاعة، وإذا أحب الله عبداً حببه إلى عبادته، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» (٢).

وإذا أحب الله عبداً غفر ذنبه، ووضع عنه وزره، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وإذا غفر ذنبه فقد رحمه، ومن رحمه لم يعذبه، ولذا قال ﷺ: «وَاللَّهُ لَا يُلْقِي اللَّهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ» (٣).

١- خ (١١/٣٤٠/٦٥٠٢).

٢- م (٤/٢٠٣٠/٢٦٣٧).

٣- صحيح: [ص.ج ٦٩٧٢]، حم (١٠/١٥١/١٩)، ك (٤/١٧٧).

فعلينا أن نحبَّ الله تعالى من كل قلبنا، وأن نقيم الحُجَّةَ على هذا الحُبِّ باتِّباعِ نبيِّنا ﷺ، فإنَّ الله تعالى أمر بطاعته وأتباعه، ونهى عن معصيته ومخالفة أمره، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧) [الحشر]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣) [النور]، وأخبر سبحانه أن الذين خالفوا أمرَ النبي ﷺ واتبعوا غيره سيندمون يوم القيامة أشدَّ الندم، ولن ينفعهم ذلك، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ (٤١)، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) [النساء]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦) [الأحزاب].

فالواجبُ على كلِّ مؤمنٍ أن يجعل الرسول ﷺ إمامه وأُسوته وقُدوته، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (٢١) [الأحزاب]، وأن يتَّبَعَ الرسول ﷺ في كلِّ ما يبلغه عنه من طريقٍ صحيحٍ ثابت، وأن يحذر كلَّ الحذر من ردِّ السُّنَّةِ لقول فلان، أو لرأي فلان، فإنَّ السُّنَّةَ حاكمةٌ على غيرها، وليس غيرها حاكماً عليها، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) [النساء].

وما أحسنَ قولَ ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِّتُمْ» (١) «وهي كلمةٌ موجزة، كأنها إعجازٌ من الإعجاز، وهي كلمةٌ حقٌّ وصدق، ثريَّةٌ بالمعاني الطويلة العريضة، يُبرهنُ آخرُها على أولِّها، والنَّهْيُ في

١- صحيح: طب(٨٧٧٠/٩١٦٨)، وقال الهيثمي في المجمع(١/١٨٦) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

وسطها يبرهن عليه أيضاً آخرها، أي اتبعوا فقد كُفِيتُمْ، والكافي هو الله سبحانه وتعالى، الذي أوحى الشرع والأصول والقواعد، وطبق رسول الله ﷺ كُلَّ ذَلِكَ وبيّنه، فكان تطبيقه مقياساً وبياناً ومرجعاً يرجع إليه المختلفون ، «ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُمْ»: إِنَّ الذي يبتدع هو من لا كفاية له ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى بعد أن أكمل الدين، وأتمَّ النعمة، فليس هناك من مجالٍ ولا من حاجةٍ إلى الابتداع، لقد كفانا الله ورسوله ﷺ كُلَّ ما أهُمَّنَا من أمر الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) ﴿[المائدة] (١)﴾.

اللهم ارزقنا حُبَّكَ وَحُبَّ نَبِيِّكَ، ووفقنا للتمسُّك بكتابك وسُنَّة نبيك، حتى لانضلَّ أبداً ، آمين، والحمد لله رب العالمين .

الصَّابِرُونَ

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) ﴿آل عمران﴾. والصبرُ في اللغة: الحبس والكف، ومنه قولهم: قُتل فلانٌ صبراً إذا أمسك وحُبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف] أي صبر نفسك معهم (١)

وشرعاً: حبس النفس عن الجزع، ومنعها عن محارم الله، وإلزامها بأداء فرائض الله (٢).

وقد جاء ذكر الصبر في القرآن الكريم في أكثر من تسعين موضعاً، وهو صفةٌ لله عز وجل :

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَةٍ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» (٣)

وهو صفةٌ من صفات النبيين والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٤) [الأنعام] وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

١- تهذيب مدارج السالكين: (٣٥٣)، راجعه .

٢- موارد الظمآن لدورس الزمان (٢/٤٠).

٣- متفق عليه: خ (١٠/٥١١/٦٠٩٩)، م (٤/٢١٦٠/٢٨٠٤).

أُولُو الْعَرْمِ مِنَ الرُّسُلِ (٣٥) ﴿ [الأحقاف]

وهو أيضاً صفة من صفات المؤمنين المتقين، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾

[البقرة]

وقد أمر الله به فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)﴾ [البقرة].

وعلق سبحانه خيري الدنيا والآخرة على الصبر: فأخبر سبحانه أن الإمامة في الدين إنما تتال بالصبر واليقين، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ [السجدة].

وأخبر أن التمكين في الأرض لا يتحقق إلا بالصبر، فقال على لسان يوسف عليه السلام وقد كشف لإخوته عن هويته فقالوا متعجبين من حاله الذي انتهى إليه من الرفعة والسيادة والتمكين في الأرض: ﴿قَالُوا أَنْتَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)﴾ [يوسف].

كما أخبر سبحانه أن الأخلاق العالية والأعمال الصالحة لا تتال إلا بالصبر فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت].

وأخبر سبحانه أن الصبر جنة، فقال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ

وَإِنْ تَصْبِرْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِكْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ [آل عمران].

كما أخبر سبحانه أن النصر على الأعداء لا يكون إلا مع الصبر، فقال تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران].

ولذلك أمر المؤمنين بالصبر والثبات عند اللقاء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وقال النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر»^(١).

وهكذا ظهر أن خير الدنيا كله مرده إلى الصبر، وكذلك نعيم الآخرة لا يناله إلا الصابرون، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

ولهذا كان الصبر خير ما يُعطاه الإنسان:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢).

١- صحيح: [السنة: ٣١٥، حم (١٢/١٢٦)].

٢- متفق عليه: خ (٤٦٩/٣٣٥)، م (١٠٥٣/٧٢٩)، م (٢/٧٢٩).

والصبر أنواع ثلاثة: صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على الأقدار المؤلمة.

أما الصبرُ على طاعة الله عزّ وجلّ فلأنها كثيرةٌ ومتكررة، ولذلك تشقُّ على النفس، ويصعبُ عليها المحافظةُ عليها.

فيجب على كل مسلمٍ أن يصبر على أداء الطاعات المتكررة، وأن لا يقصّر فيها ولا يتهاون بها لتكرارها، ولذلك مدح الله تعالى المصلّين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣)﴾ [المعارج] وذمّ المصلّين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ [الماعون] ونهى سبحانه عن إبطال العمل فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾ [محمد] يعني إذا دخلتم فيها فاصبروا عليها وأتمّوها ولا تقطعوها، فكم من إنسانٍ لازم المسجد وحافظ على الصلاة، ثم نفذ صبره فهجر المسجد وقطع الصلاة، وكم من إنسانٍ بدأ في حفظ القرآن ثم نفذ صبره فلم يتمّه، وهكذا، فلا بُدَّ من الصبر على الطاعة، فصبرٌ نفسك أيها المسلم على طاعة ربك، وكلما أصبحت قل لها يا نفس اجتهدِي في طاعة الله فلعلّها آخر أيامك، وإذا أمسيتَ قل لها يا نفس اجتهدِي في طاعة الله فلعلّها آخر لياليك، وهكذا حتى تُسلمها لربّها راضية مرضية، فيقال لها: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر] .

ومن الصبرِ على الطاعة الصبرُ على برِّ الوالدين، ولا سيما إذا طالبت بهما حياة، ومن الصبر على الطاعة الصبرُ على طلب العلم، فإنَّ طلب العلم جهاد وقد قال بعض السلف: جاهدتُ نفسي ثلاثين سنةً فما وجدتُ أشقَّ عليها من طلب العلم، ولذلك لما قال موسى للخضر عليهما السلام ﴿هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦)﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)﴾ [الكهف] فلما لم يطق صبراً على ما رآه من غرائب الأفعال ﴿قَالَ

هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) ﴿[الكهف]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا»^(١).

فصبر نفسك يا طالب العلم على الكتاب، وصبر نفسك على مجالس العلم، وصبر نفسك على الغدو والرواح في طلب العلم، فإن الصبر على الطلب من أعظم أسباب التعلم كما قال القائل:

أخي لن تنال العلم إلا بسطة سأتيك منها مَخْبَرًا ببيان
ذكاء وحرص واصلطار وفطنة وصحبة أستاذ وطول زمان

ولما كان الصبر مرًا، وله من اسمه نصيب، لم يصبر كثير من الناس على الطلب، وفارقوه بعد أن عرفوه.

ومن الصبر على الطاعة الصبر على صحبة الصالحين وملازمة مجالسهم، كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨) ﴿[الكهف] .

فصبر نفسك على صحبة الصالحين وملازمة مجالسهم وإن فاتتك بعض الحظوظ والشهوات، فما تناله من مصاحبة الصالحين خير من الدنيا وما فيها، قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ

مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴿ [آل عمران] .

ولا تدخلُ التقوى القلبَ إلا من بيئة التقوى، وبيئة الصالحين هي بيئة التقوى فالزمهم فثم الجنة، وإياك ومفارقتهم، فإن مفارقتهم خروجٌ عن الجماعة، ويد الله مع الجماعة، ومن شدَّ شدَّ في النار، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فاحذر أن تفارق جماعة الصالحين، فتتخطفك الشياطين فتندم يوم الدين، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴾ [الفرقان] .

ومن الصبر على الطاعة الصبرُ على مشاقِّ الدعوة وأعبائها، فإنَّ الدعوة إلى الله تكلف الداعية من ماله ووقته وجهده، فلا بدُّ أن يصبر حتى يستمرَّ عطاؤه ولذلك قال تعالى للنبي ﷺ حين كلفه بالدعوة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاسْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾ [المدثر] .

ولا بدُّ للداعية بعد الصبر على التكاليف والأعباء من الصبر على جفاء المدعوين وغلظتهم وإعراضهم عنه، بل لا بدُّ أن يصبر على أذاهم إن صدر منهم أذى، ولذلك قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) ﴾ [لقمان] .

وأما الصبر عن المعصية : فلا بدُّ منه لسعادة الإنسان الأبدية فإنَّ الله قال: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤) ﴾ [النساء] .

فلا بدّ للمسلم من الصبر عن معصية الله ولا سيما إذا انعقدت أسبابها وقويت دواعيها .

ومن أضرّ المعاصي على الإنسان الزنا والربا، ولذلك أمر الله تعالى بالصبر عنهما، فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلَيْسَتُغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٣٣)﴾ [النور] والعفة الصبر عن شهوة الفرج، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ إِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)﴾ [النساء].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١)

وقد مدح الله تعالى يوسف عليه السلام على صبره على امرأة العزيز ومراودتها له ، وامتناعه منها، وحبسه نفسه عن إجابتها، فقال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ

١- متفق عليه: خ (٩/١١٢/٥٠٦٦)، م (٢/١٠١٨/١٤٠٠)، د (٣٩/٢٠٣١-٦/٤٠)،

ت (١٠٨٧ / ٢٧٢ و ٢٧٣ / ٢)، ن (٦/٥٦)، ج (١٨٤٥/١٥٩٢).

رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴿ [يوسف].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان صبرُ يوسفَ عن مراودة امرأة العزيز على شأنها أكملَ من صبره على إلقاء إخوته له في الحب وبيعته، فإنَّ هذه الأمور مرَّت عليه بغير اختيار ولا كسبٍ له فيها، وليس للعبد فيها غير الصبر. وأما صبره عن المعصية فصبرُ اختيارٍ ورضى، ومحاربة للنفس، ولا سيما مع الأسباب التي تقوِّي من دواعي الموافقة، فإنَّه كان شاباً عزباً غريباً مملوكاً، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، وقد دعتَه إلى نفسها، وغاب الرقيب» (١)، وتوعدته بالسَّجن والسَّغار: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فاستنصمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيَسْجُنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)﴾ [يوسف].

فيا معشر الشباب! غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، واحفظوا فروجكم ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (٤٥)﴾ [البقرة] وعليكم بالصوم، وإياكم وإجابة داعي الشهوة، فإنَّه «لا يزني أحدكم إلا رفع الله من قلبه الإيمان حين يزني، ثم إن شاء رُدَّه وإن شاء أمسكه» (٢)، إياكم والزنا، وأحبُّوا للناس ما تحبُّون لأمهاتكم وبناتكم، وأخواتكم وخالاتكم وعماتكم واعلموا:

أَنَّ الزَّنا دِينٌ إِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ
الوفا من أهل بيتك فاعلم
من زنا يزني به ولو بجداره
إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيباً فافهم

أَمَّا الرِّبَا فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ بَادَرُوا إِلَيْهِ، وسعوا إليه سعيهم إلى الحلال طمعاً

١- تهذيب مدارج السالكين (٣٥٣ و ٣٥٤).

٢- الإيمان لابن أبي شيبة (٣٢/٩٤).

في الغنى السريع والثراء المفاجئ، مع أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلُهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» (١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (٢) والعفة الصبرُ عن شهوة البطن الحرام .

وقد مدح الله المحتاجين المتعففين فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ [البقرة]

فما للناس اليوم لا يتعففون عن الحرام، وما للناس اليوم لا يصبرون عن الحرام، وما للناس اليوم يسارعون إلى أكل الربا، مع أن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشدُّ عند الله من ستة وثلاثين زنية» (٣)

١- صحيح: [ص.ج: ٢٠٨١]، بغ (١١١ و ١١٢ و ٤١١٣ / ٣٠٣ - ٣٠٥ / ١٤).

٢- متفق عليه: خ (١٤٦٩ / ٣ / ٣٣٥) م (١٠٥٣ / ٧٢٩ / ٢).

٣- صحيح: [ص.ج: ٣٥٣٩]، كم (٢ / ٣٧).

وقال ﷺ: «الربا بضْعٌ وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه»^(١)

فما بال الناس اليوم يسارعون إلى الربا؟! ألسهولة معاملاته وقرب محلاته؟! إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ هُوَ عَيْنُ الْبَلَاءِ، ومحض الفتنة: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٤)﴾ [المائدة].

لقد حَرَّمَ اللهُ على المحرم بالحجِّ والعمرة صيد البرِّ، ثم ابتلاهم بنزول الصيد عليهم، وقربه منهم، ووقوفه لهم، ليعلم الصابرين، فاتقوا الله عباد الله، ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)﴾ [البقرة].

اتركوا الربا، وابتعدوا عنه مهما قرب منكم، ومهما كان فيه من تسهيلات، فَإِنَّ عَاقِبَةَ الرِّبَا دَائِمًا إِلَى الْمَحَقِّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ [الروم] قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِّي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾ [البقرة].

أما الصبر على الأقدار المؤلمة فَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ الْإِبْتِلَاءِ وَالْمَحْنِ، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ [محمد] وبَيَّنَّ سبحانه أنواع البلاء فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة]

فمن ابتلي في نفسه فليصبر، ومن ابتلي في ماله فليصبر، ومن ابتلي في ولده فليصبر، ومن ابتلي في أهله فليصبر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ

وَالْمُؤْمِنَةَ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (٢).

ومن الصبر على الأقدار المؤلمة الصبر على تأخر النصر، فإن الله تعالى قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ [يوسف].

وَعَنْ خُبَابٍ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَدْعُو اللَّهَ! فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهَهُ فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمَشَطُ بِمَشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمُنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (٣).

ومن الصبر على الأقدار المؤلمة الصبر على أذى الناس، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾ وَلَمَّا انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) إنما

١- حسن صحيح [ص.ت: ٢٣٩٩، ت. (٤/٢٨/٢٥١٠)].

٢- خ: ٥٦٤١ و ٥٦٤٢ / ١٠٣ / ١٠.

٣- خ: (٦/٦١٩/٣٦١٢).

السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) [الشورى]،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَثَرُ النَّبِيِّ ﷺ نَاسًا أُعْطِيَ الْأَقْرَعَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأُعْطِيَ عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأُعْطِيَ نَاسًا، فَقَالَ رَجُلٌ مَا أُرِيدُ بِهِذِهِ الْقِسْمَةُ وَجْهَ اللَّهِ، فَقُلْتُ لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (١)

فالذي يخالط الناس لا يسلم غالباً من أذاهم، فلا بد أن يوطن نفسه على الصبر والسماحة حتى يعيش بين الناس فتنة لا غنى له عنهم، ومع من يكون سر يوماً ملائكة مطهرين، ولذلك قال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يَخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» (٢)

وما أحسن قول القائل :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً أخاك لم تلق الذي لا تُعاتبه
فمن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى بالمرء جبلاً أن تُعدَّ معاييه

١- متفق عليه: خ (٤٣٣٦/٨/٥٥)، م (١٠٦٢/٢/٧٣٩).

٢- صحيح: ، [ص.ت: ٢٥٠٧]، ت (٤/٧٣/٢٦٢٥)، ج (٤٠٣٢/٢/١٣٣٨) وهذا لفظه.

الْمُتَّقُونَ

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦)
[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧) [التوبة] وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ
لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤) [التوبة]

فَالْمُتَّقُونَ هم أحباب الله، والمتقون هم أولياء الله، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلًا
يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا
الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٤) [الأنفال] وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ
اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) [يونس]
وَالْمُتَّقُونَ هم أكرم الخلق عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) [الحجرات]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟
قَالَ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ. قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ،
ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ:
فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي
الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا» (١)

وَالْمُتَّقُونَ أَحِبَّابُ اللَّهِ هُمْ أَصْحَابُ الْعَقِيدَةِ السَّالِمَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، هُمْ أَصْحَابُ الْعَقِيدَةِ السَّالِمَةِ مِنْ شَوَائِبِ الشَّرِكِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ السَّالِمِ مِنْ شَوَائِبِ الْبِدْعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [البقرة]، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ صَالِحَ الْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ [المائدة].

وَالْمُرَادُ بِالْقَبُولِ الَّذِي يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ، أَلَا وَهُوَ الْجَنَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ [آل عمران] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾ [مريم] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِفْتَاحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٍ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣)﴾ [ص] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾ [الطور]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤)﴾ [المرسلات].

لذلك بعث الله الرسلَ يدعون الناسَ إلى تقوى الله، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨)﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦)﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٤)﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣)﴾ [الشعراء] ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩)﴾ [الشعراء]،

ولما بعث الله محمداً ﷺ أكثر الله على الناس من الأمر بالتقوى فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)﴾ [الحج] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣)﴾ [لقمان] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء]،

وقد أجمل الله تعالى ذلك كله في قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ (١٣١)﴾ [النساء].

وأصل التقوى أن يجعل العبدُ بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تقيه منه: وقد تضاف التقوى إلى الله عزَّ وجلَّ كما في الآيات السابقة، والمعنى: اتَّقُوا سخطه وغضبه، وقد قال تعالى عن نفسه: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾ [المدثر]: فهو سبحانه أهلٌ أن يُخشى ويهاب، ويجلُّ ويعظم في

صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه، لما يستحق من الإجلال والإكرام، وصفات الكبرياء والعظمة، وقوة البطش وشدة البأس .

وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله وإلى مكانه كالنار، أو زمانه كيوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة] (١).

وسبب التقوى الخوف، فمن خاف الشيء اتقاه، ومن لم يخف شيئاً لم يتقّه، ولذلك قال تعالى عن أهل النار: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ (١٦)﴾ [الزمر].

فمن خاف الله اتقاه، ولذلك قال تعالى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)﴾ [النحل] لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمَرُونَ (٦) [التحريم] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ [النور]،

وقال ﷺ : «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ» (٢): أي أكثركم له خشية، وأكثركم له تقوى.

ولذلك كثيراً ما يصدر الله تعالى الأوامر والنواهي ويختمها بالأمر بالتقوى :

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)﴾ [الأحزاب] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ [الأحزاب] وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

١- جامع العلوم والحكم (١٣٧).

٢- خ (٩/١٠٤/٥٠٦٣).

اللَّهِ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) [الحشر] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)﴾ [الحجرات] وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة].

وكذلك كان النبي ﷺ يفعل :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا إِذَا أَمَرَكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» (١)

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ» (٢)

١- صحيح : [ص.ت: ٦١٦] ت(٢/٦٢/٦١١)، حب(٢٠٣/٧٩٥ و٢٠٤)، ك(١/٩).

٢- حسن : [ص.ج: ١٠٧] وقال الشيخ في «الصحيحه» (٨٦٩): رواه ابن عساكر (٢/٧٤/١٦).

وَعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (١)

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أُعْطِيتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ. قَالَ فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ» (٢).

وكذلك يفعل الصالحون بين يدي الأمر والنهي، فإذا رأوا تارك واجب قالوا له اتق الله، وإذا رأوا فاعل محرم قالوا له اتق الله.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨)﴾ [مريم] وقد علمت أن الرجل التقي إذا هم بسوء ثم أمر بالتقوى رجع عما هم به خوفاً من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف]

١- م (١٠١٧/٤٧٠٥ و ٢/٧٠٥)، ورواه مختصرات: (٢٨١٥/٤١٤٩) ج (٢٠٣/٧٤/١).

٢- متفق عليه: خ (٢٥٨٧/٢١١/٥)، م (١٦٢٣/١٢٤٢/٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَىٰ غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارُ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّىٰ قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمَكَنْتَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا. ثُمَّ دَعَا الْآخَرَانِ، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَخَرَجُوا» (١)

فالتقوى هي الداعية إلى كل خير، وهي المانعة من كل شر، كما قال تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٢) [الأحزاب] فالمرأة إذا خافت من الله لم ترقق قولها، ولم تتكسر في كلامها، ولم تتمايل في مشيتها .

فمن اتقى الله ترك الحرام، ومن اتقى الله فعل الواجب، ثم قد تزداد التقوى في القلب وتقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وحتى يفعل مع الواجب المستحب. ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) [الواقعة] كما قال تعالى في الحديث القدسي «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ» (٢) ولذلك أمر الله تعالى بالاجتهاد في تقواه حتى يبلغ الغاية من الجهد في ذلك، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران].

١- متفق عليه (خ: ٣٤٦٥/٥٠٥ و ٦/٥٠٦، م: ٢٧٤٣/٩٩ و ٤/٢٠٩٩).

٢- خ (٦٥٠٢/٣٤٠ و ١١/٣٤١). تفسير ابن كثير (١/٣٨٧).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «حقُّ التقوى أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر» (١)

وقال بعضهم :

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى (٢)

ولقد علّق الله تعالى خيرَ الدنيا والآخرة على التقوى :

فعلّق عليها حياة القلوب وتمييزها بين الحق والباطل، كما علّق عليها تكفير السيئات ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) [الأنفال]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَٰمِلُوا بِرِسُوٰلِهِ يُوَفِّكُم مَّكَلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨) [الحديد]

وجعل التقوى مجلبةً للرزق ومطردهً للبلاء، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٣) [الطلاق] وحديث أصحاب الغار تفسير لهذه الآية.

وجعلها سبباً لقضاء الحوائج، وتيسير الأمور، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾ [الطلاق].

١- م (١٠١٧/٤ و ٧٠٥/٢)، ورواه مختصراً: ت (٢٨١٥/٤٩ و ١٤٩/٤) ج (٢٠٣/٧٤ و ١٠١٧/٤).

٢- جامع العلوم والحكم (١٣٨).

وجعلها سبباً للنجاة من النار، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) [مريم] وجعلها سبباً للفوز بالجنة، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٢) [النور].

كما جعلها سبباً لحفظ الأولاد من الضياع إذا مات أبوهم ، فقال تعالى : ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٩) [النساء]

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّاها، أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها.

الْمُتَوَكِّلُونَ

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ [آل عمران].

لا ينفك الإنسان عن حاجة أبدأ، وحاجته دائمة بين منفعة يرجوها، أو مضرة يخشاها، ثم هو بنفسه قد يعجز عن جلب النفع ودفع الضرر، فيضطر إلى توكيل غيره لجلب المنفعة أو دفع المضرة، وهذا الوكيل البشري لما هو موسوم به من الضعف والعجز لا يستطيع أن يجلب كل النفع ولا يدفع كل الضرر، بل ما يجلبه من نفع وإن قل، وما يدفعه من ضرر وإن قل، فلا يكون إلا بمشيئة الله لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكوير] وقول النبي ﷺ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١) ولذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه وحده فقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)﴾ [آل عمران] وفي تقديم الجار والمجرور على الفعل ما يفيد الحصر والقصر، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ [الفاتحة] ونهي الله تعالى عن اتخاذ وكيل غيره، فقال تعالى: ﴿وَعَاتَيْنَا مُوسَى

الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ [الإسراء]،

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر] وهو استفهام إنكار على طالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل عليه^(١).

فالتوكلُ على الله واجبٌ حتى في حالة توكل من يُرجى منه قضاء المصالح ودرء المفاسد، فإذا وكلت غيرك في عملٍ ما فلا يجوز أن تجعل توكلك كله عليه بل يجب أن يكون توكلك على الله وحده، ولذلك من الخطأ قول بعضهم: توكلتُ على الله وفلان، فإن هذه الواوِ واوُ المشاركة، وهي شريكّة، والتوحيد أن تقول: توكلت على الله ثم على فلان .

وقد كثر في القرآن الكريم الأمرُ بالتوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء] وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الَّذِي يَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْتَحِ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

وجعل سبحانه التوكلَ عليه عنوانَ الإيمان، وأمانةَ الإسلام ، فقال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ

تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) ﴿ [يونس] فلا إيمان لمن لا توكل له.

وقال بعضُ السلف: «التوكلُ على الله نصفُ الدين، وبيانُه أنَّ الدين نصفان: عبادةٌ واستعانةٌ»، كما علَّم الله العابدين أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ [الفتحة] والتوكلُ على الله هو الاستعانة، وقد أمر الله سبحانه بذلك في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ [هود] وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)﴾ [الزمل] ولذلك قال شعيبٌ عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود] وقال محمدٌ ﷺ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)﴾ [الشورى] فالتوكلُ الاستعانة والإِنابةُ العبادة .

والتوكلُ على الله فضلهُ عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق] أي كافيهِ، ويفسرُه أنَّ الخليلين إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم عُوديا من قبل أناسٍ لا طاقةَ لهما بهم، فتوكلا على الله فكفاهما الله :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)﴾ [آل عمران] (١)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)﴾ «أي عزيزٌ لا يذلُّ من استجار به، ولا يضيع من لاذَ بجناحه والتجأ إليه، وحكيمٌ لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره» (٢)

فمن توكل على الله كفاه، ومن توكل على غيره خذله: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

١- خ (٨/٢٢٩/٤٥٦٣).

٢- إحياء علوم الدين (٢٤٣ و ٢٤٤/٤).

الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) ﴿[آل عمران] . وقال تعالى ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ [آل عمران] ” وَأَعْظَمُ بِمَقَامِ مُوسَى بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى صَاحِبُهُ، وَمُضْمُونُ كَفَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَلَابِسُهُ. فَمَنْ اللَّهُ تَعَالَى حَسْبُهُ وَكَافِيهِ، وَمُحِبُّهُ وَمَرَاغِيهِ، فَقَدْ فَازَ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ، فَإِنَّ الْمَحْبُوبَ لَا يَعْذَّبُ وَلَا يُعَذُّ وَلَا يُحْجَبُ“ (١).

ومن فضل التوكل أنه يعصم من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)﴾ [الإسراء] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ” إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِّيتَ وَوُقِّيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هَدَىٰ وَكُفِّي وَوُقِّي“ (٢)

ومن فضل التوكل أنه يكفي صاحبه هم الرزق كما قال ﷺ لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا (٣)

ومن فضل التوكل أنه يُدخل المتوكلين الجنة بغير حساب ولا عذاب كما في الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ” يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ. فَخَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا الَّذِي

١- إحياء علوم الدين (٤/٢٤٣).

٢- صحيح : [ص.ت: ٣٤٢٦] ، ت (٥/١٥٤/٣٤٨٦)، د (٤٣٧/٥٠٧٣) و (١٣/٤٣٨) ، حب (٥٩٠/ ٢٣٧٥).

٣- صحيح:[ص.ت: ٢٣٤٤]، ت (٤/٤/٢٤٤٧)، ج (٢/١٣٩٤/٤١٦٤).

تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١)

هذا وإن متعلق التوكل متباين ومتفاوت بين المتوكلين:

وأعلام رتبة وأشرفهم توكلأ الذين يتوكلون على الله في حفظ الإيمان وتثبيتهم على الإسلام، فهم يعلمون أن قلوبهم بيد الله، إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها، فهم يتوكلون على الله في إقامتها وعدم إزاعتها، كما قال إبراهيم والذين معه ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)﴾ [المتحنة].

وهؤلاء أيضاً يتوكلون على الله في نصره دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه فهم واتقون أن الدين دين الله، وأن الله حافظه وناصره، وبذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ [التوبة].

فمن أيقن أن الله هو نعم المولى ونعم النصير، ونعم الوكيل، وأن الله هو الغني عن العالمين، وأن الله مالك الملك، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويعزُّ من يشاء ويذل من يشاء، وأن الله هو الشافي الكافي، المحي المميت، وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، يفعل ما شاء: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ [الأنبياء] لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. فمن أيقن بهذا يقيناً جازماً علم أنه ليس لأحد من المخلوقين تصرف ولا مشيئة، فتوكل على الله ولم يتخذ وكيلاً سواه، ولذلك جاء في الحديث أن الله تعالى قال: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجْدُنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوُضَّ إِلَيَّ عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ

١- متفق عليه: خ (٥٧٠/١٥٥)، م (٢٢٠/١٩٩ و ١/٢٠٠)، ت (٤٩/٢٥٦٣).

عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^(١) فالتوكلُ على الله معناه تفويض الأمر كله لله يُصرفه كيف يشاء، والاستعانة به على كل الأشياء، ثم الرضا بقضائه واختياره لعباده، فلا يقضي الله لعبده المؤمن قضاءً إلا وهو خيرٌ له، ولذلك كانت الاستخارة عنوان هذا التفويض وأمانة التسليم لله رب العالمين .

ودون هؤلاء مَنْ يتوكل على الله في معلوم يناله منه من رزقٍ أو عافية، أو نصرٍ على الأعداء، أو ذريةٍ أو ولد، ونحو ذلك، ومَنْ صدق توكله على الله في حصول شيءٍ ناله .

ومن الجدير بالذكر أنَّ التوكل على الله لا يُنافي الأخذ بالأسباب، وكلاهما واجب، الأخذ بالأسباب واجب، والتوكلُ على الله واجب، ولذلك قال الله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ [الذريات] ثم أمر بالسعي على الرزق فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾ [المك] وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾ [الجمعة]. وأخبر سبحانه أنَّ النصر من عنده فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)﴾ [آل عمران] ثم أمر يأخذ الأسباب فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ (٦٠)﴾ [الأنفال]

١- م (١/٢٩٦/٣٩٥)، د (٣/٤١-٣٨/٨٠٦)، ت (٤/٢٦٩/٤٠٢٧)، ن (٢/١٣٦ و ١٣٥)، ج هـ (٢/١٢٤٤ و ١٢٤٣/٣٧٨٤).

فالأخذُ بالأسباب لا يُنافي التوكل، وإنما المرادُ من التوكل بعد الأخذ بالأسباب عدمُ الالتفات إليها والاعتمادِ عليها، فمن اعتمد على شيء وكل إليه.

ولذلك لما قال القائلُ يومَ حنين: لن نُغلبَ اليومَ من قلةٍ لم تُغنِ عنهم كثرُتهم وتسلطَ عليهم عدوُّهم فولوا الأدبار، وضائق عليهم الأرضُ بما رحبت، ولما ضعفت قوتُهم وعجزت حيلُتهم يوم بدر أحسنوا التوكلَ على الله فنصرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣) [آل عمران].

فمن همّ بأمرٍ فليستشرْ صالحَ إخوانه، وليستخرْ فيه ربّه، وليأخذ بأسبابه، ثم يتوكل على الله، كما قال تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) [آل عمران] ولذلك كان ﷺ وهو سيّد المتوكلين يأخذ بالأسباب، فلما أراد الهجرة استأجر دليلاً يدلّه على الطريق، وكان يدّخر لأهله قوت سنة، وكان إذا سافر في جهادٍ أو حجٍّ أو عمرةٍ حمل الزاد والمزاد، وكان إذا خرج للجهاد لبس لباس القتال.

الصفحة الثامن

المقسطون

قال الله تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)﴾ [المائدة] ،

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)﴾ [الحجرات]

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾ [الممتحنة] .

والمقسطون هم العادلون، والقاسطون هم الجائرون الظالمون، والمقسطون أحباب الله وأولياؤه، والقاسطون هم أعداؤه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧)﴾ [آل عمران]

وقد أمر الله تعالى بالقسط ونهى عن الظلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [النحل] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)﴾ [الأعراف] .

وقال تعالى: ﴿فَذَلِكِ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ

ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَالُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) ﴿[الشورى]
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ
يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) ﴿[الحديد] ، وقال تعالى :
﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)﴾ [الرحمن] ، وقال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ
النَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ (١٣٥)﴾ [النساء]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة].

والمقسطون في الجنة والقاسطون في النار، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ
فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)﴾ [الجن]، وقال تعالى على لسان صالح ولد آدم: ﴿لئن
بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ
جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾ [المائدة] .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ
اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ
يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ» (١)

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ
ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَفِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى

وَمُسْلِمٍ وَعَقِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العادلُ الحديث» (٢) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ مُنْجِيَاتٌ: الْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ» (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَفْكَهُ الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ» (٤) والعَدْلُ معناه وضعُ الشيء في موضعه، وصرفُ الحقِّ لمستحقِّه، والظلمُ ضدُّه وهو وضعُ الشيء في غير موضعه، وصرفُ الحقِّ لغير مستحقِّه، ومنه قولهم في الأمثال: مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، أي ما وضع الشَّبهَ في غير موضعه (٥).

وأظلمَ الظلم على الإطلاق الشرك. وأعدلَ العدل التوحيد، ولذلك سَمَّى الله تعالى الشركَ ظلمًا والمشرَكينَ ظالمينَ فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) [إقمان]، وقال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٥٤) [البقرة] وقال على لسان ذي القرنين: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا﴾ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) [الكهف]. وقال تعالى على لسان مؤمني الجن: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (١٤) [الجن] فأطلق الظلمَ مقابلَ الإيمان والإسلام.

وإنما كان المشركُ ظالمًا لأنه وضع العبادة في غير موضعها وصرفها

١- حسن: [ص.ج: ٣٠٣٥]، وانظر تخريجه وتحقيقه في «الصحيحة» (١٨٠٢).

٢- صحيح: [ص.ج: ٥٥٧١]، حم (٢٣/١٤/٢٣).

٣- متفق عليه : خ (٢/١٤٣/٦٦٠)، م (٢/٧١٥/١٠٣١)، ت (٤/٢٥٠٠/٢٤/٢٥٠٠)، ن (٨/٢٢٣ و ٢٢٢).

٤- م (٤/٢١٩٨ و ٢١٩٧/٢٨٦٥).

٥- لسان العرب (١٢/٣٧٣).

لغير مستحقها، فإنه لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله، فאלله هو الحق. وما يدعون من دونه هو الباطل.

فيا عبد الله! «لا تُشرك بالله شيئاً وإن قطعت أ و حرقت»^(١)، فإنَّ الشرك ظلمٌ عظيم، وضلالٌ مبين، يُحبط الأعمال، ويوجب الذلَّ والخسران، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) ﴿[الزمر] وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ (٢٢) ﴿[الإسراء] وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا﴾ (٣٩) ﴿[الإسراء] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢)﴾ [المائدة].

واعلم أنَّ من الشرك النذرَ لغير الله، وسؤالَ الغير ما لا يقدر عليه، كسؤاله الشفاء والولد وسعة الرزق ونحو ذلك مما لا يقدرُ عليه إلا الله.

ومن الظلم ظلمُ الإنسان نفسه بالمعصية، فمن عصى الله فقد ظلم نفسه، لأنَّه عرَّضها بالمعصية لسخط الله وغضبه، وعقابه وعذابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٤) ﴿[النساء]

فمن ترك الصلاة فقد ظلم نفسه، ومن منع الزكاة فقد ظلم نفسه، ومن أكل الحرام فقد ظلم نفسه، ومن عقى والديه فقد ظلم نفسه، ومن قطع رحمَه فقد ظلم نفسه، ومن اتبع الهوى وخالف الهدى فقد ظلم نفسه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى

مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴿[القصص].

ومن ترك السنَّة وأخذ بالبدعة فقد ظلم نفسه، ولذلك لما علَّم النبي ﷺ أصحابه الوضوء قال: «هَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ أَوْ تَعَدَّى أَوْ ظَلَمَ» (١) أي أساء الأدب بترك السنة والتأدب بأدب الشرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب (٢)

ومن الظلم ظلم الإنسان الناس بإزهاق أرواحهم، وسلب أموالهم، وانتهاك أعراضهم، ف «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ» (٣) وقد خطب النبي ﷺ بذلك في حجة الوداع فقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا» (٤)

وقد توعَّد الله الظالمين بالعذاب المهيمن، فقال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٥) مُهْطِعِينَ مُقْتِنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً (٥) ﴿[إبراهيم].

وقد قال النبي ﷺ في هذه الأنواع من الظلم: «الظلم ثلاثة، فظلم لا يَغْفِرُهُ اللهُ وظلم يَغْفِرُهُ، وظلم يتركه، فأما الظلم الذي لا يَغْفِرُهُ فَالشَّرْكُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ﴿[لقمان] وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يتركُهُ اللهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ

١- حسن صحيح: [ص: ١٢٣] (١٣٥/٢٢٥-٢٢٨/١)، ن (١/٨٨)، ج (٤٢٢/١٤٦/١).

٢- لسان العرب: (١٢/٣٧٣).

٣- م (٤/١٩٨٦/٢٥٦٤)، ج (٢/١٢٩٨/٣٩٣٣)، د (١٣/٢٢٦/٤٨٦١).

٤- متفق عليه: خ (٣/٥٧٣/١٧٤١)، م (٣/١٣٠٥/١٦٧٩).

بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَتَّى يُدَبِّرَ لِبَعْضِهِمْ مِّنْ بَعْضٍ (١)

فمن ظلم نفسه بالشرك ومات على ذلك فهو خالدٌ مُخلَّدٌ في النار، لا يخرج منها أبداً، ومن ظلم نفسه فيما بينه وبين ربِّه بما سوى الشرك من المعاصي فتأبَّ تأبَّ الله عليه، ومن لم يتب فأمره إلى الله: إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨) [النساء] .

ومن ظلم النَّاسَ فلن يغفر الله له حتى يقتصَّ منه للناس ، كما قال ﷺ :
 «لَتَوَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنُ» (٢) ولذلك حثَّ ﷺ على التحلُّل من المظالم في الدنيا فقال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَّظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» (٣).

وقال ﷺ : «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ، قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (٤)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَظَالَمُوا، وَاَعْدِلُوا فِيمَا وَلَّيْتُمْ عَلَيْهِ:

١- حسن: [ص.ج: ٣٨٥٦]، وقال الشيخ في «الصحيحة» (١٩٢٧): أخرجه أبو داود الطيالسي

في مسنده (٦٠/٢-٦٢ ترتبيه) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٣٠٩/٦).

٢- م (٤/١٩٩٧/٢٥٨٢)، ت (٤/٣٧/٢٥٣٥).

٣- خ (٥/١٠١/٢٤٤٩)، ت (٤/٣٨٣٧/٢٥٣٤) وأوله عنده «رحم الله عبداً كانت لأخيه..».

٤- م (٤/١٩٩٧/٢٥٨١)، ت (٤/٣٦/٢٥٣٣).

اتقوا الله واعدلوا في الحكم: فمن حكم منكم بين الناس فليعدل في حكمه، فقد أمر الله الأنبياء بالعدل في الحكم، فقال تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢٦) [ص] وقال لمحمد ﷺ: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤٢) [المائدة] وقال للمؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨) [النساء] .

فليتق الله القضاة في حكمهم، وليعلموا خطورة ما أولوا : فإنما تستباح الأموال والأعراض والدماء بحكمهم، فهم على خطر عظيم، فإن وُفِّقوا نجَّوا، وإن ضلُّوا هلكوا، ولذا قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ» (١)

وقال ﷺ: «الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ. فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَىٰ بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ» (٢)

فاتقوا الله واعدلوا إذا حكمتم، واتقوا الله واعدلوا إذا قلتم: كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٢) [الأنعام] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٣٥)

١- صحيح: [ص: ٣٠٤٩، د: ٣٥٥٤/٩]، ت: (٢/٣٩٣/١٣٤٠).

٢- صحيح: [ص: ٣٠٥١، د: ٣٥٥٦/٩]، ج: (٢/٧٧٦/٢٣١٥).

[النساء]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) [المائدة].

والعدل في القول معناه إعطاء كل ذي حق حقه، وإنصاف الناس في الشهادة: فإذا زكيت أحداً فاعدل بلا إفراط ولا تفريط، وإذا طلب منك أن تقول ما تعرف عن فلان فاعدل بلا إفراط ولا تفريط، وإذا طلبت منك الشهادة فاعدل ولا تقل غير الحقيقة، فإنك إن لم تقل الحق فقد قلت الزور، وقد نهيت عنه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَنَاتُ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣٠) [الحج] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٣٥) [النساء].

وعن أبي بكره قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكبائر؟ ثلاثاً. قَالُوا بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلْسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ. فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ» (١).

واتقوا الله واعدلوا مع أزواجكم، فلا تظلمن امرأتك، ولا تمنعها حقها، ولا تأكل مالها بدون طيب نفسها، وإن كانت لك امرأتان فأكثر فاعدل بينهما في المحسوسات: في الطعام والكسوة، والمبيت والنفقة، فلا تميز بينهن، ولا تؤثر إحداهن، فإنَّ الخير كلُّ الخير في العدل بينهن، فقد قال ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ

امْرَأَتَانِ قَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»^(١)

فاتقوا الله واعدلوا بين نساءكم، ولا يحملنك حُبُّ إحداهن على الميل إليها على حساب غيرها، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٢٩) [النساء].

واتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، لا تفرقوا بينهم في المحسوسات ولا في المعنويات، لا تعطوا أحداً دون الآخرين، ولا تبز لواحد دون إخوانه، ولا تقبل على أحدهم وتعرض عن غيره، وإذا مدحت فاعدل بينهم في المدح، وإذا أثبتت فاعدل بينهم في الثناء، لا تكثر من قول فلان ممتاز، فلان كذا، فلان كذا، فإن هذا قد يؤثر سلباً على الآخرين، واعدل بينهم في الطعام والكسوة، واعدل بينهم في النفقة، واعدل بينهم في العطية، واعدل بينهم حتى في القُبلة، فلا تقبل أحدهم وتترك الآخرين. ولا يحملنك حُبُّ أحدهم على الميل إليه على حساب إخوانه فيكون هو المدلل والمقرب وصاحب الخطوة، فإن ذلك يوغر صدورهم ويُغَيِّرُ قلوبهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُمِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) [يوسف].

ومن الخطأ أن يُعطي الرجل أو المرأة ولداً لبرّه، ويمنع آخر لعقوقه، بل يجب على الآباء والأمهات أن يعدلوا بين الأولاد، ولا يفرقوا بينهم ببراً أو عقوق، فلكل جزاءه عند الله.

١- صحيح: [الإرواء: ٢٠١٧] د (٦/١٧١/٢١١٩)، ت (٢/٣٠٤/١١٥٠)، ن (٧/٦٣)، ج (١٩٦٩)

/١/٦٣٣/ بالفاظ متقاربة .

ومن العدل أن يعدل المدرّسُ في المدرسة بين التلاميذ، فلا يُحابي أحداً ويجامله على حساب الآخرين مهما كانت الأسباب، بل يجب أن يسوّي بينهم في الاهتمام والتفهم، وأن يعدل بينهم في العطاء .

ومن العدل أن يعدل كلُّ مسئولٍ بين رعيّته، فكلُّ مَنْ وَلِيَ أمرَ جماعةٍ فهو مسئولٌ عنهم، وواجبٌ عليه أن يعدل بينهم،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فِكُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (١)

ومن العدلِ العدلُ في الميزان: وقد أمر الله تعالى به كثيراً، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (١)﴾ [الرحمن] وقال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)﴾ [الشعراء].

وقد توعّد الله الذين يظلمون الناسَ ويبخسونهم، فقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾ [المطففين]، وأخبر أنه أهلك أمةً بأسرها بهذه الجريمة، فقال عن قوم شعيبٍ وقد أمرهم بإقامة الميزان ونهاهم عن الخسران: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)﴾ [الشعراء].

المُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

إنَّ الإسلام هو دينُ السلام، يدلُّك على هذا أن الله سَمَّى الإسلامَ سِلْمًا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]: أي ادخلوا في الإسلام كله، وخذوا الدِّينَ جملةً، عقيدةً وعبادةً، تشريعاتٍ ومعاملاتٍ، لا تأخذوا العقيدةَ وتتركوا العبادةَ، ولا تأخذوا المعاملاتِ وتتركوا التشريعاتِ، ولكن ادخلوا في السلم كافةً، وخذوا الدِّينَ جملةً، ولا تكونوا كبنِي إسرائيل الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، فحبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة.

وإنما سُمِّيَ الإسلامُ سِلْمًا لأنَّ الذي يُسلم وجهه لله، ويدخل في السلم كافة يدخل في عالمٍ كلِّه سِلْمٌ وسلامٌ، عالمٍ كلِّه ثَقَّةٌ واطمئنانٌ، وكله رضىً واستقرارٌ، لا حيرةٌ فيه ولا قلقٌ، ولا شرودٌ ولا ضلالٌ، سلامٌ مع النفس والضمير، سلامٌ مع العقل والمنطق، سلامٌ مع الناس والأحياء، سلامٌ مع الوجود كله ومع كل موجود، سلامٌ يرف في حنايا السريرة، وسلامٌ يظلُّ الحياةَ والمجتمعَ، سلامٌ في الأرض وسلامٌ في السماء^(١)

ولكنَّ الذين كفروا يصُدُّون عن سبيلِ الله، ويبغونها عوجاً، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيضطرُّ المسلم

١- في ظلال القرآن (٢٩٨ و ٢٩٩/١)، وانظر رسالتي التي أعدتها لنيل درجة الماجستير بعنوان: الحرب والسلام في الإسلام في ضوء سورة محمد عليه السلام .

حينئذ أن يهب كالأسد يُقاتل في سبيل الله من صدّ عن دين الله، حمايةً لدينه، وتأميناً لنفسه ووطنه وأهله، طاعةً لله، وامتنالاً لأمر رسول الله ﷺ، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة مليئان بالنصوص العظيمة المرغبة في الجهاد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ [الصف].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيَذْهَبْ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ

مِنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴿آل عمران﴾ .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَةَ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً فَقَالَ هَلْ تَسْتَهْوُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا أَيْ شَيْءٍ نَسْتَهْوِي وَتَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا! فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ! نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوا» (١)

وَعَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيَحْلَى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيَزَوَّجُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ» (٢)

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فَوَاقٍ نَاقَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» (٣)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ

١- م (١٨٨٧/١٥٠٢/٣) واللفظ له، ت (٤٠٩٨/٢٩٩٩/٤).

٢- صحيح: [ص.ج: ٢٢٥٧]، ج (٢٧٩٩/٩٣٦ و ٢/٩٣٦)، ت (١٧١٢/١٠٦/٣).

٣- صحيح: [ص.ج: ٢٢٥١]، ج (٢٧٩٢/٩٣٣ و ٢/٩٣٤)، ت (١٧٠٧/١٠٤/٣)،

د (٢٥٢٤/٢١٥/٧)، ن (٦/٢٥).

٤- صحيح: [ص.ت: ١٦٣٩]، ت (١٦٩٠/٩٦/٣).

وَجَلَّ؟ قَالَ لَا تَسْتَطِيعُونَهُ. قَالَ فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَا تَسْتَطِيعُونَهُ وَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْفَائِمِ الْفَائِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَقْتَرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (١)

ولذلك قال محمد بن إبراهيم : أُملى عليّ عبدُ الله بنُ المبارك حين ودَّعته للخروج هذه الأبيات، وأرسلها معي إلى الفضيل بن عياض :

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ	فَنُحُورُنَا بِدُمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلُهُ فِي بَاطِلٍ	فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا	وَهَجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا	قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ
لَا يَسْتَوِي غُبَارُ أَهْلِ اللَّهِ فِي	أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ لَا يَكْذِبُ
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا	لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

قال فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني (٢) .

والجهد في الإسلام له غايته النبيلة ، وأهدافه السامية ، وقد بيَّنها ربُّ العزة سبحانه وتعالى في أولى الآيات نزولاً بالإذن بالقتال للمسلمين، وهي قوله تعالى : ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ

١- م (١٨٧٨/١٤٩٨/٣)، ت (١٦٦٩/٨٨/٣).

٢- فقه السنة (٣/٣٨).

فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) [الحج] .

ونستطيع أن نلخص هذه الغايات النبيلة ، والأهداف السامية ، فنقول:

أهدافُ الجهاد في الإسلام هي:

- ١- دفعُ الظُّلمِ وردُّ العدوان.
- ٢- الانتصارُ للنفس والانتصافُ للمظلوم.
- ٣- تأمينُ الدَّعوة والدُّعاة ، وحمايتهم لإقامة دين الله.
- ٤- تحقيقُ السيادة لأهل الإيمان أتباع الحق ، الذين يُصلحون في الأرض ولا يفسدون.
- ٥- حمايةُ بيوتِ الله التي يُذكر فيها اسمه من الهدم والإزالة على أيدي أهل الكفر أتباعِ الباطل ، الذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون.

وللجهاد في الإسلام آدابٌ فرضها على المجاهدين قبل الجهاد، وفي الجهاد، وبعد الجهاد، كان النبي ﷺ يوصي بها المجاهدين قبل خروجهم، كما في الصحيح عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: " اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ: ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّمُ الْجَزِيَّةَ، فَإِنْ

هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتَلَهُمْ. وَإِذَا حَاصِرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصِرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا «(١)»

ولقد التزم المجاهدون بهذه الآداب أيما التزام، مما قاد الكفار إلى الدخول في الإسلام طائعين راغبين، ومن تمسك منهم بدينه وأعطى الجزية عاش في ظل دولة الإسلام آمناً مطمئناً مكفول الحرية الدينية التي قررها القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

١- م (١٧٣١/١٣٥٧ و ٣/١٣٥٨) والسياق له، ت (١٦٦٦/٣/٨٥)، د (٢٥٩٥/٢٧١-٢٧٣/٧) مجة (٢/٩٥٤ و ٢٨٥٨/٢٨٥٨).

الصنف العاشر

الَّذِينَ يُحِبُّونَ قُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدَ

عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ سَلُّوهُ لَأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ ﷺ أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» (١).

قل هو الله أحد تسمى سورة الإخلاص، وسميت بذلك، لأنها أخلصت لذكر أسماء الله تعالى وصفاته. أو لأن من قرأها معتقداً بها فقد أخلص توحيدَهُ الله عز وجل. وهي سورة مكية، ولها فضل عظيم، ومن فضلها أنها اشتملت على اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ جَلًّا يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ» (٢).

ومن فضلها أن من أحبها أحبه الله للحديث المذكور.

ومن فضلها أن من أحبها دخل الجنة

فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ» ﴿قُلَّ هُوَ

١- متفق عليه: خ (٧٣٧٥/٣٤٧ و ١٣/٣٤٨)، م (١٠٥٧/٨١٣)، ن (٢/١٧١).

٢- صحيح: [ص. ت: ٣٤٧٥]، ت (٣٥٤٢/١٧٨)، د (٤٧٩/٣٦٢)، ج (٣٨٥٧/١٢٦٧)، هـ (٢/١٢٦٧).

اللَّهُ أَحَدٌ» فَقَالَ إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ «(١)

ومن فضلها أنها تعدل ثلث القرآن :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اِحْشَدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ إِنِّي أَرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» (٢)

وإنما كانت تعدل ثلث القرآن « لأن القرآن كله من أوله إلى آخره توحيد، فالقرآن إما خبر عن أسماء الله تعالى وصفاته، وهذا هو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه وهذا هو التوحيد الطلبي الإرادي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن الموحدين وما أكرمهم الله به في الدنيا، وما أعدّه لهم في الآخرة من النعيم العظيم، ورضوان من الله أكبر، وهذا خبر عن جزاء الموحدين، وإما خبر عن الشرك وأهله، وما أحلّ بهم في الدنيا من النكال، وما أعدّ لهم في الآخرة من العذاب، وهذا خبر عن جزاء من حاد عن التوحيد ووقع في الشرك، فالقرآن كله إما حديث عن التوحيد وأهله وجزائهم، وإما حديث عن الشرك وأهله ونكالهم، فالقرآن إذن من أوله إلى آخره توحيد «(٣) ،

والتوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد أخلصت سورة الإخلاص لتوحيد الأسماء والصفات، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن .

١- حسن صحيح [ص: ٢٩٠، ت: ٢٩٠١]، (٤/٢٤٣/٣٠٦٥).

٢- م (١/٥٥٧/٨١٢)، ت (٤/٢٤٢/٣٠٦٣).

٣- شرح العقيدة الطحاوية: (ص ٨٨).

وقال الغزالي: "مهمات القرآن معرفة الله تعالى: ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاث هي أهم المعارف في القرآن الكريم فهي أصل وما سواها تبع لها، وسورة الإخلاص قد أفردت لذكر معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن، لأنها اشتملت على ثلث أصول القرآن المهمة، وما سواها تبع لها، كما قال النبي ﷺ «الْحَجُّ عَرَفَةٌ»^(١) يعني أن الوقوف بعرفة هو أصل أركان الحج، وما سواه تبع له".

ولقد كان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة مع سورة الكافرون في ركعتي الطواف^(٢) وركعتي الفجر^(٣)، (سنة الفجر)، وفي الأخرين في الوتر إذا أوتر بثلاث^(٤).

وأمر النبي ﷺ بقراءتها مع المعوذتين دبر كل صلاة^(٥) وعند النوم كان يجمع كفيه وينفث فيهما ثم يقرأ الإخلاص والمعوذتين، ثم يمسح بكفيه وجهه وما استقبل من جسده^(٦)، وكان إذا مرض فعل مثل ذلك^(٧)، ولما مرض ﷺ مرض الموت وعجز عن القراءة والحركة، كانت عائشة رضي الله عنها تجمع كفيه ﷺ فتنفث فيهما وتقرأ، ثم تمسح بهما جسد رسول الله ﷺ^(٨).

كما أمر النبي ﷺ بقراءة الإخلاص والمعوذتين في الصباح والمساء ثلاثاً

١- صحيح: [ص. ج: ٢٤٤١] ت، (٢/١٨٨/٨٩٠) د، (٥/٤٢٥/١٩٣٣) ج، (٥/٣٠١٥/٢/١٠٠٣)،

ن (٥/٢٦٤).

٢- م (٢/٨٩٢-٨٨٦/١٢١٨).

٣- م (١/٥٠٢/٧٢٦) د، (٤/١٣٥/١٢٤٣) ن، (٢/١٥٦) ج، (١/٣٦٣/١١٤٨).

٤- صحيح: [ص. ن: ١٦٠٧] ن، (٣/٢٣٦) ت، (١/٢٨٨/٤٦١).

٥- صحيح: [ص. د: ١٣٤٨] د، (٤/٣٨٥/١٥٠٩) ن، (٣/٦٨).

٦- خ (٩/٦٢/٥٠١٧) ت، (٥/١٣٩/٣٤٦٢).

٧- م (١٠/٣٩٥/٣٨٨٤) د، (٤/١٧٢٣/-٥١-٢١٩٢).

٨- متفق عليه: خ (١٠/١٩٥/٥٧٣٥) م، (٤/١٧٢٣/٢١٩٢) د، (١٠/٣٩٥/٣٨٨٤).

ثلاثاً^(١).

(قل) هذا خطاب للنبي ﷺ ولكل من صلح للخطاب، يعني قل قولاً جازماً معتقداً له بقلبك، عارفاً به عالماً ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أحد في ذاته فلا ثاني له، وأحد في صفاته فلا شبيه ولا نظير له، ولا ند ولا عدل له، وأحد في أفعاله فلا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ (٢١) يوسف، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) يس .

ودليل أحديته قوله تعالى ﴿وَالِهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٣) إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (١٦٤) البقرة [فخلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر، والسحاب الذي يجري في السماء، وإحياء الأرض الميتة بالماء كل ذلك دليل على أحدية الله عز وجل، ذلك أن الله وحده هو الذي دبّر هذا كله، وصرّقه وفق مشيئته وإرادته، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه. قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١١) لقمان. فإله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السموات والأرض ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٦٢) الفرقان [والذي تجري الفلك في البحر بأمره: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٤) الشورى] وهو الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الأرض بعد موتها، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ

الْبَعَثُ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ
وَعَبْرٍ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا
يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى
وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ
فِي الْقُبُورِ (٧) ﴿الحج﴾ ولذا قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَعِلَّةَ
مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَعِلَّةَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ
الْأَرْضِ أَعِلَّةَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَعِلَّةَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
(٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعِلَّةَ مَعَ اللَّهِ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) ﴿النمل﴾

فوا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ قالوا في معنى الصمد: الذي لا جوف له، الباقي بعد فناء
خلقه. الذي يقصده الخلائق كلهم في قضاء حوائجهم ومسائلهم. السيد الذي بلغ
الكمال في سؤده. الشريف الذي بلغ الكمال في شرفه. والعظيم الذي بلغ
الكمال في عظمته. والحكيم الذي بلغ الكمال في حكمته. والعليم الذي بلغ الكمال
في علمه. والحليم الذي بلغ الكمال في حلمه^(١).

والصحيح أنها كلها أقوال متقاربة المعنى، ولا تعارض بينها، ولا تباين ولا اختلاف، فالله الأحد ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (٣) [الحديد]، وهو الغفور الحليم، وهو العليم الحكيم، وهو الغني ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦) [طه]، ولذلك يقصده الخلاق كلهم في حوائجهم ومسائلهم، لشدة غناه وشدة فقرهم إليه ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢٩) [الرحمن] وسؤالهم إياه دليل فقرهم وكثرة غناه، فلولا أنهم إليه فقراء ما سألوه، ولولا أنه غني ما سألوه، ولولا أنه مطلع على كل شيء ما توجهوا إليه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (٦٧) [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٤١) [الأنعام] فالله تعالى هو الصمد، الذي يقصده الخلاق كلهم بحوائجهم ومسائلهم، وما من إنسان تصيبه شدة ١ تنزل به مصيبة، براً كان أو فاجراً، مطيعاً كان أو عاصياً، مؤمناً كان أو كافراً، غنياً كان أو فقيراً، ما من إنسان تصيبه شدة ٢، أو تنزل به مصيبة إلا وجد نفسه لاجئاً إلى الله مضطراً إليه، يلهج بدعائه وسؤاله: يا الله ! يا الله ! يا رب ! يا رب ! ذلك أن الله فطر الناس على توحيده، فاجتالتهم الشياطين، وعلا الرأى القلوب فغطاها وغلفها فإذا شدة أزال الت الرأى عن الفطرة فتوجه الإنسان بفطرته إلى الله يسأله أن يكشف عنه السوء ويجيب الدعاء. ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) [النمل]

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ” أدخلت "ال" على " الصمد" ولم تدخل على "أحد" لأنه ليس في الأعيان من يسمى بأحدٍ في الإثبات إلا الله تعالى، بخلاف النفي وما في معناه كالشرط والاستفهام، فإنه قد يدخل فيه لفظ أحد، نقول: ما في الدار أحد، هل في الدار أحد؟ إن جاءني أحد من طرفك أكرمته. ولكن لا يطلق لفظ "أحد" في الإيجاب إلا على الله تعالى، ولذلك قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

ولم يقل: قل هو الله الأحد .

أما الصمد، فهو المقصود الذي يقصد في الحوائج والمسائل، فإن بعض الخلق قد يقصد في الحوائج من بعض الخلق، فلم يقل الله تعالى: الله صمد لأن هناك من الخلق من يصمد عليه ويقصد في الحوائج، وإنما قال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ليعلم عباده أن الذي يجب أن يصمد عليه ويقصد في الحوائج والمسائل كلها هو الله وحده دون غيره^(١).

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفى الله عن نفسه سبحانه الولد، كما نفى عن نفسه سبحانه الوالد، والعكس هو الأصل، فكان الأصل أن يقدم نفي الوالد على نفي الولد، لأن الولد يكون من الوالد، ولكن لما لم يُسمع في الناس البتة من يدعي لله والدًا، وإنما سُمع من الناس من ادعى لله الولد، قَدِمَ سبحانه في النفي ذكر الولد على الوالد فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ..

ولقد كثر في القرآن الكريم نفي الولد عن الله عز وجل، وذم الذين نسبوا إليه الولد، قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)﴾ [الكهف] وقال سبحانه ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣)﴾ [مريم] فإذا كان من في السموات والأرض عبيده فما به من حاجة إلى اتخاذ ولد من عبيده .

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ (٩١) [المؤمنون]
 وقال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٦٨) [يونس]، فالله غني عن اتخاذ الولد أما الإنسان فهو الذي يحتاج إلى الولد، الإنسان يحتاج إلى الولد ليبقى ذكره في الناس بولده بعد موته، والله حي لا يموت، لا يحتاج إلى ولد يحمل اسمه بعد موته لأنه لا يموت. الإنسان يحتاج إلى الولد ليأكل من كسبه ويستغني بماله، والله سبحانه هو الذي يطعم ولا يطعم، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وهو الغني، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦) [طه]. والإنسان يحتاج إلى الولد ليستكثر به من قلة، ويقوى به من ضعف، والله تعالى هو القدير، وهو القادر، وهو القوي، وهو الغالب، وهو القاهر، وهو الجبار، وهو المنتقم، وهو المتكبر، فليس بالله حاجة إلى اتخاذ الولد. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لم يكن لله ألبته ند، ولا نظير، ولا شبيه، ولا عديل، وهذه الآية كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ليس كمثل شيء في ذاته، وليس كمثل شيء في صفاته، وليس كمثل شيء في أفعال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى]

وهكذا كانت سورة الإخلاص ثلث القرآن، لأن القرآن كله —كما بينا— توحيد، والتوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد أفردت له سورة الإخلاص.

أما توحيد الربوبية فمعناه: الإيمان الجازم مع الإقرار بأن اله هو رب العالمين، خالق الخلق، ومالك الملك، ومدبر الأمر، يحي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويرفع ويضع، ويتصرف في ملكه كيفما شاء، ولا مصرف للكون غيره، ولا مدبر للكون سواه.

أما توحيد الألوهية فمعناه: الاعتقاد الجازم مع الإقرار بأن الله رب

العالمين هو إله العالمين، فكما لا ربّ للعالمين غيره، فلا إله لهم سواه، وهذا معنى قولنا لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله.

والتوحيد الأول لا يسمن ولا يغني من جوع بدون توحيد الألوهية، فمن أقر بأن الله ربّ العالمين، مالك الملك، ومدبر الأمر، ولم يقر بأن الله هو الإله المستحق للعبادة دون سواه، لم ينفعه الإقرار بأن الله ربّ العالمين، فالمشركون كانوا يقولون بأن الله رب العالمين: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧) [الزخرف] وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] فما أغنى عنهم إيمانهم بأن الله رب العالمين.

فلا بد أن يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً أن الآلهة كلها سوى الله آلهة باطلة، وأنه لا يستحق العبادة أحد إلا الله، ويجب على كل مسلم أن يعرف معنى هذه الكلمة الطيبة التي يرددها على لسانه في اليوم مرات: لا إله إلا الله، وأن يعلم أن معناها: لا معبود بحق إلا الله.

أما توحيد الأسماء والصفات، الذي أخلصت له سورة الإخلاص فمعناه: أن نثبت لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبتته لنفسه في محكم كتابه، أو فيما صحّ على لسان رسوله ﷺ، من غير تكييف ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تعطيل، وقوفاً عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى] و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، وسبيل الحق بينهما لأهل السنة والجماعة، إثبات من غير تكييف ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تعطيل، فنثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه في محكم كتابه، أو

فيما صحَّ على لسان رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، ونفوض العلم بالكيفية إلى الله عزَّ وجلَّ، أنه لم يعلمنا كيف هو؟ فنثبت الصفة ونحن نعلم معناها، أما كيفيتها فنردها علمها إلى الله تعالى، ومثال ذلك، أنا نقول في قول ربنا ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] الاستواء معلوم، وهو العلو والارتفاع، فربنا على العرش استوى، أي علا وارتفع لا كاستوائنا، وإنما استواء يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، أما كيف استوى؟ فهذا يجب أن نسكت عنه، لأن الله لم يخبرنا عنه ولا رسوله ﷺ .

وكما يجب أن نثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات يجب أن ننفي عنه سبحانه من النقائص والمعاييب ما نفاه عن نفسه، وأن نعلم أن أسلم طريقة للنفي هي طريقة القرآن، حيث يجل في النفي، ويفصل في الإثبات، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) ﴿إِفْصَلْتَ﴾. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١] هذه طريقة القرآن في النفي، أما طريقته في الإثبات فهي التفصيل : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر].

وهذه الطريقة القرآنية تخالف الطريقة الكلامية التي تجمل في التفصيل وتفصل في النفي، فيقولون ليس بجسم، ولا شبح، ولا كذا، ولا كذا، ولا كذا، وهذه طريقة مذمومة لمخالفتها الطريقة القرآنية الحكيمة، ولذلك قال السلف: إذا أجملت في النفي فقد أجملت في الأدب^(١) نسأل الله تعالى أن يفقهنا في دينه، وأن

١- شرح العقيدة الطحاوية (١٠٩).

يؤدبنا بأدب القرآن، وأن يخلقنا بأخلاق القرآن، وأن يرزقنا سلامة التوحيد
وسلامة العبادة، أنه ولي ذلك والقادر عليه.

الصنف الحادى عشر

الَّذِينَ لَا يَحْلِفُونَ إِلَّا بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْلِفُوا بِاللَّهِ وَبِرَّوَا وَاصْدُقُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُحْلَفَ بِهِ»^(١)

كثرت في هذه الأيام أيمانُ الناسِ بغير الله، فمنهم من يحلفُ بالطلاق، ومنهم من يحلفُ بالتحريم، تحريمِ زوجهِ أو دينهِ، ومنهم من يحلفُ بمَلَّةٍ غير ملة الإسلام، ومنهم من يحلفُ بأبيه وأمه، ومنهم من يحلفُ بشيخه، وكلُّها أيمانٌ باطلة تدلُّ على الجهل بفقهِ الأيمان، وما تكون به وما لا تكون، كما تدلُّ على الجهل بسوء عاقبتها، فقد تطلَّقتُ المرأة، وقد تحرَّمتُ، وقد يخسر الرجل دينه، وقد يرتدُّ بعد إيمان والعياذ بالله، لذلك وجب التنبيه على فقهِ الأيمان والتذكير به و «من يرد الله به خيراً يُفَقِّههُ في الدين»^(٢)

الأَيْمَانُ : «جمع يمين، وأصلها في اللغة اليد، وأطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كلُّ بيمين صاحبه، وهي في الشرع: تأكيدُ الشيء بذكر اسم الله أو صفةٍ من صفاته».

ولا تتعقَّد اليمينُ إلا بالله، أو اسمٍ من أسمائه، أو صفةٍ من صفاته، كأن يقول: والله، وعزَّة الله، وجلال الله، والذي نفسي بيده، وربُّ الكعبة، والذي على العرش استوى، وكلام الله، والقرآن الكريم، ونحو ذلك.

١- صحيح: [ص:ج:٢٠٩]، وقال الشيخ في «الصحيحة» (١١١٩): رواه السهمي في «تاريخ جرجان» (٢٨٨) والتقي في «التقفيات» (ج٣ رقم ١٥ من منسوختي) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٧/٧).

٢- متفق عليه: (خ:٣١١٦/٢١٧)، م: (٢/٧١٨)، ج: (٢٢٠/٨٠).

والحلف بالله عبادةٌ يُحبُّ الله أهلها، وهو جائزٌ من غير استحلاف لتوكيد الشيء أو نفيه، ولذلك كثرت أيمانُ النبي ﷺ دون استحلاف، كقوله لمعاذ: والله إني لأحبك، وكقوله: والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، وكان أكثر أيمانه لا ومقلب القلوب.

ولا يجوز الحلف بغير الله، فـ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْنُتْ» (٢)

وَعَنْ ابْنِ بَرِيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنْنا» (٣)،

ومن أخطر الأيمان الحلف بملةٍ غير الإسلام، كقول بعضهم يحرمُ عليه دينه، يخسرُ دينه، إن فعل كذا فهو يهوديٌّ أو نصراني، هذه الأيمان من أخطر الأيمان وأعظمها ضرراً، ومع ذلك يردُّها الصبيانُ في الشارع تقليداً للكبار:

عن ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ» (٤)

١- صحيح: [ص.ت: ١٥٣٥]، ت(١٤٧٤/٥٥ و٣/٤٦٦).

٢- متفق عليه: خ(١١/٥٣٠/٦٦٤٦)، م(٣/١٢٦٧-٣-١٦٤٦)، د(٩/٧٧/٣٢٣٣)، ت(٣/٤٥/١٥٧٣).

٣- صحيح: [ص.د: ٢٧٨٨]، د(٩/٨٠ و٣٢٣٧/٧٩ و٩/٨٠).

٤- متفق عليه: خ(١١/٥٣٧/٦٦٥٢)، م(١١/١٠-١٧٧-١/١)، د(٩/٨٤ و٨٣/٣٢٤٠)، ت(٣/٥٠/١٥٨٣)، ن(٧/٦)، ج(١/٦٧٨/٢٠٩٨).

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا» (١)

فيا معشر المسلمين «لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ» (٢)،

وقد يعتذر البعض عن حلفهم بغير الله بأنهم يخافون الكذب، والجواب عن ابن مسعود أنه قال: «لَأَنْ أَحْلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَحْلَفَ بغيره صَادِقًا» (٣)

وقد يعتذر البعض بأن الله نهى عن الحلف به فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤) [البقرة]

والجواب أن هذا المفهوم ليس هو المراد من الآية، وإنما معناها كما قال ابن عباس: «لَا تَجْعَلَنَّ عُرْضَةً لِيَمِينِكَ أَنْ لَا تَصْنَعَ الْخَيْرِ، وَلَكِنْ كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ وَاصْنَعِ الْخَيْرَ» (٤).

ثم إنَّ الأيمانَ ثلاثة أقسام: اليمين اللغو، واليمين الغموس، واليمين المنعقدة :

أما اليمين اللغو: فهو الحلف من غير قصد اليمين، كقول الرجل: والله لتأكلنَّ أو لتشربنَّ ونحو ذلك، لا يريد به يمينا، فلا ينعقد هذا اليمين، ولا يؤخذ به الحالف. قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا

١ - صحيح [ص: د: ٢٧٩٣]، د: (٩/٨٥/٣٢٤١)، ن: (٧/٦)، ج: (١/٦٧٩/٢١٠٠).

٢ - صحيح [ص: د: ٢٧٨٤]، د: (٩/٧٦/٣٢٣٢)، ن: (٧/٥).

٣ - صحيح: طب (٩/٢٠٥/٨٩٠٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/١٨٠) رجاله رجال الصحيح.

٤ - ابن كثير: (١/٢٦٦).

عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ ﴿[المائدة: ٨٩]﴾ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي ﴾ أَنْزَلَتْ فِي قَوْلِ لَا وَاللَّهُ، وَبَلَى وَاللَّهُ» (١) .

أما اليمين الغموس فهي اليمين الكاذبة التي تَهْضُمُ بها الحقوق، أو التي يُقصدُ بها الفسق والخيانة: وهي أن يحلفَ الرجلُ بالله ما فعلَ وقد فعل، أو يحلفَ بالله أنه فعل ولم يفعل، وهو واثقٌ من كذبه، قاصدٌ له، متعمدٌ، وقد أمر النبي ﷺ بالصدق في اليمين فقال: «احلفوا بالله وبروا وصدقوا..... الحديث» وقال: «من حلف بالله فليصدق» (٢)، فمن تعمَّدَ الكذبَ في يمينه فقد أتى كبيرةً من الكبائر، استحقَّ بها أن يُغمس في النار، ولذلك سُمِّيَتِ اليمينُ الكاذبةُ اليمينُ الغموسُ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٧) [آل عمران].

وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) [النحل] قال الطبري: «معناها لا تجعلوا أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم توفون بالعهد لما عاهدتموهم دخلاً أي خديعة وغدراً ليطمئنوا لكم وأنتم تضمرون لهم الغدر» (٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَالَ الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَغُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ» (٤)

١- خ (١١/٥٤٧/٦٦٦٣).

٢- صحيح: [ص. ج: ١٧٠٨، ج: ١٧٠٩/٢١٠١].

٣- تفسير الطبري (١٤/١٦٦).

٤- خ (١١/٥٥٥/٦٦٧٥)، ن (٧/٨٩)، ت (٤/٣٠٣/٥٠١٠).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ ليسَ لهنَّ كفارة: الشركُ بالله عزَّ وجلَّ، وقتلُ النفسِ بغيرِ حقٍّ، أو نهبُ مؤمنٍ، أو الفرارُ من الزحف، أو يمينٌ فاجرةٌ يقطعُ بها مالاَ بغيرِ حقٍّ» (١)

وعن أبي أمامة أن رسول الله قال ﷺ: «مَنْ افْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ» (٢)

فلا يحلفنَّ أحدكم بالله كاذباً مهما كلفه الصدق، ولا يحلفنَّ أحدكم بالله كاذباً وإن رأى فيه النجاة فإن فيه الهلاك.

أما اليمينُ المعنقدة فهي اليمين التي يقصدها الحالف ويعزم عليها توكيداً لفعل شيءٍ أو تركه، فإن كان ما حلف على فعله خيراً كان الأولى البرُّ به، لقوله ﷺ: «احلفوا بالله وبروا»، فإن لم يفعل كان عليه كفارة يمين، وإن كان ما حلف عليه شراً كان الأولى الحنثُ فيه، وعليه كفارة يمين، لقول النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِهَا وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ» (٣) كأن يحلف أن لا يزور أخته وأخاه، أو يحلف أن لا يكلمهما ونحو ذلك، فعليه أن يكفر عن يمينه ويفعل الخير، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤) [البقرة] قال ابن عباس: «لا تجعلنَّ عرضةً ليمينك أن لا تفعل الخير، ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير» (٤)

١- حسن: [ص.ج: ٣٢٤٢، حم: ١٤/٦٨/٢٢٠].

٢- م (١/١٢٢/١٣٧)، ن (٨/٢٤٦).

٣- م (١٦٥٠-١٣/١٢٧٢/٣)، ت (٣/٤٣/١٥٦٩).

٤- تفسير ابن كثير (١/٢٦٦).

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَنْ يَلْجَأَ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ أَثَمَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ» (١)

وعن أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا» (٢)

وكفارة اليمين: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن عجز عن هذه الخصال فكفارته صيام ثلاثة أيام، ولا يجوز التكفير بالصوم مع القدرة على غيره، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨٩) [المائدة].

ومن الأيمان الشائعة الحلف بالطلاق والحرام:

أما الطلاق فهو أن يحلف الرجل لامرأته بالطلاق بأن تفعل أو لا تفعل، كأن يحلف عليها بالطلاق أن تأخذ ميراثها من إختها، أو تريد زيارة أهلها فيحلف عليها بالطلاق أن لا تزورهم. فهذا الرجل نقول له: اتَّقِ اللَّهَ واستجب لربك حيث قال: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ (٨٩) [المائدة] ما للطلاق وأن تفعل امرأتك أو لا تفعل! إنَّ الطلاق هو بابُ الخروج من الحياة الزوجية عند تعذُّرها، كما أنَّ النكاح هو بابُ الدخول إليها، وإذا حلفت بالطلاق وأكثرت منه ربما هدمت بيتك من حيث لا تريد أن تهدمه، وهذا اليمين عند الفقهاء طلاقٌ معلقٌ: فمن كان عند حلفه يكره الطلاق كما يكره الكفر بعد الإيمان، وكما يكره أن يُقذف في النار

١- متفق عليه: خ (١١/٥١٧/٦٦٢٥)، م (٣/١٧٦/١٦٥٥).

٢- متفق عليه: خ (١١/٥١٧/٦٦٢٣)، م (٣/١٢٦٩ و ١٢٦٨/١٦٤٩)، د (٩/٩٥/٣٢٥٠)،

ن (٧/١٠٩).

وإنما حلف بالطلاق حثاً لها على الفعل أو الترك، فعليه كفارة يمين، وإن كان ينوي الطلاق ويريده إن حنث فهو وما أراد، كما قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (١)

أما الحلف بالحرام: كأن يحرم الرجل عليه طعاماً أو شراباً، أو كلامَ فلانٍ ودخولَ دار فلان، أو يحرم امرأته فيقول لها: أنت علي حرام، ففي هذا كله كفارة اليمين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى آيْتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَتَقَلُّ لَهُ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ! قَالَ لَا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا» (٢)

قال ابن عباس: في الحرام يمين يكفره ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) ﴿[الأحزاب].

أما إن زاد الرجل في تحريم امرأته التشبيه بأمه فقال لها: أنت علي حرام كحرمة أمي، فهذا ظهار، ففيه الكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وامرأته عليه حرام حتى يكفر، لقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوَعَّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

١- متفق عليه: خ (١/٩/١)، م (٣/١٥١٥/١٩٠٧)، د (٦/٢٨٤/٢١٨٦)، ت (٣/١٠٠/١٦٩٨)، ن (١/٥٩)، ج (٢/١٤١٣/٤٢٢٧).

٢- متفق عليه: خ (٨/٦٥٦/٤٩١٢)، م (٢/١١٠٠/١٤٧٤)، د (٢/١٧٥ و ١٧٤/٣٦٩٦)، ن (٦/١٥٢ و ١٥١).

وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) [المجادلة] ، هذا هو فقه الأيمان فاحفظوه ” واحلفوا بالله وبروا واصدقوا فإن الله يحب أن يحلف به “، و ” لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله إلا وأنتم صادقون “.

الصف الثاني عشر

المؤمنُ القويُّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَحَ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١)

المؤمنُ القوي، أي القويَّ الإيمان، فإنَّ الإيمان يتفاوت في القلوب قُوَّةً وضعفًا وزيادةً ونقصًا، وليس إيمان المتأخرين كإيمان السابقين، ولذلك لما أسلم نفرٌ من الأعراب ثم قالوا آمنا أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] وليس المراد نفي الإيمان عنهم فإنَّ معهم أصله الذي يوافق الإسلام ولا يكون الإسلام بدونه، وإنما المراد نفي كمال الإيمان وحقيقته ولم يجاهدوا أنفسهم في فعل الصالحات التي يزيد بها الإيمان، ولذلك عرّفهم حقيقة الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) [الحجرات]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧) [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا (٤) ﴿[الأنفال].

فكلما قوي إيمان المؤمن قويت عزيمته وازدادت رغبته في فعل الخير والتقرب إلى الله عز وجل، فهو يصوم النهار، ويقوم الليل، ويقرأ القرآن، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصبر على مشاق ذلك من أجل الله عز وجل، وهو متعلق بالصالحين الذين يعينونه على ذلك، حريص على مجالسهم وحريص على مجالس العلم التي تفقه في دينه، وتبصره بعبوبه، متعلق بالمساجد التي تشهد عمارتها بالإيمان.

وإذا ضعف إيمان المؤمن ضعفت عزيمته، ونقصت رغبته فيما عند الله، وقصر في الواجبات، وفعل المحرمات، كما هو حال كثير من المؤمنين والمؤمنات، لذلك كان المؤمن القوي خيراً وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لأن المؤمن القوي يتقرب إلى الله بالفرائض ثم بالنوافل وهي من موجبات محبة الله للعبد كما في الحديث القدسي: « وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ » (١)

وإنما فسرنا القوة هنا بقوة الإيمان لأنها الدافع إلى الأعمال، ومنها يستمد البدن قوته وإن ضعفت بُنيته، ولذلك ترى كثيراً من الضعفاء والعجزة يجاهدون أنفسهم على فعل الخيرات وإقامة الصلوات والغدو إلى الجماعات، حتى إن الرجل ليتوكأ على عصاه حتى يحضر الجماعة، بينما تخلف كثيرون ممن قويت أبدانهم ومتّعهم الله بصحتهم، فقوة البدن وحدها لا تميّز أحداً على أحد، ولا يفاضل بها بين الناس، إلا إذا كان معها قوة الإيمان، فكان المؤمن قوي الإيمان قوي البدن فسلط قوة إيمانه على قوة بدنه فاستخدمها في فعل الخير، كما كان عبدٌ

الله بن عمرو بن العاص يصوم النهار ويقوم الليل ويقرأ القرآن كل ليلة حتى
نهاه رسول الله ﷺ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنْتُ أَصُومُ
الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ. قَالَ فِيمَا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّمَا أُرْسِلَ إِلَيَّ
فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ بَلَى يَا
نَبِيَّ اللَّهِ! وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَإِنَّ لَزَوْجَكَ عَلَيْكَ
حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا. قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ
ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ. قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: كَانَ
يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا. قَالَ: وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ. قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ
اللَّهِ! إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ. قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ
اللَّهِ! إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِ. قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ!
إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ
لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (١)

فيا أيها المؤمن! قوِّ إيمانك وزدِّ في يقينك بمجاهدة نفسك على فعل
الخيرات وترك المنكرات، ويا قويَّ البدن ضعيفَ الإيمان «اغتنم شبابك قبل
هرمك، وصحتك قبل مرضك» (٢) لا تتفكّر صحتك في الحرام، ولا تضيعن شبابك
في اللهو، فإنَّ الخاسرين الذين يفعلون ذلك:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِعَمَّانٍ مَغْبُورٍ
فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (٣) فاغتنم صحتك قبل مرضك، وفراغك

١- متفق عليه: خ (١٩٧٥/٢١٧ و ٢١٨/٤) م (١١٥٩/٨١٣-٨١٢/٢).

٢- صحيح: [ص: ج: ١٠٨٨] مك (٤/٣٠٦).

٣- خ (١١/٢٢٩/٦٤١٢) ت (٣/٣٧٧/٢٤٠٥) ج ه (٢/١٣٩٦/٤١٧٠).

قبل شغلك، وكن قويَّ الإيمان قويَّ البدن يحبك الله، فإنَّ المؤمنَ القويَّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيفِ.

ثم علَّما رسولُ الله ﷺ الإنصافَ في المفاضلة فقال: "وفي كلِّ خيرٍ" في المؤمنِ القويِّ خير، وفي المؤمنِ الضَّعيفِ خير، وإن كان خيرُ الأول أكثرَ من خيرِ الثاني، لكنَّ الإنصافَ يقتضي الاعترافَ بفضلِ ذي الفضل وإن كان غيره أفضلَ منه، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥] وحتى لا يزدري أحدُ القاعدين ويحتقرهم قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٩٥) [النساء] وقال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لَحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا [الأنبياء ٧٨ و٧٩]

فإذا فاضلت بين الناس فلا يحملنَّك حُبُّ الأفضل على ازدراء المفضول وهضم حقه وعدم الاعتراف بفضلِه، بل يجب أن تكون حكماً عدلاً، تعترف لكلِّ بفضلِه دون غلوٍّ ولا تقصير، ولا إفراطٍ ولا تفريط، وحينئذٍ يجوز التفاضلُ بين ذوي الفضل وإلا فلا،

ولذلك قال ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبُهُ إِلَى أَبِيهِ» (١) وقال ﷺ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ» (٢)، مع أنه ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣)، وإنما نهى عن تعظيمه لأنه استشعر منهم أنهم قد ينتقصون إخوانه المرسلين كما جاء في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

١- متفق عليه: خ(٣٤١٣/٦/٤٥١)، م(٢٣٧٧/٤/١٨٤٦).

٢- متفق عليه: خ(٢٤١٢/٥/٧٠)، م(٢٣٧٤/٤/١٨٤٥).

٣- م(٢٢٧٨/٤/١٧٨٢)، د(٤٦٤٥/٤/٢٦٢٦).

”بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَغْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ شَكَ عِبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وَقَالَ: تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا؟ قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ، فَلَانَ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا! قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ“ (١)

ثم وصَّى النبي ﷺ المؤمنَ وصيَّةً جامعةً للخير كله فقال: ”أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ“ أحرص على ما ينفعك في الدنيا، وأحرص على ما ينفعك في الآخرة، أحرص على ما ينفعك في الدنيا من علمٍ وعملٍ وتجارةٍ وصناعةٍ وزراعةٍ، وسائر أسباب الحياة التي مكنَّك الله منها، وأعمل لدينك كأنك تعيش أبداً، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) [التقصص].

وأحرص على ما ينفعك في الآخرة من إسلامٍ وإيمانٍ وإحسانٍ، وصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍّ، وسائر ما يقربك من الله، لا تهمل دينك ولا تهمل آخرتك، كن في عمل الدنيا فإذا فرغت منه فكن في عمل الآخرة، وإذا كنت في عمل الآخرة ففرغت منه فكن في عمل الدنيا، ولا تترك نفسك هملًا لا أنت في عمل الدنيا ولا أنت في عمل الآخرة، وهذا ما أمر الله تعالى به حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) [الشرح] إذا فرغت من عمل الدنيا فانصب في عمل الآخرة، وإذا فرغت من عمل الآخرة فانصب في عمل الدنيا، وإذا تعارض عمل الدنيا مع

عمل الآخرة فقدم عمل الآخرة، فإذا كنت تعمل لدنياك فحضرت الصلاة وهي من أعمال الآخرة فانفض يديك من عمل الدنيا وقم إلى الصلاة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)﴾ [الجمعة] وهو أيضاً معنى قوله ﷺ "أحرص على ما ينفعك"، فإذا تعارضت منفعة الدنيا مع منفعة الآخرة أحرص على ما ينفعك وهو ما ينفعك في الآخرة.

فإذا عرفت ما ينفعك وحرصت عليه فاستعن بالله على تحقيقه والوصول إليه، فإنه:

إن لم يكن عونٌ من الله للفتى فأولُ ما يجني عليه اجتهدُه

فإنه "لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله: لا قوَّةَ لأحدٍ ولا قدرةَ لأحدٍ على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، ولا تحوُّلَ لأحدٍ عن معصية الله إلا بمعونة الله" (١) وهذا هو سرُّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) [الفتحة]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [مود: ١٢٣]، وإذا بذلتَ جهْدَكَ في السَّعيِ فاصبر على ما أردتَ وتحمل المشاقَّ في سبيل تحصيل ما يَنْفَعُك، وإياك والعجزَ والكسلَ، فترك ما حرصتَ عليه. مما ينفعك، فمأذمت موقناً أنَّ هذا مما ينفعك فاسع إليه واصبر حتى تتاله وليكن شعارك:

لأستسهلنَّ الصعبَ أوْ أدرك المُنَى فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرٍ

ولذلك كثيرٌ ما هم الذين رأوا ما ينفعهم في المساجد والغدو والرواح إليها فحرصوا عليه ثم عجزوا فتركوا، وكثيرٌ ما هم الذين رأوا ما ينفعهم في طلب العلم الشرعي فحرصوا عليه وسعوا إليه ثم عجزوا فتركوا، فإذا علمتَ ما ينفعك وحرصتَ عليه فاستعن بالله على نيَّله ولا تعجز فتقعد دونه، وإذا أمسيتَ فقل:

«أَمْسِنَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» (١) وإذا أصبحت فقل مثل ذلك. وعليك بالإكثار من: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ» (٢)

فإن حرصت على ما ينفعك ففانك فلا تحزن عليه «وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ» (٣) «واعلم أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِئَتِهِ، وَمَشِئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِئَةَ الْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ» (٤). واعلم أنه لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقضاء كله خيره وشره خلوه ومُره، واعلم أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكُتِبَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴿[الحديد] فَإِنْ حَرَصْتَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَلَيْهِ فَحَصَلَتْهُ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَإِنْ فَاتَكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَكَمْ مِنْ شَيْءٍ ظَنَنْتَ أَنَّهُ نَافِعُكَ وَحَرَصْتَ عَلَيْهِ وَبَذَلْتَ جَهْدَكَ فِي تَحْصِيلِهِ ثُمَّ فَاتَكَ فَحَزَنْتَ عَلَى فَوَاتِهِ، وَنَدِمْتَ عَلَى ضَيَاعِهِ، ثُمَّ ظَهَرَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ فَوَاتِهِ كَانَ خَيْرًا مِنْ حَصُولِهِ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ

١- م (٢٧٢٣-٧٤ و ٧٥-٢٠٨٨ و ٢٠٨٩/٤) هـ (٥/١٣٣/٣٤٥٠) د (٥٠٩/٥٠٥٠ و ٤١٠/١٣).

٢- متفق عليه: خ (١١/١٧٦/٦٣٦٧)، م (٤/٢٠٧٩/٢٧٠٦)، ن (٨/٢٥٨ و ٢٥٧)، د (٥/١٨٣/٣٥٥٢) ت (٤/٤٠١/١٥٢٥).

٣- صحيح: [ص. د: ٣٩٣٢] د (٤٦٦٥/٤٦٦ و ١٢/٤٦٧)، ج (٢٩/٧٧ و ١/٣٠).

٤- العقيدة الطحاوية. تعليق الألباني (٢١).

كُرْهَ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة].

فإن فاتك ما تظنه نافعا، أو أصابك ما تظنه ضارًا بعد أن بذلت الوسع في جلب النفع ودفع الضرر فلا تتدم ولا تتحسر، ولا تقل لو أنني فعلت كذا لحصلت ما أردت، ولو أنني فعلت كذا ما أصابني ما أصابني، فإن لو تفتح عمل الشيطان الذي يحزنك حزناً تعترض به على القضاء، وتشتكي به الله عز وجل، فإياك ولو الدالة على الاعتراض والشكاية، وإنما قالها أولياء الشيطان من الكافرين والمنافقين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٦٨) [آل عمران] فقد نهانا الله أن نقول قولهم ونتشبه بهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٥٦) [آل عمران] فلا تقل كما قال الكافرون والمنافقون لو أنني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل قول المؤمنين: قدر الله وما شاء فعل، فإن ذلك يطمئن قلبك، ويذهب همك وغمك، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) [التغابن].

الصنف الثالث عشر

أَهْلُ السُّنَنِ وَأَصْحَابُ النَّوَافِلِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (١)

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: «اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلاة ثلاثة أقسام: سنن، ومستحبات، وتطوعات، ونعني بالسنة ما نقل عن الرسول ﷺ المواظبة عليه، كالرواتب عقب الفرائض والوتر والضحي، ونعني بالمستحب ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كالصلاة عند دخول المنزل والخروج منه، ونعني بالتطوع ما وراء ذلك مما لم يرد به خبر لكن العبد يتطوع بفعله، وتسمى هذه الأقسام الثلاثة نوافل، لأن النفل هو الزيادة، وهذه زيادة عن الفرائض» (٢).

ومن فضائل النوافل مطلقاً أنها توجب للعبد محبة الرب، كما في الحديث «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ»

١- خ (٦٥٠٢/٣٤٠ و ١١/٣٤١)، وقد شرحت هذا الحديث في «الأربعون المنبرية» فراجعه

ولكني هنا قصدت منه ما دل عليه العنوان .

٢- إحياء علوم الدين: (١/١٩٢).

ومن فضائلها أنها تكمل نقص الفرائض كما في الحديث عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ» (١)

لذلك يستحب للمسلم الإكثار من التطوع تقرباً إلى الله وجبراً لما يقع في الفرائض من نقص.

ومن رحمة رسول الله ﷺ بالمؤمنين أن شرع لهم مع كل فريضة نافلة: فللصلاة نافلة، وللصوم والزكاة والحج.

فمن نافلة الصلاة: السنن الرواتب قبل الصلاة وبعدها، ومن أكد ذلك: ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، فهذه ثنتا عشرة ركعة يقول فيها النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» (٢) وفي سنة الفجر يقول ﷺ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٣) ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مُعَاهَدَةً مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ» (٤)

وأما سنة الظهر فعن أم حبيبة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا وَبَعْدَهَا أَرْبَعًا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (٥)

١- صحيح: [ص: ٤١٣]، ت (١/٢٥٨/٤١١)، ن (١/٢٣٢)، ج (٤٢٥ و ١٤٢٦/١/٤٥٨).

٢- م (١/٥٠٣ و ٧٢٨/٢/٥٠٣)، د (٤/١٣٢/١٢٣٧)، ت (٤/١٣٢/٤١٣)، ن (١/٢٥٩/٤١٣)، ج (٣/٢٦١)، ج (١/٣٦١/١١٤١).

٣- م (١/٥٠١/٧٢٥)، ت (١/٢٦٠/٤١٤)، ن (١/٢٥٢/٣).

٤- متفق عليه: خ (٣/٤٥/١١٦٩)، م (٣/٤٥-٧٢٤-٩٤/١/٥٠١)، د (٤/١٣٤/١٢٤١).

٥- صحيح: [ص: ٤٢٧]، ت (١/٢٦٩ و ٢٦٨/٤٢٥)، ج (١/٢٦٩ و ١١٦٠/١/٣٦٧)، ن (٣/٢٦٥)، د (٤/١٤٧/١٢٥٥).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعُ قَبْلِ الظُّهْرِ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ تُفْتَحُ لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَحَبُّ أَنْ يَصْنَعَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ». قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الزَّوَالِ لَا يُسَلِّمُ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ» (٢)

وَأَمَّا سُنَّةُ الْعَصْرِ: فَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ» (٣)

وَحُثَّ عَلَيْهَا: عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا» (٤)

وَحُثَّ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ قَبْلَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ فَقَالَ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ لِمَنْ شَاءَ» (٥) وَقَالَ ﷺ: «صَلُّوا قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ، قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ لِمَنْ شَاءَ، كَرَاهِيَةً أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً» (٦)

١- حسن: [ص.د: ١١٣١] د، (٤/١٤٨/١٢٥٦)، ج، (١١٥٧/٣٦٥ و ٣٦٦/١).

٢- صحيح: [ص.ت: ٤٧٨] ت، (١/٢٩٧/٤٧٦).

٣- حسن: [ص.ت: ٤٢٩] ت، (١/٢٦٩/٤٢٧)، ج، (١/٣٦٧/١١٦١).

٤- حسن: [ص.ت: ٤٣٠] ت، (١/٢٧٠/٤٢٨) د، (٤/١٤٩/١٢٥٧).

٥- متفق عليه: خ (٢/١١٠/٦٢٧)، م (١/٥٧٣/٨٣٨)، د (١/٦٢/١٢٦٩)، ت (١/١٢٠/١٨٥)، ن (٢/٢٨)، ج، (١/٣٦٨/١١٦٢).

٦- خ (٣/٥٩/١١٨٣) د، (٤/١٦٠/١٢٦٧).

وَحَثَّ ﷺ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ التَّطَوُّعِ قَبْلَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّيَ مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (١)،

وَحَثَّ عَلَى الصَّلَاةِ بَعْدَهَا فَقَالَ ﷺ: «إِذَا صَلَّيْ أَدَّكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا» (٢)

وَرَغَّبَ ﷺ فِي الْإِنْتِظَارِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ فَقَالَ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَةٍ تَامَةٍ» (٣)،

وَرَغَّبَ ﷺ فِي صَلَاةِ الضُّحَى فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ابْنُ آدَمَ! ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ» (٤)

وَوَصَّى أَبَا هُرَيْرَةَ بِالمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدْعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةُ الضُّحَى، وَتَوَمُّ عَلَى وَتَرٍ» (٥)

وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ رَكَعَتِي الضُّحَى تَجْزِي عَنْ ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِينَ صَدَقَةً، فَقَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامَةٍ مِنْ أَدَّكُمْ صَدَقَةً، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةً، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةً، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكَعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» (٦)

١- م (٢/٥٨٧/٨٥٧).

٢- م (٢/٦٠٠/٨٨١).

٣- حسن: [ص.ت: ٥٨٦، ت (٢/٥٠/٥٨٣)].

٤- صحيح: [ص.ت: ٤٧٥، ت (١/٢٩٦/٤٧٣)].

٥- متفق عليه: خ (٣/٥٦/١١٧٨)، م (١/٤٩٩/٧٢١)، د (٤/٣١٠/١٤١٩)، ورواه بنحوه :

ن (٢/٢٢٩)، ت (٣/٧٥٧/١٣٠).

٦- م (٤/١٦٥ و ٤٩٨/٧٢٠)، د (١/٤٩٩ و ١٦٤/١٢٧١).

وَرَغَّبَ ﷺ فِي الصَّلَاةِ عَقِبَ كُلِّ وُضُوءٍ فَقَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ مُقْبِلَ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كَتَبَ لِي أَنْ أُصَلِّي»^(٢) وَرَغَّبَ ﷺ فِي الْوُتْرِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَتَرَّ يُحِبُّ الْوُتْرَ»^(٣).

وَوَقَّتَهُ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ اعْتَادَ الْقِيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ أَنْ يُؤَخِّرَ الْوُتْرَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ أَنْ يُوْتِرَ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَأَقْلَ الْوُتْرِ رَكَعَةٌ بَعْدَ سُنَّةِ الْعِشَاءِ، وَأَكْثَرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً، وَيُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُصَلِّيَ بِأَهْلِهِ جَمَاعَةً.

وَحَثَّ ﷺ الْمُسْلِمَ عَلَى صَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ عِنْدَ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ، فَقَالَ ﷺ «إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ تَمْنَعَانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ، وَإِذَا دَخَلْتَ إِلَى مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ تَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ»^(٤).

هَذِهِ نَوَافِلُ مُطْلَقَةٌ وَمَقِيدَةٌ، وَيَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «الْصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ»^(٥).

١- م (٢٣٤/٢٠٩ و ٢١٠/١)، د (١٦٨/٢٨٧-٢٨٩/١).

٢- متفق عليه: خ (١١٤٩/٣)، م (٢٤٥٨/٤/١٩١٠).

٣- متفق عليه: خ (٦٤١٠/٢١٤/١١)، م (٢٦٧٧/٢٠٦٢/٤).

٤- حسن: [ص.ج: ٥١٨]، وقال الشيخ في «الصحيحة» (١٣٢٣): رواه: المخلص في «حديثه» كما في «المنتقى منه» (١٢/٦٩/١)، البزار في «المسند» (٨١)، والديلمي في «مسنده» (١٠٨/١/١) والحافظ عبد الغني المقدسي في «أخبار الصلاة» (٦٧/١ و ٦٨/٢).

٥- حسن: [ص.ج: ٣٧٦٤]، طس (١٣٣/٢٤٥).

وأما نوافل الصيام: فقد رَغِبَ ﷺ في صِيَامِ سِتَّةٍ مِنْ شَوَالٍ فَقَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (١)

كما رَغِبَ ﷺ في صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَيَوْمِ عَاشُورَاءِ:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءِ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (٢)

وكان ﷺ يكثر من الصيام في شعبان حتى قالت عائشة: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ» (٣)

ورَغِبَ ﷺ في الإكثار من الصيام في المحرم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ» (٤)

ورَغِبَ ﷺ في صِيَامِ الاثنين والخميس:

عَنْ مَوْلَى أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ أَسَامَةَ إِلَى وَادِي الْقُرَى فِي طَلَبِ مَالٍ لَهُ فَكَانَ يَصُومُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: لِمَ تَصُومُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ؟ فَقَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ» (٥)

١- م (١١٦٤/٢)، ت (٧٥٦/٢٩ و ١٣٠/٢)، د (٢٤١٦/٨٦ و ٧)، ج (١٧١٦/١٠٥٤٧).

٢- م (١١٦٢/٨١٨ و ٨١٩/٢).

٣- متفق عليه: خ (١٩٦٩/٢١٣/٤)، م (١١٥٦-١٧٥-٨١٠/٢)، د (٢٤١٧/٩٩/٧).

٤- م (١١٦٣/٨٢١/٢)، د (٢٤١٢/٨٢/٧)، ن (٣٠٦/٣)، ت (٤٣٦/٢٧٤/١)، ج (١٧٤٢/١٠٥٤).

٥- صحيح: [ص: ٢١٢٨] د (٢٤١٩/١٠٠ و ١٠١/٧).

ورغب ﷺ في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، واستحب أن تكون: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ لِأَقْوَمَنِ اللَّيْلِ وَالْأَصْوَمَنِ النَّهَارِ مَا عَشْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَتَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ» (١).

عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةٍ، وَخَمْسَ عَشْرَةٍ» (٢) وَعَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسِ» (٣).

وَأَمَّا صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ فَقَدْ حَثَّ اللَّهُ عَلَيْهَا مَعَ الزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠]، وَرَغِبَ فِيهَا فَقَالَ: ﴿مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) [البقرة]

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٤).

١- متفق عليه: خ (١٩٧٦/٤/٢٢٠)، م (١١٥٩/٢/٨١٢)، د (٢٤١٠/٧/٧٩).

٢- صحيح: [ص. ت: ٧٦١]، ت (٧٥٨/١٣٠ و ١٣١/٢)، ن (٤/٢٢٢).

٣- صحيح: [ص. د: ٢١٢٩]، د (٢٤٢٠/٧/١٠٢)، ن (٢٢٠ و ٢٢١/٤).

٤- متفق عليه: خ (٧٥١٢/٤٧٤/١٣)، م (١٠١٦/٢/٧٠٣)، ت (٢٥٢٩/٤/٣٥)، ج (١٨٥/٦٦/١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» (١)

أما الحجُّ والعمرة فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) [البقرة].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِبْرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» (٢)

ويكره للقادر أن يتأخر عن حجِّ التطوُّع أكثرَ من خمسِ سنين:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَحَّتْ لَهُ جِسْمُهُ وَوَسَّعَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَا يَفِدُ إِلَى لَمَحْرُومٍ» (٣)

نسألُ اللهَ تعالى أن يُعِينَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

١- متفق عليه: خ (١٤١٠/٢٧٨/٣)، م (١٠١٤/٧٠٢/٢)، ت (٦٥٩/٨٦/٢)، ن (٥/٥٧).

٢- حسن صحيح: [ص. ت. ٨١٠]، ت (٨٠٧/١٥٣/٢)، ن (٥/١١٥)، ج (٢٨٨٧/٩٦٤/٢).

٣- صحيح: [س. ص. ١٦٦٢]، وانظر تخريجه وتحقيقه هناك.

الصف الرابع عشر

الزَاهِدُونَ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ» (١)

وقد عُدَّ هذا الحديثُ أحدَ أرباعِ الدِّينِ، حتى قال الحافظ أبو الحسن الأندلسي:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا لَيْسَ يَعْنيكَ وَاعْمَلَنَّ بَنِيَّةً (٢)

والزُّهْدُ ضِدُّ الرِّغْبَةِ والحرصِ، والتَّزْهِيدُ في الشيءِ خِلَافُ التَّرْغِيبِ فيه، وكلُّ مَنْ عدلَ عن شيءٍ إلى غيره بمعاوضةٍ وَبَيْعٍ وغيره، فإنما عدلَ عنه لرغبةٍ عنه، وإنما عدلَ إلى غيره لرغبته في غيره، فهو زاهد في المعدول عنه، فالْبائعُ مثلاً لا يقدم على البيعِ إلا والمشتري عنده خير من المبيع، فهو زاهد في المبيع غير حريص عليه، وراغب في المشتري وحريص عليه، ولذلك قال الله تعالى في يوسف وإخوته ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٠) [يوسف] فوصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعاً في العوض، فإذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، ولما علم المؤمنون أن ما عند الله خير وأبقى باعوا أنفسهم وأموالهم لله بالجنة وقبل الله البيع وأربحهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ

١- صحيح: [ص.ج: ٣٣١٠]، جـه (٤١٠٢/٤١٣٧٣ و ٢/١٣٧٤) وانظر تحقيقه في «الصحيحة»

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴿[التوبة].

فالزهد إذاً معناه إبتار الآخرة على الدنيا مع القدرة على الدنيا وليس معناه ترك الدنيا بالكلية ولا ترك العمل فيها والقعود عن تعميرها، ولذلك كان الصحابة أزهّد الناس في الدنيا ومع ذلك عمل الصحابة رضوان الله عليهم في الدنيا وانشغلوا بالتجارة والزراعة وكانت لهم منها الأموال الطائلة فكان من أغنياء التجار عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وكان من أغنياء الزّراع عمرو بن العاص وأبو طلحة الأنصاري، ولكن لم تلههم التجارة والزراعة عن ذكر الله فكانوا كما وصفهم الله تعالى فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾ [النور]، ولم يصلوا إلى هذه الحال إلا بعد مجاهدة الرسول ﷺ لهم وتربيته لهم بالوحي الذي ينزل عليه فقد كانوا بشراً كسائر البشر يحبون الدنيا ويريدونها لكن النبي ﷺ ظل يذكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة حتى أتروا الآخرة على الدنيا:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : «كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَجَاءَتْ عِيرٌ مِنَ الشَّامِ فَانْفَتَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْجُمُعَةِ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا (١١)﴾ [الجمعة]»^(١)

ولما كان يوم أحد وعين عين النبي ﷺ حُرَّسًا على الجبل يحمون ظهور المسلمين وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوه حتى يأذن لهم فلما التقى

الجمعان وانهزم الكفار وطلق المسلمون يجمعون الغنائم نزل أكثر الرماة وتركوا الجبل مع تذكير أميرهم لهم بوصية رسول الله ﷺ بالثبات فلم يستجيبوا له طمعاً في الغنائم فكان ذلك من أسباب إدالة الدولة، وفي ذلك أنزل الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)﴾ [آل عمران] قال ابن مسعود ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾

ولما رأى الأنصار أن الإسلام قد ظهر وأن الناس قد دخلوا في دين الله أفواجا هموا بالتفرغ للزراعة والقعود عن الجهاد فأنزل الله عليهم: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾ [البقرة]

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: «غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالرُّومُ مُنْصِقُوا ظُهُورَهُمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ النَّاسُ مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قُلْنَا هَلُمَّ نَقِمْ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصَلِّحْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (١٩٥)﴾ [البقرة] فَالْإِنْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نَقِمْ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصَلِّحْهَا وَنَدْعَ الْجِهَادَ» (١)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا

يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (١)

فَظَلَّ ﷺ يَرْبِيهِمْ عَلَى الزَّهْدِ حَتَّى آتَتْ هَذِهِ التَّرْبِيَّةُ ثَمَارَهَا فِي نَفُوسِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانُوا يَعْمَلُونَ بِالتَّجَارَةِ وَالزَّرَاعَةِ وَلَا يَشْغَلُهُمْ ذَلِكَ عَنْ وَاجِبَاتِهِمُ الدِّينِيَّةِ مِنْ صَلَاةٍ وَجِهَادٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكَانُوا يُوَثِّرُونَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا فَإِذَا تَعَارَضَتْ مَصْلَحَةُ الْآخِرَةِ وَمَصْلَحَةُ الدُّنْيَا آثَرُوا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِذَا دُعُوا لِلإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَرَجُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَا عِنْدِي فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قُلْتُ مِثْلَهُ قَالَ وَاتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قَالَ أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ قُلْتُ لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا» (٢)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَا لَا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٩٢) ﴿[آل عمران] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَيْعَ ذَلِكَ مَالٍ رَابِحٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ

١- صحيح: [ص.د. ٢٩٥٦] د(٣٤٤٥/٣٣٥ و ٩/٣٣٦).

٢- حسن: [ص.د. ١٤٧٢] د(١٦٦٢/١٤ و ٥/٩٥) ت(٣٧٥٧/٢٧٧ و ٥/٢٧٧).

فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ « (١)

فلما فتحت الدنيا على الناس اليوم وانشغلوا بها هجروا مجالس العلم والتربية ففست قلوبهم وطالت آمالهم وآثروا الدنيا على الآخرة، فرفعوا ما وضع الله، وأغلوا ما رخص حتى نسوا ذكر الله فأنساهم أنفسهم، فلم ينالوا من المال ما يراد به من تحقيق الراحة والسعادة، فأشقوا أنفسهم وأنعسوها فأصابتهم دعوة النبي ﷺ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعَسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ» (٢)

فلا بد من الحرص على مجالس العلم ولا بد من الحرص على مصاحبة العلماء حتى يكشفوا للناس عن حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، حتى لا يعطوا الدنيا أكثر مما تستحق، ولا يقصروا فيما تستحقه الآخرة، فإن من عرف الدنيا وفناءها والآخرة وبقائها أثر ما يبقى على ما يفنى ولا بد إن كان من العقلاء، ولا تمكن معرفة حقيقة الدنيا والآخرة إلا بمصاحبة العلماء الذين يقرءون القرآن والسنة ويذكرون بهما، وقد كثر في القرآن والسنة الترهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾ [يونس] وقال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥) ﴾

١- متفق عليه: خ (١٤٦١/٣/٣٢٥)، م (٢/٦٩٣/٩٩٨).

٢- خ (٦/٨١/٢٨٨٧).

[الكهف]، وذم الله تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة وتوعدهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨)﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِرُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ [هود]. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)﴾ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩)﴾ [النحل].

عَنْ مُسْتَوْد قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِنْصَبَعَهُ هَذِهِ وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجَعُ» (١)،

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتْهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسْكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاولَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ فَقَالُوا مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْنًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسْكَّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ

فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» (١)

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ

عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا» (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ

مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ وَمَا وَالَاهُ أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا» (٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ فِي

جِلْدِهِ فَقُلْتُ يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَبْقِيكَ

مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا وَالِدُنِّيَا إِنَّمَا أَنَا وَالِدُنِّيَا كَرَائِبِ اسْتَظَلَّ تَحْتَ

شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (٤)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ

غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ

جَعَلَ اللَّهُ فُفْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» (٥)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي

أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى وَأَسَدَّ فُفْرَكَ وَإِلَّا تَفَعَّلَ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أُسَدِّ فُفْرَكَ» (٦)

فبسماع هذه التبصرة تلين القلوب، وتقصر الآمال ويزهدون الدنيا،

وتتحقق الرغبة في الآخرة.

وبهجر المساجد ومجالس العلم والبعد عن العلماء تكون الفتنة التي حذر

الله تعالى المؤمنين منها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ

١- م (٢٢٧٢/٢٩٥٧) (٤).

٢- صحيح: [ص.ت: ٢٣٢٠]، ت (٢٤٢٢/٣/٣٨٣)، ج (٤١١٠/٣٧٦ و ١٣٧٧/٢).

٣- حسن: [ص.ت: ٢٣٢٢]، ت (٢٤٢٤/٣/٣٨٤)، ج (٤١١٢/٣٧٧ و ٢).

٤- صحيح: [ص.ت: ٢٣٧٧]، ت (٢٤٨٣/٤/١٧)، ج (٤١٠٩/٣٧٦ و ٢).

٥- صحيح: [ص.ت: ٢٤٦٥]، ت (٢٥٨٣/٤/٥٧).

٦- صحيح: [ص.ت: ٢٤٦٦]، ت (٢٥٨٤/٥٧ و ٤/٥٨)، ج (٤١٠٧/٣٧٦ و ٢).

عَظِيمٌ (١٥) ﴿[المنافقون].

وقال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ» (١)

فيجري الإنسان وراء المال ويركض لجمعه بالليل والنهار حتى ينسى الصلاة وذكر الله فينسى نفسه، فيظل يركض في الدنيا إلى غير هدف فلا هو بالذي يريح نفسه، ولا هو بالذي يسعد بماله، ولا هو بالذي يسعد بأهله، ولا هو بالذي يسعد بأولاده، كدح وشقاء، وتعب ونصب، وهم وحزن، وهكذا أبداً حتى يأتيه الملك فيقول منكراً مجيئه إلى أين؟ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) ﴿[القيامة].

وصدق رسول الله ﷺ: «مَا ذَنْبَانِ جَاءَعَانِ أُرْسِلَا فِي غَمٍّ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» (٢)

إن حب الرب للعبد سبب سعادته الأبدية، وحب الناس للإنسان سبب سعادته الدنيوية، والعاقل من حرص على سعادة الدنيا والآخرة، وهذا رجل من أصحاب النبي ﷺ حريص على حب الله وحب الناس يسأله ﷺ عما يحقق له ما يريد من ذلك فيقول: «يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحْبَبْتَنِي اللَّهُ وَأَحْبَبْتَنِي النَّاسُ!»

فوصاه ﷺ وصيتين: الأولى «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ»، والثانية: «وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»

فيا معشر الراغبين في الدنيا الحريصين عليها: هَوِّنُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَرِيحُوا أَبْدَانَكُمْ وَعَمِّرُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَطَهِّرُوا أَنْفُسَكُمْ بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَعَلِّمُوا أَنْ الرِّزْقَ يَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ، وَلَوْ أَنَّ الْعَبْدَ هَرَبَ مِنَ الرِّزْقِ

١- صحيح [ص.ت: ٢٣٣٦]، ت(٣٩٤/٢٤٣٩/٣).

٢- صحيح [ص.ت: ٢٣٧٦]، ت(٤٨٢/١٦/٤).

كما يهرب من الموت لأدركه الرزق كما يدركه الموت، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبُهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» (١)

الوصية الثانية:

إن الحرص على محبة الناس علامة العقل فإن المحبوب من الناس آمن شرهم، سالم من آذاهم، نائل من خيرهم، وهذه هي سعادة الدنيا، والإسلام يحث المسلمين على المحبة ويأمرهم بالمودة،
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَذْكَكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٢)
ومن أسباب محبة الناس: الزهد فيما أيديهم، فإن ما في اليد من مال أو وظيفة أو جاه أو رياسة محبوب للنفس، والنفس تكره من ينازعها في محبوبها، وتحب من لا يزاحمها فيه ولا ينافسها عليه.

فمن أراد أن يحبه الناس فليزهد فيما في أيديهم، ولا يسألهم أموالهم، قال الحسن: لا تزال كريما على الناس ولا يزال الناس يكرمونك ما لم تعط ما في أيديهم فإذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وملوك.

ولذلك رتب رسول الله ﷺ أصحابه على الزهد فيما في أيدي الناس كما رباهم على الزهد في الدنيا.

فكان ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ

١- صحيح: [ص.ج: ٢٠٨١]، بغ (٤١١١/٣٠٣ و ١٤/٣٠٤).

٢- م (١/٧٤/٥٤)، د (١٤/١٠٠/٥١٧١)، ت (٤/١٥٦/٢٨٢٩)، ج (١/٢٦/٦٨).

مَرْعَةَ لَحْمٍ» (١)

وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكْفَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» (٢)

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خُضْرَةٌ حُلُوةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ الْبُذْ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السَّقْلَى قَالَ حَكِيمٌ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أُرْزَأُ أَحَدًا بِعَدَاكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْتِيهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَتَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْتِيهِ أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى تُوَفِّي» (٣)

ومما يجلب محبة الناس: الهدية كما قال ﷺ: «تهادوا تحابوا» (٤)

ومما يجلبها الاجتهاد فيما يحبب العبد إلى الله فإن الله إذا أحب عبداً حبه إلى عبادته كما في الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحْبَبَهُ فَيَحْبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحْبَبُوهُ فَيَحْبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ» (٥)

١- متفق عليه: خ (١٧٧٤/٣/٣٣٨)، م (١٠٤٠/٢/٧٢٠)، ن (٥/٩٤).

٢- خ (١٤٧١/٣/٣٣٥).

٣- متفق عليه: خ (١٤٧٢/٣/٣٣٥)، م (١٠٣٥/٢/٧١٧)، ت (٢٥٨١/٢٥٦/٤/٥٧)، ن (٥/١٠١) إلى قوله «حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا».

٤- حسن: [ص: ٣٠١] وانظر تخرجه في «الإرواء» (١٦٠١).

٥- متفق عليه: خ (٧٤٨٥/٤٦١/١٣)، م (٢٦٣٧/٤/٢٠٣)، ت (٥١٧١/٣٧٨/٤).

أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أُمِّشِيَّ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ (يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ) شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَكَوْشَاءَ أَنْ يُمَضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخُلُ الْعَسَلَ »^(١)

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا	طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
سَارُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا	أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنًا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا	صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفِينًا ^(٢)

وهذا رجلٌ من هؤلاء، يسألُ النبي ﷺ عن أحبِّ الأعمالِ إلى الله تعالى ليفعلها، ويسألُ عن أحبِّ الناسِ إلى الله تعالى عسى أن يكون منهم، فيجيبه النبي ﷺ بهذا الحديث العظيم، الجامع لأنواع الخير وخصال البرِّ، وفي السؤال

١- حسن: أخرجه الألباني في الصحيحة رقم (٩٠٦) وقال أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) (٢/٢٠٩/٣)، وابن عساكر في التاريخ (٢/١/١٨) عن عبد الرحمن بن قيس الضبي، نا ابن سكين أبي سراج، نا عمرو بن دينار عن ابن عمر.

٢- رياض الصالحين (ص ٢).

وجوابه دليلٌ على محبة الله تعالى لأهل الخير من عباده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) [البقرة]. وكما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) [آل عمران]

والنبي ﷺ يبيِّن في هذا الحديث أَنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ، ومعنى ذلك أَنَّ النَّاسَ متفاوتون في محبة الله عزَّ وجلَّ لهم، وَأَنَّ أَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ، فكلما كَثُرَ نَفْعُ الْعَبْدِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ كلما ازدادت محبة الله تبارك وتعالى له، وكلما نقصت منفعة العبد لإخوانه المسلمين كلما نقصت محبة الله عزَّ وجلَّ له.

وَالنَّفْعُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» لَا يَقْتَصِرُ عَلَى النَّفْعِ الْمَادِيِّ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ النَّفْعَ بِالْعِلْمِ، وَالنَّفْعَ بِالرَّأْيِ، وَالنَّفْعَ بِالنَّصِيحَةِ، وَالنَّفْعَ بِالمَشُورَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْجَاهِ، وَالنَّفْعَ بِالسُّلْطَانِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكُلُّ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْفَعَ بِهِ إِخْوَانَكَ الْمُسْلِمِينَ فَتَنْفَعُهُمْ بِهِ، فَأَنْتَ دَاخِلٌ فِي الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ السَّائِلَ إِلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ فَقَالَ ﷺ:

«وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ،» وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَفْرَادِ، فَقَدْ يَتَحَقَّقُ السُّرُورُ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ بِسُؤَالِ أَخِيهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِزِيَارَتِهِ لَهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِهَدِيَّةٍ يُهْدِيهَا لَهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِأَيِّ شَيْءٍ سِوَى ذَلِكَ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ»، وَيُفْعَلُ مِنْ هَذَا أَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُبْغِضُ إِدْخَالَ الْحُزَنِ عَلَى قَلْبِ الْمُسْلِمِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَحْذَرَ كُلَّ الْحُزَنِ مِنْ إِدْخَالِ الْحُزَنِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

ومن أحب الأعمال إلى الله: « أَنْ يَكْشِفَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً » والكربة هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الهم والغم والحزن والكرب، ولقد وعد الله تعالى على لسان رسوله ﷺ أن يدفع كُرب الآخرة عمن يدفع كُرب الدنيا عن المسلمين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُربِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُربِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^(١)

ومن المعلوم أن كُرب الدنيا كلها بالنسبة لكُرب الآخرة لا شيء، فإن كُرب الآخرة شيء عظيم، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ^(١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ^(٢) ﴾ [الحج] وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا^(١٧) السَّمَاءَ مَنفُطِرٍ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا^(١٨) ﴾ [المزمل] .

وعن المقداد بن الأسود قال النبي ﷺ: « تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ قَالَ سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةً الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تَكْتَحِلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِنْجَامًا^(٢) »

وفي حديث الشفاعة أن الناس يستشفعون بالأنبياء يوم القيامة فيقولون لكل واحد منهم: « اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا^(٣) »

١- صحيح: م (٤/٢٠٧٤/٢٦٩٩) ، ت (٤/٢٦٥/٤٠١٥) ، د (٤٩٢٥/٢٨٩ و ١٣/٢٩٠) ، ج هـ (١/٨٢/٢٢٥) .

٢- صحيح: م (٤/٢١٩٦/٢٨٦٤) ، ت (٤/٣٨ و ٣٧/٢٥٣٦) .

٣- متفق عليه: خ (٤٧١٢/٣٩٥ و ٨/٣٩٦) ، م (١٩٤/١٨٤-١/١٨٦) ، ت (٤٣/٢٥٥١-٤٥/٤٥) .

فكلُّ هذه النصوص تدلُّ على أنَّ كُرب الآخرة شيءٌ عظيمٌ جداً، وليس هناك من يدفع عنك -أيها المسلم- كُرب الآخرة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴿ [الشعراء]. إلا الله، ومن أسباب تفريج الله عنك أن تفرِّجَ عن المسلمين كُرب الدنيا:

عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُربِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١)

فعلبك أيها المسلم القادرُ «أن تسعى لإزالة ما يحلُّ بالمسلمين من النائبات والمصائب والكُرب، فمن ابتلى بمسغبةٍ بذلت له من مالك، أو حثَّت الأغنياء على التصدُّق عليه ومعونته، ومن ابتلى بالعطالة سعت له في تحصيل عمل، ومن حاق به ظلمٌ ظالمٍ دفعت عنه ذلك الظلم ما وجدت إلى ذلك سبيلاً» (٢)، وبالجمله فأنت أيها المسلم مكلفٌ شرعاً أن تسعى جاهداً لإزالة النائبات أو تخفيفها عن إخوانك المسلمين، والله سبحانه يعدك على ذلك أن يدفع عنك كُرب يوم الدين.

ومن أحب الأعمال إلى الله «أن تقضي عن مسلم ديناً»

إن الله تبارك وتعالى جعل للغارمين نصيباً في الصدقات المفروضة، وجعل لهم حقاً معلوماً في مال الأغنياء فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]. والغارمون هم من ركبتهُم الديون ولزمتهم، ثم لم يجدوا لها وفاء، فأهل الأموال مطالبون شرعاً بقضاء دينِ الغارمين ،

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَارٍ ابْتَاعَهَا فَكَثُرَ دَيْنُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ، فَتَصَدَّقَ النَّاسُ

١- صحيح: [ص: ٤٠٩١] د: (٤٨٧٢/٢٣٦ و ١٣/٢٣٧)، ت: (١٤٥١/٤٤٠/٢).

٢- الأدب النبوي (ص ٧٣)

عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي الْغَرَمَاءُ» (١).

فعلى أصحاب الأموال وذوي الغنى والثراء أن يتفقدوا الغارمين من الفقراء والأغنياء على حدٍّ سواء، فإنَّ الرجل إذا أوتي من المال نصيباً، ثم كان عليه من الدَّيْنِ أكثر مما عنده فهو من الغارمين، فوجب على أصحاب الأموال أن يقضوا عنه دينه، حتى يُخرجوه من هذه الكربة التي نزلت به، ولو أنَّ أصحاب الأموال والغنى والثراء، ولو أنَّ رجال الأعمال تفقَّد بعضهم بعضاً وبحثوا عن الغارمين منهم وقضوا دَيْنَهُمْ، لوقف الرجلُ على رجليه مرةً ثانية، وسعى فرزقه الله، ولم يعد يحتاج إلى الناس بعد ذلك، ولكنَّ مشكلة الأغنياء أنهم يتغافلون عن الدَّيُون التي تلزم إخوانهم أصحاب الأموال، ولا يفكرون في قضائها عنهم، في حين أنَّ الإسلام قد جعل قضاء الدَّيْنِ عن الغارمين من أبواب الصدقات المفروضة.

ومن أحب الأعمال إلى الله «أن تطرد عن مسلم جوعاً» فطرُدُ الجوع عن الجائعين عملٌ من أعمال البرِّ، يجزي الله عليه بجنةٍ عالية، قطوفها دانية، فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفِّقُونَ بِالْغُفْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَنُوسًا قَمَطِيرًا (١٠) فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ [الإنسان].

١- صحيح نم: (١٥٥٦/٣)، ت: (٢/٨٣/٦٥٠)، ن: (٧/٢٥٦)، د: (٣٤٥٢/٣٦٢ و ٩/٣٦٣)، ج: (٢/٧٨٩/٢٣٥٦).

وقد حثَّ اللهُ تعالى على طرد الجوع عن الجائعين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) ﴿[البلد].

والرسول ﷺ يقول: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعَوِّدُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِي» (١)

ويقول ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (٢).

ولقد نفى النبي ﷺ الإيمان عمَّن بات شعبان وجارهُ جائعاً، فقال ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ» (٣)

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ يَا رَبَّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ! يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ يَا رَبَّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ يَا رَبَّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» (٤).

١- صحيح: خ (١٠/١١٢/٥٦٤٩)، د (٨/٣٧٠/٣٠٨٩).

٢- صحيح: [ص.ج: ٢٦٣٠]، ج (٢/١٠٨٣/٣٢٥١)، ت (٤/٦٥/٢٦٠٣) وليس عنده الجملة الثالثة.

٣- صحيح: أخرجه الألباني في «الصحيحة» (١٤٩) وقال رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، والطبراني في الكبير، (١/١٧٥/٣)، والحاكم (٤/١٦٧) وكذا ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (٢/١٨٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/٣٩٢) وابن عساكر (٩/١٣٦/٢)، والضياء في المختارة (٤/١٩٩٠/٢٥٦٩).

٤- م (٤/١٩٩٠/٢٥٦٩).

ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ من الأسباب الموجبة لدخول النار عدم طرد الجوع عن الجائعين مع القدرة عليه، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي بَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) [المدثر].

بل أبلغ من ذلك وعيداً أنّ الله تعالى جعل من أسباب دخول النار ترك الحضّ على إطعام الجائعين. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيِّنِّي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ (٢٦) يَالَيِّنِّي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ (٢٩) خذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾ [الحاقة].

ومن أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ما ذكره النبي ﷺ في قوله:

«وَلَاَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ (يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ) شَهْرًا».

ففي قوله ﷺ هذا إشارة إلى فضل المشي مع المسلمين في قضاء حوائجهم، ولقد كثرت الأحاديث في الحثّ على السّعي في قضاء حوائج المسلمين:

عن أبي هريرة ﷺ: «وَاللَّهِ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِي»^(١)

١- صحيح: هو جزء من حديث: «من نفس عن مسلم كربة». وقد سبق تخريجه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ فِي حَاجَتِهِ»^(١).

وكلُّها تحتُ على السَّعي في قضاء حوائج المسلمين ، وتبيِّن أنَّ الوقت الذي يُنفقه المسلم في قضاء حاجة أخيه لا يضيع عليه ، بل إنَّ الله تبارك وتعالى يُعطيه خيراً مما بذل وأكثر، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، والله عزَّ وجلَّ يقول :

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) ﴾ [الرحمن].

ولذلك قال رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»

ومن هنا كان السلفُ رضوان الله عليهم أشدَّ حرصاً من غيرهم على المشي في قضاء حوائج المسلمين، وأثرَ عنهم في ذلك الشيءُ الكثير، ومنه:

أنَّ الحسنَ البصريَّ رحمه الله بعث نفراً من أصحابه في قضاء حاجة رجل مسلم، وأمرهم أن يمرُّوا بثابتِ البناني فيأخذوه معهم، فأخبروه فقال: إني معتكف، فرجعوا إلى الحسن، فقال لهم: قالوا له يا أعمش ! أما تعلم أنَّ مشيك في حوائج المسلمين خيرٌ لك من حجةٍ بعد حجة . فرجعوا إلى ثابتٍ فترك اعتكافه وخرج معهم.

ولقد كان عمرُ رضي الله عنه يتعهَّد الأراملَ بالليل يستقي لهنَّ الماء، فرآه طلحةُ رضي الله عنه ليلةً يدخل بيتَ امرأة، فدخل طلحةُ على المرأة نهاراً فإذا هي امرأةٌ عُمياءُ مُقعدة. فقال لها: يا هذه ما يصنع هذا عندك؟ قالت إنه منذ كذا وكذا يتعهَّدني، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. فقال طلحة رضي الله عنه: ثكلتك أمُّك يا طلحة! أعوراتِ عمرَ تتبَع!؟

وكان كثيرٌ من الصالحين إذا خرج في سفرٍ يشترط على إخوانه أن يخدمهم، فإذا خرجوا وأراد أحدهم أن يغسل رأسه أو قميصه قال: هذا شرطي، فتركه يغسل رأسه وقميصه.

١- صحيح: هو جزء من حديث: « من فرج عن مسلم كربة .» وقد سبق تخريجه.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرُنَا ظِلًّا الَّذِي يَسْتَظِلُّ بِكِسَائِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ»^(١). لأنهم كانوا في خدمة إخوانهم الصائمين وقضاء حوائجهم.

وفي الحديث الذي معنا يقول النبي ﷺ :

«وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»، والمراد بالحاجة أي حاجة كانت: مالية أو علمية أو أدبية، دينية أو دنيوية، والمراد بقوله ﷺ : «أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ» أَنَّ الَّذِي يَمْشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ حَتَّى يَثْبُتَ لَهَا أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ، الَّذِي هُوَ مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، أَرْقٌ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السِّيفِ، وَعَلَى جَنْبَيْهِ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ تَتَخَطَّفُ النَّاسَ.

فيا أبا الإسلام :

اقضِ الحوائجَ ما استطعتَ وَكُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجَ
فَلْخَيْرُ أَيَّامِ الْفِتَى يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجَ

اقضِ الحوائجَ ما استطعتَ، واسعَ في حوائجِ المسلمين ما استطعتَ، وتذكَّرْ أَنَّ مَا بِكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَإِنَّمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ لِنَتْفَعِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَمْشَى فِي حَوَائِجِهِمْ، فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ وَزَادَكَ مِنْهَا، وَإِنْ أَنْتَ بَخِلْتَ وَقَعَدْتَ عَنِ الْمَشْيِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ زَالَتْ عَنْكَ نِعْمَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

عن عبد الله بن عمر قال النبي ﷺ : «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَقْوَامًا يَخْتَصِمُهُمُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيَثْبُتُهَا عَنْهُمْ مَا نَفَعُوهُمْ، فَإِذَا هُمْ لَمْ يَنْفَعُوهُمْ حَوَّلَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ

إِلَى غَيْرِهِمْ»^(١).

ثم يقول النبي ﷺ: «وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»:

وفيه إرشادٌ إلى ما يجب أن يأخذ المسلم به نفسه وقت الغضب، مَنْ كَفَّ الغضب وكَظَمَ الغيظ، ولذلك جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَوْصِنِي! قَالَ لَا تَغْضَبُ. فَرَدَّدَ مَرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبُ»^(٢)

قال العلماء معنى قوله ﷺ: «لَا تَغْضَبُ» لا تعمل بمقتضى الغضب إذا أصابك، بل إذا غَضِبْتَ فجاهد نفسك على كَفِّ الغضب وكَظَمِ الغيظ ولا تعمل بغضبك، فَإِنَّ الإنسان إذا غضب كان الغضب أمره وناهيه.

ولقد بيّن الرسول ﷺ فضيلة كَفِّ الغضب فقال: «وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ» ذلك أَنَّ الرَّجُلَ إذا غضب ولم يكفَّ غضبه ظهر منه ما كان يُخفيه من الحماقة والجهالة وسوء الخلق، ونحو ذلك، ولو أنه كَفَّ غضبه لستر الله هذه العورات، ومن ستره الله في الدنيا ستره في الآخرة ولا بد، فما كان الله أن يستر عبداً في الدنيا ويفضحه في الآخرة. كما بيّن ﷺ فضيلة كَظَمِ الغيظ فقال: «وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

وعن أَنَسٍ قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ

١- حسن: أخرجه الألباني في «الصحيحة» (١٦٩٢) وقال أخرجه ابن أبي الدنيا في (قضاء الحوائج) (رقم ٥) والطبراني في الأوسط (٥٢٩٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٥٠/١١٦ و ٢١٥/١١٦)، والخطيب في التاريخ (٤٥٩/٩).

٢- خ (١١٦/٦١١٦ و ١٠/٥١٩)، ت (٢٠٨٩/٢٥٠/٣).

اللَّهُ يَوْمَ الْفِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» (١).

فيا عبد الله إذا أغضبت فكف غضبك، وإذا أغظت فاكظم غيظك، فإن الله تعالى قد وصف أحبابه أهل رضوانه وجنته بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧) [الشورى]. وبقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران].

وقد أرشدك النبي ﷺ إلى ما به تدفع عن نفسك الغضب، فقال ﷺ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ» (٢)

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَنَا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ» (٣)

وعن أبي هريرة قال ﷺ: «إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ سَكَنَ غَضَبُهُ» (٤).

وفي الصحيحين عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغَضِبًا قَدْ احْمَرَّتْ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ

-١

صحيح: [ص: ٢٠٢١] ت (٢٠٩٠/٢٥١/٣) د (٤٧٥٦/١٣٥ و ١٣٦/١٣)، جة (٤١٨٦/ ١٤٠٠/٢).

٢- صحيح لغيره: أخرجه الألباني في الصحيحة (١٣٧٥)، وقال: رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢٣٠)، وأحمد (٢٣٩/١ و ٢٨٣ و ٣٦٥)، وابن عدي (٢/٢٢٧) والقضاعي في مسند الشهاب (ق ١/٦٦).

٣- صحيح: [ص: ٤٠٠٠] د (٤٧٦١/١٤٠/١٣).

٤- صحيح: أخرجه الألباني في «الصحيحة» (١٣٧٦) وقال: أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان»

الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ". فَقَالُوا لِلرَّجُلِ أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ^(١).

ولما أرشد النبي ﷺ السائل إلى أحب الأعمال إلى الله تعالى ختم هذا الإرشاد بقوله ﷺ: «وإنَّ سَوْءَ الْخَلْقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخُلُ الْعَسَلُ»^(٢)

وكان النبي ﷺ يقول للسائل: إذا وَقَّعْتَ لِلْعَمَلِ بِمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، وَهَدَيْتَ إِلَيْهَا كُلَّهَا أَوْ بَعْضَهَا، فَاجْتَنِبْ سَوْءَ الْخَلْقِ، فَإِنَّ سَوْءَ الْخَلْقِ يُحْبِطُ الْأَعْمَالَ وَيُضَيِّعُ الثَّوَابَ، وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَانَةٌ تُذَكَّرُ مِنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، وَلَكِنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ ﷺ: «هِيَ فِي النَّارِ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فَلَانَةً تُذَكَّرُ مِنْ قَلَّةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا

١- متفق عليه: خ (١٥٨/٦١١٥ و ١٠/٥١٩)، م (٤/٢٠١٥/٢٦١٠)، د (١٣/١٣٨/٤٧٥٩).

٢- حسن: أخرجه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٠٦) وقال أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) (٢/٢٠٩/٣)، وابن عساكر في التاريخ (٢/١٨/١٨) عن عبد الرحمن بن قيس الضبي، نا ابن سكين أبي سراج، نا عمرو بن دينار عن ابن عمر.

٣- م (٤/١٩٩٧/٢٥٨١)، ت (٤/٣٦/٢٥٣٣).

وَصَدَقَتْهَا وَلَكِنَّهَا لَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ ﷺ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ» (١)

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» (٢) وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَحْبِطُ عَمَلُهُ بِسُوءِ خُلُقِهِ. فَاللهُ اللهُ عِبَادَ اللهِ! إِنَّا كُمْ وَسُوءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ تَتِمُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرَفُثْ وَلَا يَصْنُبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ» (٣)

فَالْغَايَةُ مِنَ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا أَنْ تَتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، فَإِذَا اجْتَهِدَ الْعَبْدُ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ سَيِّئُ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يَذْهَبُ بِثَوَابِ عَمَلِهِ كُلِّهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَحَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِالْاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالِدَعَاءِ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ:

«اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خُلُقِي حَسِّنْ خُلُقِي» (٤)

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا فَإِنَّهُ لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» (٥)

١- صحيح: [ص. خد: ٨٨]، حم (١٩/٢١٩/٣٤)، حب (٥٠٣/٥٠٢/٢٠٥٤).

٢- صحيح: [ص. د: ٤٠١٣]، د (٤٠١٣/٤٧٧٧/١٣).

٣- متفق عليه: خ (٤/١١٨/١٩٠٤)، م (١١٥١-١٦٣-٢/٨٠٧).

٤- صحيح: قال الألباني في «الإرواء» (١/١١٥): رواه أحمد (٦/١٥٥، ٨٦) بإسناد صحيح.

٥- م (١/٥٣٥ و ٣٤/٧٧١).

«اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا» (١)

الصنف السادس عشر

أهل الرِّقِّق

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّقِّقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّقِّقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْغَنَفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» (١).

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩] أي رقيقٌ بهم، يعاملهم بالرفق لا بالعنف، وباليُسْر لا بالعُسْر، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن لطفه سبحانه وتعالى بعباده أنه كلفهم دون ما يطيقون، وأن طاقاتهم دائماً فوق ما يستطيعون، بحيث أنه لو كلفهم أكثر منه لا يعجزون .

والدليل على ذلك أن الله تعالى فرض الصلاة أول ما فرضها خمسين، فما زال النبي ﷺ يسأل ربه التخفيف حتى جعلها خمساً ثم قال: «أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي» (٢) ومعنى ذلك أن العباد يستطيعون أن يصلُّوا في اليوم واللييلة خمسين صلاة، إذ أنهم لو لم يستطيعوا لكان هذا التكليف من الله عبثاً، والله تعالى منزّه عن العبث، وإنما هو لُطْفُ اللَّهِ تعالى الذي خَفَّفَ عن عباده، وجعل الصلاة خمساً في العمل وخمسين في الأجر والثواب.

ومن لطفه سبحانه وتعالى بعباده أنه يرزقهم بلا استحقاق، ويؤخر عنهم العذاب مع الاستحقاق. ومن لطفه أيضاً بعباده أنه يشكر لهم القليل من العمل، ويغفر لهم الكثير من الزلل، فاللطفُ والرِّقُّقُ صفتان من صفات الله العلي،

١- م (٢٥٩٣/٢٠٠٣ و ٤/٢٠٠٤).

٢- خ (٣٢٠٧/٣٠٢ و ٦/٣٠٣).

وَاللَّطِيفُ وَالرَّقِيقُ أَسْمَانُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى .

وصفاتُ الله تعالى نوعان: ما لا يمكنُ الاتِّصافُ به كالخلق والرزق والإحياء والإماتة.

وما يمكنُ الاتِّصافُ به وهو أيضاً نوعان: ما لا يجوزُ الاتِّصافُ به، كالعزَّ والعظمة، وما يُستحبُّ الاتِّصافُ به كالحلم، والرحمة، واللف، والرفق^(١)

ومن هنا رَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ في الاتِّصافِ بالرفق بقوله «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٢).

فرَغِبَ ﷺ أَصْحَابُهُ في الرفق ببيان أنه من صفات الله التي يُحِبُّ مَنْ اتَّصَفَ بها وبيان أن الله تعالى يعطي على الرفق في الدنيا الكثير من النِّكَرِ الحسن والثناء الجميل، كما يعطي عليه في الآخرة الثواب العظيم والثواب الجزيل.

وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٣).

إذ بالرفق تسهل الأمور، ويتصل بعضها ببعض، ويرجع إلى المأوى ما شذَّ، وبه يُجمَعُ الشتات، فهو إذن جامعُ الجماعات، وجامعٌ أيضاً للطاعات، وبالطاعات يؤلَّفُ الله القلوب، ويجمع الجماعات المتفرقة، ويؤلَّفُ بين الجماعات المتباغضة^(٤).

فعلى العبد أن يتخلَّى عن العُنْفِ، وأن يتحلَّى بالرفق، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال :

١- فيض القدير (٢/٢٥١).

٢- م (٤/٢٠٠٤/٢٥٩٤).

٣- صحيح: [ص: ٤٠٢٣] د (٤٧٨٧/١٦٣ و ١٦٤/١٣).

٤- فيض القدير: (٥/٤٦١) يتصرف.

«مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (١)

والمعنى: من آتاه الله نصيباً من الرفق في الدنيا فقد آتاه ما يتمنى من سعادة الدنيا والآخرة، إذ بالرفق سيحبه الناس، ويتودّدون إليه، ويتقربون منه، ويذكرونه بالذكر الحسن ويتنون عليه بكل جميل في حياته وبعد مماته، وإذا مات أدخله الله تعالى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وأول الأشياء وأولها يرفق الإنسان نفسه، فيجب على كل إنسان أن يكون رفيقاً بنفسه، يأخذها دائماً بالرفق لا بالعنف، وبالسرا لا بالعسر، ولا يكلفها من الأعمال ما لا تطيق، فإن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ» (٢)

وقال ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسَرُّ وَلَكِنْ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَيَسِّرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ» (٣)
وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» (٤)
وكان ﷺ يُنكر على المتشددين فكان يقول: «هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» (٥)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ النَّعَاصِ قَالَ: أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ لَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ وَلَأَصُومَنَّ النَّهَارَ مَا عَشْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ

١ - صحيح [إس. ص. ٥١٩، حم (١٩/٥٣/٦٠)].

٢ - حسن [ص. ج: ٢٢٤٢، هـ (٣/١٩)، ب (١/٥٧/٧٤)].

٣ - صحيح [ص. ن. ٥٠٤٩، ن (١٢٢/٨)].

٤ - متفق عليه خ (١/١٠١/٤٣)، م (١/٥٤٠/٧٨٢)، د (٤/٢٤٢/١٣٥٥)، ن (٣/٢١٨).

٥ - م (٤/٢٠٥٥/٢٦٧٠)، د (٤/٥٨٤/١٢/٣٦١).

ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَتَمَّ وَقَمَّ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعِشْرٍ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ. قَالَ قُلْتُ فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ. قَالَ قُلْتُ فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ. قَالَ قُلْتُ فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَأَنْ أَكُونَ قَبْلُ الثَّلَاثَةِ الْآيَامِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي «(١)

وإذا كان الإنسان مكلفاً أن يرفق بنفسه في أعمال الدين التي يرجو بالاجتهاد فيها الفوز بالخلود في جنات النعيم، فإن أعمال الدنيا التي لا يرجو بالاجتهاد فيها إلا أن يعيش ما أحياه الله منعماً أولى أن يرفق بنفسه فيها فإن العمر مهما طال قصير والدنيا مهما كثرت أيامها قليلة، فقد قال ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِنْصَبْعَهُ هَذِهِ وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ» (٢)

فعلى الإنسان أن يرفق بنفسه في أعمال الدنيا، ولا يثبِقَ عليها، ولا يكلفها ما لا تطيق، فإنني رأيت الناس في هذا الزمان قد انشغلوا بالدنيا أكثر من اللازم وأعطوها من أوقاتهم واهتماماتهم فوق ما تستحق.

تري الرجل يخرج من الفجر إلى الفجر، يكدح ويتعب ويشقى، لا يعطي نفسه حظها من الراحة، فضلاً عن حظها من الصلاة وقراءة القرآن ومجالسة العلماء.

بل إن الرجل لا يعطي زوجته حظها من وقته، ولا يعطي أولاده حظهم

١- متفق عليه خ (١٩٧٥/٢١٧ و ٢١٨/٤)، م (١١٥٩-١٨٢-٢/٨١٣)، د (٢٤١٠/٧٩/٧)، ن (٢٠٩-٤/٢١٥).

٢- م (٢٨٥٨/٢١٩٣/٤)، ت (٤٢٢٥/٣/٣٨٤)، ج هـ (٤١٠٨/١٣٧٦/٢).

من وقته فهو لا يفرغ أبداً لتربيتهم وإرشادهم ومراقبتهم، وهذا الانشغال الكثير بالدُّنيا عن النفس والزوجة والأولاد، ربما كانت الزوجة والأولاد غير راضين عنه مما يزيد الفجوة بين الرجل وزوجه وأولاده، فإذا اتسعت وعجز عن لَمِّها فإن هذا قد يؤدي إلى الشقاق الذي يفضي في الغالب إلى الطلاق.

فيا طلاب الدنيا مهلاً مهلاً!! ورفقاً رفقاً!! ارفقوا بأنفسكم، وارفقوا بأزواجكم وارفقوا بأولادكم، واعلموا أن الرزق لن يفتكم، بل لن تقوته، فقد قال ﷺ: «إنَّ الرزقَ ليطلب العبدَ أكثرَ مما يطلبه أجله» (١).

وقال ﷺ: «لو أن ابنَ آدمَ هربَ من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت» (٢).

ولذلك وصَّى ﷺ بالتخفيف عن النفس والترويح عنها، وطلب الرزق بالرفق، فقال ﷺ: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» (٣).

لولا أن الله كره لعباده العجز والكسل ما كلفهم بالعمل، لأنَّ الرزق قد قُسم فلا دافع له، ولا مفرَّ منه، كما لا دافع للموت ولا مفرَّ منه، ولكنَّ الله أراد لعباده العمل والسعي والاجتهاد، لكنه حين أمر بالسعي على الرزق أمر بالمشي فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) [الملك] وحين أمر بإجابة الداعي لصلاة الجمعة، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]

١ - حسن: [ص.ج: ١٦٢٦]، حب (٢٦٧/١٠٨٧).

٢ - حسن: [س.ص: ٩٥٢] وقال الشيخ: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢٤٦/٩٠، ٧/٧)، وابن عساكر (١/١١/٢).

٣ - صحيح: [ص.ج: ٢٠٨١]، بغ (١٤٣/٣٠٤ و ٣٠٣/٤١١١).

فالواجبُ علينا أن نسعى إلى الطاعة، ونمشي ببطءٍ ورفقٍ إلى الدنيا وإلى الرزق لكنَّ الناس قد قلبوا الآية، فهم يمشون إلى الطاعة مشياً بطيئاً، متخاذلين متكاسلين ويركضون وراء الدنيا ركضاً، ويجرون وراءها جرياً، فنسي الإنسان بالسعي في الدنيا والكدح فيها أن يريح نفسه من العناء والتعب.

إنني أعرف كثيراً من رجال الأعمال الذين تكالبوا على الدنيا لا ينام أحدُهم في الليلة ساعتين أو ثلاثة، فهل تكفي هذه السويقات لراحته، لا تكفي، ولكنه انشغل بالدنيا فنسي الله فأنساه الله نفسه.

فيا طلابَ الدنيا مهلاً مهلاً!! ورفقاً رفقاً!! إنَّ لبدنك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، ولولدك عليك حقاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقه.

إذا خرجت من الفجر وعُدت بعد العشاء متى تقعد مع الأولاد؟ ومتى تتعرَّف على أحوالهم؟ ومتى تتفَقَّد أعمالهم؟ متى تعرف من صلى ومن لم يصل، ومن عمل الواجبَ ومن لم يعمل الواجبَ، ومن قام بعمله ومن لم يقم بعمله؟!.

وإذا خرجت من الفجر وعُدت بعد العشاء فأين القُوَّة التي في بدنك حتى تُعطيَ زوجك حقَّها عليك.

فاتَّقوا الله وأجملوا في الطلب، فإنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفيَ رزقها وأجلها.

فإذا رفق الإنسان بنفسه فعليه أن يرفق بزوجه فلا يكلفها من العمل ما لا تطيق، ولا يطلبُ منها ما تعجزُ عنه، ويجب عليه أن يعاونها فيما يجب عليها من أعمال البيت، فقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةٍ أَهْلُهُ تَعْنِي خِدْمَةَ

أَهْلُهُ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (١)

فعلى الرجل ألا ينسى المرأة من تعاونه، وأن يعاونها على ما كلفت به من أعمال البيت، وأننى لرجال الأعمال الذين يخرجون من الفجر إلى العشاء أن يحققوا شيئاً من التعاون مع ربّات البيوت؟!

فإذا رفق الرجل بنفسه وزوجه فعليه أن يكون رفيقاً بأولاده، فلا يُعَنِّفُ ولا يُقَبِّحُ ولا يسب ولا يشتم ولا يضرب، ولا يكلف الأولاد ما لا يطيقون من الأعمال وعليه أن يصبر على قلة فهمهم، وسوء حفظهم.

وعموماً الرفق مطلوب من عموم الناس لعموم الناس، حتى يكون شعار الجميع في كل مكان الرفق «فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ» (٢)

فيجب أن يكون السلطان رفيقاً بمن تحت سلطانه، ويجب أن يكون الراعي رفيقاً برعيته، ويجب أن يكون الوالي رفيقاً بمن في ولايته، فإن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (٣)

وبتأكّد الرفق في حقّ العالم بالمتعلّم، وفي حقّ العالم بالجاهل، فيجب على كلّ عالم أن يكون رفيقاً بكلّ متعلّم، وأن يكون رفيقاً بكلّ جاهل، فلا يُعَنِّفُهُ ولا يُؤَبِّخُهُ ولا يسبه ولا يشتمه، ولا يضربه لقلة فهمه ولا لسوء حفظه، ولا يضربه على خطأ يصدر منه عفواً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاولَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ

١-خ(٢/١٦٢/٦٧٦)،ت(٤/٦٦/٢٦٠٧).

٢- صحيح: [س.ص: ١٢١٩] وقال الشيخ: أخرجه أحمد(٧١/٦)، والبخاري في «التاريخ

الكبير» (٤١٦/١/١)، والبيهقي في «الشعب» (١/٢٧٩/٢).

٣- م(٣/١٤٥٨/١٨٢٨).

سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنْوَبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» (١)

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السَّلْمِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَآ تَكُلْ أُمِّيَاءَ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ! فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» (٢)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ: ائْذَنْهُ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمِّهَاتِهِمْ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» (٣) فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ .

الرفقُ في حقِّ الداعية بالمدعويين واجبٌ، فيجب على الداعية أن يكون رفيقاً بالمدعويين، لأن الرفق هو أقربُ الطرق إلى القلوب، وأهمُّ أسباب القبول،

١- خ (١/٣٢٣/٢٢٠)، ن (١/٤٩ و ٤٨) ورواه مطولاً: د (٢/٣٩/٣٧٦)، ت (١/٩٩/١٤٧).

٢- م (٣/١٨/١٤-٣/٢٠٣)، د (١/٣٨٢ و ٣٨١/٥٣٧)، ن (٣/٢٠٣-١٩٨/٩١٨)، ت (٣/١٨-١٤).

٣- صحيح: [س. ص. ٣٧٠: ح. ١٦/٧٠/١٨٥].

ولذلك قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾ [طه] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ هيناً، لا عنف فيه ولا صلابة، ولا غلظة ولا فظاظة، لعله يتذكر ما ينفعه فيأتيه أو يخشى ما يضره فيتركه.

وقد فُسِّرَ هذا القولُ اللَّيْنُ الذي أمر الله به موسى وهارون عليهما السلام بقول الله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩)﴾ [النازعات] والمتأمل في هذه الكلمات يرى الفرق واللين يتدفقان من كل حرف فيها. فإنه أتى بحرف "هل" الذي يدل على العرض والمشاورة، مما يفيد أنه يجب على الدعاة أن يعلموا أن الدعوة عرض لا فرض. عليك أن تحسن عرض دعوتك ولا يجوز أن تفرضها على الناس: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾ [يونس] والقاعدة العظيمة في الإسلام ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قاعدة عظيمة يجب على الدعاة أن يعوها وأن يفقهوها ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وإنما الدعوة عرض لا فرض، فاعرض دعوتك ولا تفرضها، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩] فقل الحق من ربكم واترك الناس بعدها أحراراً يختارون أن يؤمنوا أو يكفروا، فجزاء الجميع عند الله يوم يرجعون إليه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ [الأنعام: ٢٩] إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)﴾ [الكهف]

فالدعوة عرض لا فرض، فإذا أحسن الداعية عرض دعوته، واستخدم الأسلوب الهادئ، والكلمة اللينة الرقيقة وصل إلى قلوب الناس من أقصر الطرق وأقربها واستجاب الناس لدعوته.

ثم تأمل ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ فهو يدعو إلى التزكية والتطهر

ولكنه لم يقل له تعال أزيك، ولم يقل له تعال أطهرك، وإنما تركي أنت نفسك، أنا أدلك وأنت الذي تركي نفسك بما دلتك عليه.

ثم ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ إِلَى رَبِّكَ الذي ربك بنعمه الظاهرة والباطنة وآتاك مما سألته ومما لم تسأله، مما يوجب عليك أن تذكر نعم الله وتقابلها بالشكر.

وهكذا يجب أن يكون الداعية رقيقاً، ولا يجوز أن يكون عنيفاً غليظاً، فإن الداعية إذا كان عنيفاً غليظاً فقد خالف أمر الذي يدعو إليه، فالدعوة إلى الله، والله أمر الدعاة أن يكونوا هينين لينين، أمرهم بالرفق ونهاهم عن العنف، فإذا خالف الداعية واستخدم العنف وترك الرفق فقد خالف أمر الله، وخالف أيضاً هدي رسول الله ﷺ الذي يتبعه في الدعوة إلى الله.

لقد كان ﷺ هيناً ليناً، سهلاً رقيقاً، وبذلك أحسن عرض دعوته فنجح في تبليغ رسالته، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وامتن الله تعالى عليه بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ [آل عمران] فإذا أُعطي الداعية الرفق فقد أُعطي مفاتيح النجاح في دعوته وتبليغ رسالته، وإذا تخلى الداعية عن الرفق وتخلّى بالعنف ففشل في دعوته، فأخذ أخذاً أو طرد طرداً، أو قتل قتلاً، فلا يلومن إلا نفسه فعلى نفسها جنت براقش .

ولذلك لما بعث نستورُ صاحبيه إلى الملك يدعوانه إلى دين عيسى عليه السلام أمرهما أن يرفقا بالملك، وأن يدعوا إلى دين عيسى بالحكمة والموعظة الحسنة فخالف الصاحبان نصيحة نستور، فدخلوا على الملك فأغلظا له القول وعنفاه فأخذهما الملك وحبسهما وآذاهما، فقال لهما نستور : ” ما متكما إلا كمثلي امرأة لم تلد حتى كبرت سنّها فولدت، فاستعجلت شباب ولدها لتتفجع به،

فأطعمته أكثر مما يطيق فقتلته، فلم تحقق هدفها»^(١)، ومن هنا قيل: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه».

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقنا الرفق واللين، والرفقة والرحمة.

الصنف السابع عشر

البررة بأبائهم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» (١)

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ [المؤمنون]. هكذا خلق الله الخلق، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧)﴾ [السجدة] ثم جعل له من نفسه زوجة يسكن إليها كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] ثم جعل منهما البنين والبنين والحفدة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء]

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)﴾ [النحل].

وقد فطر الله الإنسان على حبِّ النساء والبنين، لذلك يشقى الشاب في بداية حياته ليكون نفسه ويبنين مستقبليه، ويقدر على فتح بيت يصبح فيه زوجاً ويصير والدًا، فإذا رزق ذلك بعد طول عناء ومشقة تزوج وهو يتطلّع إلى النسل والذرية، فإذا استقرت النطفة في قرارها المكين وثبت الحمل ازداد اهتمامه

١ - متفق عليه: بخ (٢٧/٥٢٧)، م (٨٥/٨٩ و ١/٩٠)، ن (١/٢٩٣).

بامرأته ، وحرّص على سلامتها من أجل ولدها، وزاد من كدّه وتعبه لتوفير حياة رغبة لهذا المولود المنتظر، وكلما مرّت الأيام ازداد عناء الأمّ وتعبُها، وقلَّ نومُها وطال سهرُها بسبب تقلُّب جنينها، وتتفاوت الحواملُ في التعب والمشقة، فمنهنّ من يُقعدُها الحملُ عن العمل، ومنهنّ من تلزم الفراش بسببه، وعند الولادة تكون المشقة والعسرة والألم الذي لا يوصف، ثم قد تسلم الوالدة والمولود، وقد يسلم المولود وتموت الوالدة، فإن سلّمت غدّته بلبنها الذي هو خلاصة غذائها، فيضعف بدنُها وتنقص قوّتها، ومع ذلك لا تألوا جهداً في رعاية هذا الطفل، فهي تطعمه وتغذيه، وتنظفه وتغسله، وتغسل ثيابه بل وأذاه، وهو يمنعها الطعام، يبكي وهي تأكل ففتترك الأكل وتقوم له ثم لا تعود إلى الطعام ، وإذا عادت لم تجد الشهية التي تأكل بها ما يلزمها، وهو يمنعها النوم، تنوّمهُ أولاً ثم تنام فيبكي فتقوم إليه وهكذا، والأب من وراء ذلك يكدّ ويكدح، ويشقى ويتعب من أجل توفير حاجياته وتأمين مستقبله، حتى إذا طال عُمرهُ وقوّي جسمهُ ودخل معترك الحياة انصرف عن أبويه ولم يلتفت إليهما، ولم يُعرهما اهتماماً، ولم يُرهما برّاً ولا إحساناً، فكان كما قال أحدُ الآباء يشكو عقوق الأبناء:

غذوتك مولوداً ومُنْتَكَ يافعاً	تعلُّ بما أجني عليك وتنهلُ
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبتُ	لسقمك إلا ساهراً أتململُ
كأنّي أنا المطروقُ دونك بالذي	طرقتَ به دوني فعيناى تهملُ
تخافُ الردى نفسي عليك وإنّها	لتعلمُ أنّ الموتَ وقتٌ مؤجّلُ
فلما بلغت السنَّ والغاية التي	إليها مدّى ما فيك كنتُ أوَمَلُ
جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظَةً	كأنّك أنتَ المنعمُ المتفضّلُ
فليتكَ إذ لم ترعَ حقَّ أبويّ	فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يفعلُ
تراه معداً للخلاف كأنّه	بردٍ على أهلِ الصّوابِ مُوكَّلُ ^(١)

لذلك وصَّى الله تعالى ببرِّ الوالدين، وأكثر من الوصية، وفرَّقها في مواضع من كتابه حتى إذا لم يقرأ الأولى قرأ الثانية، وإذا لم يسمع الثالثة سمع الرابعة، فإذا انتفع بما سمع وقرأ وعَمِلَ به وبرِّ والديه وإلا فالنارُ أولى به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥ و١٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُم بِأُمَّهَاتِكُمْ ثَلَاثًا، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُم بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُم بِالْأَقْرَبِ فَلِأَقْرَبِ» (١)

فَبَرُّوا آبَاءَكُمْ يَحِبُّكُمْ رَبُّكُمْ، فَإِنَّ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ.

وَبَرُّوا آبَاءَكُمْ يَرْضَ عَنْكُمْ رَبُّكُمْ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطَ الرَّبُّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» (٢)،

١- صحيح: [ص. خد: ٤٤]، حم (١٤/٣٧/١٩)، جه (١٢٠٧/٣٦٦١ و ١٢٠٨/٢)، كم (٤/١٥١).

٢- صحيح: [ص. ت: ١٨٩٩]، ت (١٩٦٢/٣/٢٠٧).

بروا آباءكم يستجب لكم ربكم: عَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ قَبْرًا مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» (١)

بروا آباءكم يفرج ربكم كربكم:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ! فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِي، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أُمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحَلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ! فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهَا.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرْقٍ أُرِزُّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَعِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ أَذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخَذُّهَا، فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ « (١)

بَرُّوا آبَاءَكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ ذُنُوبَكُمْ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: لَا قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ فَبِرِّهَا « (٢)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً فَأَبَتْ أَنْ تَتَكْحَنِي وَخَطَبْتُهَا غَيْرِي فَأُحْبَبْتُ أَنْ تَتَكْحَنِي فَغَرْتُ عَلَيْهَا فَفَقَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: تُبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ. فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ « (٣).

ومن برِّ الوالدين: «أن يصاحبهما بالمعروف، وأن يطعمهما إذا جاعا، ويكسوهما إذا عريا، وأن يخدمهما إذا احتاجا إلى الخدمة، وأن يجيب دعوتهما، ويمتثل أمرهما في المعروف، وأن يتكلم معهما باللين، وأن لا يدعوهما باسمهما، وأن لا يمشي أمامهما، وأن يتواضع لهما، ولا يرفع عليهما صوته، ولا يُحدِّث فيهما بصره، وأن يهشَّ لهما ويبش، ولا يعبس في وجههما، وأن لا يقول لهما

١- سنن أبي داود: (٣٤٦٥/٥٠٥٠٦)، م (٢٧٤٣/٢٠٩٩/٤) واللفظ له.

٢- صحيح: [ص: ١٩٠٤]، ت (١٩٦٨/٢٠٩/٣).

٣- صحيح: [ص: ٤: ٤].

قولاً سيئاً، وأن يليَ منهما ما وليا منه في الصغر، ويبقى لهما فضلُ التقدُّمِ»^(١)،
ولذلك قال ﷺ: «لَا يَجْزِي وَكَدَّ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»^(٢)
وَعَنْ أَبِي بُرْزَةَ «أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلٌ يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَدْ حَمَلَ
أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمَذَلَّلُ إِنْ أَدْعَرْتُ رِكَابَهَا لَمْ أَدْعُرْ

ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ عُمَرَ! أَتَرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَا بِزِفْرَةٍ وَاحِدَةٍ»^(٣).

فاغتنموا -رحمكم الله- حياتهما أو أحدهما، فإنَّ مَنْ لم يظفرْ برضا الله في
حياتهما لم يظفر به بعد موتهما:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ
أَنْفٌ. قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا
فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(٤)

فإن مات الوالدان أو أحدهما فَمِنْ بَرٍّهما بعد الموت اجتهدا الولد في
الطاعة والعبادة، لأنَّ كلَّ عملٍ صالحٍ يعملُه فلأبويه من الأجر مثلُ أجره من
غير أن ينقص من أجره شيء، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا
سَعَى﴾^(٥) [النجم] وولده من سعيه كما قال ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ
كَسْبِكُمْ وَإِنْ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»^(٥)

١- نضرة النعيم (٧٧٩/٧٦٩) بتصرف.

٢- م (١٥١٠/١١٤٨) د (١٥١٥/٤٦) ت (١٩٧١/٢١٠) ج (٣٦٥٩/١٢٠٧).

٣- صحيح الإسناد: [ص. حد: ٩].

٤- م (٢٥٥١/١٩٧٨) ت (٣٦١٣/٢١٠) مع جملتين زائدتين .

٥- صحيح: [ص. ت: ١٣٥٨] ت (١٣٦٩/٤٠٦) د (٣٥١١/٤٤٤) ج (٢١٣٧/٧٢٣).

فإذا علم ذلك فليس الولد بحاجة إلى أن يصلي لأبويه، أو يصوم لهما، أو يقرأ القرآن ويهديهما ثوابه، فإن الله من فضله وكرمه يتفضل على الأبوين بمثل أجره في كل عمل صالح من غير أن يهب أو يهدي.

ومن برهما بعد الموت الدعاء لهما والاستغفار، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤) [الإسراء].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا فَيُقَالَ بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» (٢)

ومن برهما بعد موتهما إكرام صديقيهما وصلته إخوانهما:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْرُ النِّبْرَ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدُّ أَبِيهِ» (٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ» (٤)

فالبر البر، وإيّاكم والعقوق فإنه من أكبر الكبائر:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا. قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ.

١- م (١٦٣١/١٢٥٥)، د (٢٨٦٣/٨)، ت (١٣٩٠/٤١٨)، ن (٢٥١/٦).

٢- حسن: [ص. ج: ٢٩٥٣]، ج: (٢/١٢٠٧/٣٦٦٠).

٣- م (٢٥٥٢/١٩٧٩)، ت (١٩٦٦/٣)، د (٥١٢١/١٤/٥٢).

٤- صحيح: [ص. ١٤٣٢] وقال الشيخ رواه أبو يعلى (٣/١٣٦)، ابن حبان (٢٠٣١).

وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ. قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ» (١)

إِيَّاكُمْ والعقوق فإنه يمنع من دخول الجنة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ: وَالذَّيْوُثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَانُ بِمَا أُعْطِيَ» (٢)

فمن لم يخف عذاب الآخرة فليعلم أن له عقوبةً معجلةً في الدنيا كما قال
بابان معجلان

ومن العقوبة المعجلة للعاق لوالديه أن يعقهُ أبناؤه، فكما تدين تدان،
[الشورى: ٤٠].

قال الأصمعي: «حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الْحَيِّ أَطْلُبُ أَعْقَ النَّاسِ، فَكُنْتُ أَطُوفُ بِالْأَحْيَاءِ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شَيْخٍ فِي عُنْقِهِ حَبْلٌ يَسْتَقِي بِدَلْوٍ لَا تَطِيقُهُ الْإِبِلُ فِي الْهَاجِرَةِ، وَالْحَرُّ شَدِيدٌ، وَخَلْفَهُ شَابٌّ فِي يَدِهِ رِشًا مِنْ جِلْدٍ مَلُويٍ يَضْرِبُهُ بِهِ، قَدْ شَقَّ ظَهْرَهُ بِذَلِكَ الْحَبْلِ، قُلْتُ: أَمَا تَنْتَقِي اللَّهَ فِي هَذَا الشَّيْخِ الضَّعِيفِ؟ أَمَا يَكْفِيهِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْحَبْلِ حَتَّى تَضْرِبَهُ؟! قَالَ إِنَّهُ مَعَ هَذَا أَبِي. قُلْتُ: فَلَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. قَالَ اسْكُتْ، فَهَكَذَا كَانَ هُوَ يَصْنَعُ بِأَبِيهِ، وَهَكَذَا كَانَ يَصْنَعُ أَبُوهُ بِجَدِّهِ. فَقُلْتُ: هَذَا أَعْقُ النَّاسِ» (٣).

فالحذر الحذر من العقوق دِقَّةً وَجِلَّةً فَإِنَّهُ يُحْبِطُ الْأَعْمَالُ:

١- متفق عليه: خ: (٢٦٥٤/٢٦١/٥)، م: (٨٧/٩١/١)، ت: (٢٤٠١/٣٧٥/٣).

٢- مسند صحيح: [ص: ٢٥٦١، ن: (٥/٨٠)، حم: (١٠٦/٢٨٤/١٩)، ك: (٤٧/٤)].

٣- نضرة النعيم (١٠/٥٠١٩).

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَدَيْتُ الزَّكَاةَ، وَحَجَجْتُ الْبَيْتَ، فَمَاذَا لِي؟ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، إِلَّا أَنْ يَعْقُ وَالِدَيْهِ» (١).

ومن العقوق أن يعبسَ في وجههما، ويرفع صوته عليهما، وأن يقول لهما أفٍّ ولا يطيع أمرهما، ولا يبرَّ قسمهما، ولا يقضي حاجتهما، ومن العقوق أن يسافر بغير إذنهما، وأن يطيل الغيبةَ وهما يلحَّان عليه بالعودة، ومن العقوق أن يسبَّ الناسَ فيسبُّوه كما قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ» (٢).

وبالجملة فكلُّ فعلٍ أو قولٍ يتأذى به الوالدان فهو من العقوق، والعاقُ في النار كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)﴾ [الرعد].

نسأل الله أن يعيننا على برِّ آبائنا وصلة أرحامنا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

١- صحيح: رواه البزار (١/٢٢/٢٥)، والخطيب البغدادي في «كتابه الجامع» (٢/٢٠٧/١٦٢١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/١٥٠): رواه أحمد الطبراني بإسنادين ورجال أحد الإسنادين رجال الصحيح.

٢- متفق عليه: خ (١٠/٤٠٣/٥٩٧٣)، م (١/٩٢/٩٠)، ت (٣/٢٠٨/١٩٦٥)، د (٥٠/٥١١٩) و (١٤/٥١).

الصنف الثامن عشر

الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرَصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ» (١)

إن الإسلام يريد للمسلمين أن يحيوا سعداء في الدنيا قبل سعادتهم في الآخرة، ومن أعظم أسباب سعادة الدنيا أن تسودهم المحبة وتنتشر بينهم المودة حتى يكون المجتمع كله على قلب رجل واحد كما قال ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (٢)

من أجل ذلك فرض الإسلام على كل مسلم محبة عموم المسلمين وجعلها من مكملات الدين فقال النبي ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُوْمِنُوا وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٣)

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» (٤)

١- م (٤/١٩٨٨/٢٥٦٧).

٢- متفق عليه خ: (١٠/٤٣٨/٦٠١١)، م (١٠/٢٥٨٦/١٩٩٩ و ٤/٢٠٠٠).

٣- م (١/٧٤/٥٤)، د (١٤/١٠٠/٥١٧١)، ت (٤/١٥٦/٢٨٢٩)، ج (١/٢٦/٦٨).

٤- صحيح [ص: د. ٣٩١٥]، د (١٢/٤٣٨/٤٦٥٥).

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ^(١) .

وشرع الإسلام للمسلمين من الشرائع ما إن فعلوه تحابوا، فأمر المسلمين أن يقيموا الصلاة وأن يجتمعوا لإقامتها في الصلوات الخمس والجمعة والعيد، وأوجب أن تكون الصلوات في مساجد الأحياء ليجتمع أهل كل حي في مسجدهم خمس مرات كل يوم يتعارفون بينهم ويعلم متعلمهم جاهلهم ويفقدون الغائب فيعودون المريض ويساعدون المحتاج ويدعون للغائب بالسلامة، ويتشاورون فيما يهمهم من أمور الدين والدنيا، ويتعاونون في حل مشكلاتهم، ولا ريب أن هذه الآداب من شأنها أن تبعث روح المودة والألفة بين المسلمين، وتغشي السلام بينهم، ولقد بلغ من أخذ النبي ﷺ : أسباب بعث روح المودة بين المسلمين أن أمرهم بتسوية الصفوف في الصلاة حتى تكون كصفوف الملائكة وأخبرهم أن الله تعالى رتب على تسوية الصفوف بعث روح المودة والمحبة بينهم كما رتب على عدم تسويتها المخالفة بين القلوب :

عَنْ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَازُوا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ وَسُدُّوا الْخُلَلَ وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ » ^(٢)

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَتَسُونَنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ » ^(٣)

فدل ذلك على وجوب تسوية الصفوف، كما دل على عظم ثمرة الالتزام بهذا الأمر وهي أنه يثمر تلقيح العقول وتلاقي الأرواح وتألفها لاجتماعها على طاعة الله .

١- مؤلف: تاريخ: (١٣/٥٦ و ١/٥٧)م، (١/٦٧/٤٥)ت، (٤/٧٦/٢٦٣٤)هـ، جه (١/٢٦/٦٦)

٢- مصنف: [ص: ٦٢٠: د]، د (٢/٣٦٦ و ٣٦٥/٦٥٢)

٣- مؤلف: تاريخ: (٢٠٦/٧١٧ و ٢/٢٠٧)م، (١/٣٢٤/٤٣٦)هـ

وكذلك حثَّ الإسلام على الصدقة ورغب فيها لما فيها من توسعة على الفقراء ولتفادي حقدهم على الأغنياء وبعث روح المحبة والمودة بين قلوب الفقراء والأغنياء بعد أن عطف الأغنياء على الفقراء قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] أي تطهرهم من الشح والبخل وتزكيهم من التكبر والافتخار على الفقراء وبعث روح المحبة والوئام بين الفقراء والأغنياء.

كما حثَّ الإسلام على الهدية وقبولها وإطعام الطعام وإجابة الدعوة لأن ذلك يقوي العلاقات ويوجد السلام، «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا» (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ» (٢)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا» (٣)

كما حثَّ على التهادي ولو بالقليل فيقول: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسِينَ شاةً» (٤)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» (٥)

١- خ (٢٥٨٥/٢١٠/٥)، د (٣٥١٩/٤٥١/٩)، ت (٢٠١٩/٢٢٧/٣).

٢- خ (٢٥٦٨/١٩٩/٥)، ت (١٣٥٣/٣٩٧/٢).

٣- م (١٤٢٩/١٠٥٣/٢).

٤- متفق عليه: خ (٢٥٦٦/١٩٧/٥)، م (١٠٣٠/٧١٤/٢).

٥- م (٢٦٢٥-١٤٢-٤/٢٠٢٥).

وَمِنْ حُتِّهِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : « تَهَادُوا تَحَابُوا »^(١)

كما بلغ من حرص النبي ﷺ على روح المحبة والوثام بين المسلمين أنه كان يُرغِّبهم في التزاور ويحثُّهم عليه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ طِبْتَ وَطَابَ مَمَشَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنَزَلًا »^(٢)

وَعَلِيٌّ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُنْسِيًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ »^(٣)

وَعَنْ مُعَاذٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: « وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُونَ فِيَّ وَيَتَجَالَسُونَ فِيَّ وَيَتَبَاذَلُونَ فِيَّ »^(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرَصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ »^(٥)

١- حسن : [ص.ج: ٣٠٠١] وقال الشيخ في «الإرواء» (١٦٠١) : أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤) والدولابي في «الكنى» (١٥٠/١ و ٧/٢)، وتمام في «الفوائد» (٢/٢٤٦)، وابن عدي (٢/٢٠٤)، وابن عساكر (٢/٢٠٧/١٧)، وكذا البيهقي (١٦٩/٦).

٢- حسن : [ص.ت: ٢٠٠٨]، ت (٢/٢٤٦/٢٠٧٦)، ج (١/٤٦٤/١٤٤٣).

٣- صحيح : [ص.ت: ٩٦٩]، ت (٢/٢٢٢/٩٧٧)، د (٨/٣٦٢/٨٤-٣٠٨٢).

٤- صحيح : [ص.ج: ٤٢٠٧]، ط (٦٨٠/١٧٣٥)، حم (١٩/١٥٨ و ٣٢/١٥٧)، ك (٤/١٦٩)، حب (٢٠١٠/٢٢١ و ٦٢٢).

٥- م (٤/١٩٨٨/٢٥٦٧).

ولو ذهبنا ننتبّع شرائع الإسلام التي شُرعتْ لبثَّ روح المحبة بين المسلمين لعجزنا عن تتبّعها لأن كل الشرائع إنما شُرعت لذلك، وكل ما نُهي عنه فإنما نُهي عنه حرصاً على المحبة والمودة وقطعاً لما يجلبه من العداوة والبغضاء .

فيا معشر المسلمين تحابوا بروح الله، وتزاوروا في الله، ولتقرّب كل مسلم إلى ربّه بحبّ المسلمين أجمعين فإن لكم فضلاً عظيماً وأجرًا كبيراً ومن ذلك أن الله يُحبّ من أحبّ أحبّاه، فالله يُحبّ المؤمنين ويُحبّ المؤمن الذي يُحبّهم كما في الحديث «بأنّ الله قد أحبّك كما أحبّته فيه»^(١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ أَحْضَاهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»^(٢)

ومنه: أن الحب في الله عنوان كمال الإيمان كما سبق بيانه.

ومنه أن الحب في الله من أعظم موجبات الجنة كما قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) ﴿الزخرف﴾ .

ومنه: أنه يقي صاحبه من الحرّ يوم القيامة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمِ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(٣)

ومنه: أنه يوجب لهم الرضا والفرح يوم الفزع الأكبر:

١- صحيح: [ص.ج: ٥٤٧٠، حب (٦٢١/٢٥٠٩)، ك (٤/١٧١)].

٢- م (٤/١٩٨٨/٢٥٦٦)].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْطِبُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَّوْهُهُمْ لَنُورٍ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾» [يونس] (١)

ومنه أن من أحب في الله ذاق حلاوة الإيمان كما في الحديث:

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» (٢)

ومنه: أن المتحابين في الله يشفع بعضهم لبعض يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتِي عَنْ مَوْتِي شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ (٤٢) [الدخان] أي فإنه يغني بعضهم عن بعض، وينفع بعضهم بعضاً، ويشفع بعضهم لبعض، كما في حديث الشفاعة في مرور الناس على الصراط قال ﷺ: «فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْذُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحْجُونَ فَيَقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ

١- صديح: [ص. ٣٠١٢: د] (٩/٤٤٣/٣٥١٠).

٢- متفق عليه: خ (١/٦٠/١٦)، م (١/٦٦/٤٣)، ت (٤/١٢٧/٢٧٥٩)، ج (٢/١٣٣٨/٤٠٣٣)، ن (٨/٩٦).

عَرَفْتُمْ فَتَحَرَّمْ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيَلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأَخْيَضُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ فَيُخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ النِّخَاسَ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عِتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١)

ومن هنا قيل: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة وكان

الشافعي يقول:

١- متفق عليه: خ (٧٤٣٩/٤٢٠-٤٢٢/١٣) م (١٨٣/١٦٧-١٧١/١) ن (١١٢/١١٣ و ٨).

أحب الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعته
وأبغض من بضاعته المعاصي
وإن كنا سويًا في البضاعة

فدينوا جميعاً لله بمحبة المؤمنين، واستكثروا من الأحبة، وإذا أحبَّ أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَعَلِمْتَهُ قَالَ لَا قَالَ أَعَلِمْتَهُ قَالَ فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ فَقَالَ أَحَبَّكَ الَّذِي أُحِبُّنِي لَهُ» (١)

هذا الحب يوجب على المتحابين التعاضد والتساعد والتناصر، فيجب على الحبيب أن يكون عوناً لأخيه يساعده إذا احتاج، وينصره إذا ظلم، ويهديه إذا ضلّ، ويفرج كربته ويلمّ شعثه ويقف بجواره في كل الملمات كما قيل :

إن أخاك الحق من كان معك
ومن يضراً نفسه لينفك
ومن إذا ريبُ الزمان صدّك
شئت فيك شمله ليجمعك

قال الله تعالى عن الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) [الحشر].

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

١- حسن [ص: ٤٢٧٤، د: (١٤/٣٢/٥١٠٣)].
٢- خ (٥/٩٨/٢٤٤٤)، ت (٣/٣٥٧ و ٣/٣٥٦)، د (٣/٣٥٧ و ٣/٣٥٦).

«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلَمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١)

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أُرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قُلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّْي وَأَنَا مِنْهُمْ» (٢)

وعلى الحبيب أن يكون ناصحاً لسببيه دائماً:

عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الِدِّينُ النَّصِيحَةُ قُنْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (٣)

والمسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يكذبه ولا يظلمه، وإنَّ أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكْفُ عَلَيْهِ ضِيعَتُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ» (٤)

وعلى الحبيب أن يشرك حبيبه في الدعاء في كل وقت:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَكَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ

١- متفق عليه: خ (٥/٩٧/٢٤٤٢)، م (٤/١٩٩٦/٢٥٨٠)، د (٤/١٣٦/٤٨٧٢)، ت (١٤٥١/٢/٤٤٠).

٢- متفق عليه: خ (٥/١٢٩/٢٤٨٦)، م (٥/١٩٤٤/٢٥٠٠)، د (٤/١٩٤٥).

٣- م (٥/١٧٤/٥٥٠)، د (١٣/٢٨٨/٤٩٢٣)، ن (٧/١٥٦).

٤- حسن: [ص: ٤١١٠: د (١٣/٢٦٠/٤٨٩٧)].

الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ (١)

وقال يحيى بن معاذ: «بئس الصديق تحتاج أن تقول له اذكرني في دعائك» (٢)، وعلى الحبيب أن يستغفر لأخيه بالليل والنهار فذلك دأب الملائكة المقربين والنبیین المرسلين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وقال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) [إبراهيم] وبذلك أمر الله نبينا محمداً ﷺ فقال: ﴿فَاعْتَمِدْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وبذلك وصى ﷺ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً

وعلى الأحبة أن يحافظوا على دوام الحب حتى ينتفعوا به:

لقوله ﷺ فِي الَّذِينَ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» (٣) ويصلح الضمير ليعود على الله وعلى الحب وذلك يستلزم الصبر على الحبيب وغيض الطرف عن زلاته وترك معائبه والعفو عنه والصفح، فإذا أحببت رجلاً في الله فاحرص على أن يستمر الحب حتى يفرق بينكما الموت، وبعد الموت كن وفيّاً لحبيبك بالدعاء له والاستغفار والسؤال عن أهله وعياله، وتفقد أحوالهم وقضاء حوائجهم، «وقد كان بعض السلف يتفقد عيال أخيه وأهله بعد موته أربعين سنة فيقضي حوائجهم» (٤).

١- م (٢٧٣٣/٢٠٩٤)، ج (٢٨٩٥/٩٦٦ و ٩٦٧/٢).

٢- مختصر منهاج القاصدين: (ص: ١٠٠)

٣- مرقى: خ (٢/١٤٣/٦٦)، م (٢/٧١٥/١٠٣١)، ت (٤/٢٥٠٢٤/٢٥٠٠)، ن (٨/ ٢٢٣ و ٢٢٢).

٤- مختصر منهاج القاصدين: (ص: ١٠٠).

الصنف التاسع عشر

الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي الْأَنْصَارِ: « لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ » (١)

الأنصار هم أهل المدينة، المعروفون قبل الإسلام بالأوس والخزرج. فلما آووا رسول الله ﷺ وعزروه ونصروه سمّاهم الله الأنصار:

عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لَأَسْ: « أَرَأَيْتَ اسْمَ الْأَنْصَارِ؟ كُنْتُمْ تُسَمُّونَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمَّانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » (٢)

وكان من شأنهم أن الله تعالى لما أراد أن يخرج البشرية من ظلمات الجهل والوثنية اصطفى لهذه الأمة خير البرية محمداً ﷺ فنّبأه ب «اقرأ»، وأرسله ب «قُمْ فَأَنْذِرْ»، فقام ﷺ في قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما كانوا يعبدون هم وآباؤهم الأقدمون.

ومعنى هذه الدعوة ذمّ آلهتهم، وتسفيه أحلامهم، وإبطال ألوهية آلهتهم، فعزّ عليهم أن يفرقوا دينهم ويدخلوا في دين الله الذي يدعوهم إليه رسول الله ﷺ «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ» (٤) أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (٥) وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا

١- متفق عليه: خ (٣٧٨٣/٧١١٣) م (٧٥/٨٥) ت (٣٩٩٠/٣٧١) ٥.

٢- خ (٣٧٧٦/١١٠) ٧.

اِخْتَلَقَ^(٧) أَعَزَّلَ عَلَيْهِ الذَّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ^(٨) [ص]

وهكذا أخذت قريش في مقاومة الدَّعوة الجديدة وذمَّ حاملها لصرف الناس عنها، وتوصية الناس بالثبات على دين الآباء، والصبر على عبادة الأصنام، وواصل النبي ﷺ دعوته حتى بلغت مبلغاً ما ظنَّت قريش أن تبْلغه ودخل في دين الله أفراد من قريش، وأخذت الأعداد تزداد وإن كانت زيادةً قليلة إلا إنها نبَّهت قريشاً إلى ضرورة وقف هذا التزايد بأي وسيلة، فأقبلوا على المستضعفين من المسلمين يسومونهم سوء العذاب حتى مات بعضهم تحت وطأة التعذيب، ولم يسلم النبي ﷺ نفسه من هذا الأذى، لكن الله عصمه من القتل بعد أن قصدوه:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ أَخْبَرَنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [الآيَةُ [غافر: ٢٨]]»^(١)

وهكذا وقفت قريش من الدعوة موقف العداء، ﴿وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا^(٧)﴾ ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا^(٢٢)﴾ [نوح] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَادَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ^(٥)﴾ [فصلت].

فحاول النبي ﷺ أن ينتقل بالدَّعوة إلى أرض جديدة لعلَّه يجد من يقبلها وينصره ليلبِّغها، فخرج من مكة قاصداً الطائف، كلما أتى على قومٍ دعاهم إلى الله فلم يُجِبْه منهم أحد، حتى أتى الطائف فدعاهم فلم يجيبوه ولم يحسنوا ردّه، بل

أَغْرَوْا بِهِ سَفَهَاءَهُمْ وَصَبِيَانَهُمْ فَرَمَوْهُ بِالْحَجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْهُ، فَرَجَعَ حَزِينًا مَهْمُومًا حَتَّى أَغَاثَهُ اللَّهُ بِمَلِكِ الْجِبَالِ لِأَمْرِهِ بِمَا شَاءَ فَعَفَا عَنْهُمْ وَدَعَا لَهُمْ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٌ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلِكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (١)

وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّى مَوَاضِعَ اجْتِمَاعِ الْقِبَائِلِ فِي الْأَسْوَاقِ وَغَيْرِهَا، وَفِي مَوْسَمِ الْحَجِّ، فَالْتَقَى بِرُؤَسَاءِ الْقِبَائِلِ وَأَشْرَافِهَا، وَدَعَاهُمْ إِلَى إِيْوَانِهِ وَنُصْرَتِهِ لِيُبَلِّغَ دِينَ رَبِّهِ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى مَا طَلَبَ لَمَّا ادَّخَرَهُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]

فَفِي مَوْسَمِ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبَعْثَةِ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا مِنَ الْخَزَرَجِ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَكَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّ نَبِيًّا قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ فَعَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ، فَأَجَابُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا إِنَّا تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، وَسَنَعْرِضُ

١- متفق عليه: (خ) (٣٢٣١/٣١٢ و ٣١٣/٦)، م (٤٢٠/١٧٩٥ و ٣/١٤٢١) قال الحافظ: قوله "ذلك

فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ" كَذَا لِأَبِي ذَرٍّ عَنْ شَيْخِهِ، وَلَهُ عَنِ الْكَشْمِيهَنِيِّ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: "فَمَا شِئْتَ" اهـ.

عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله بك فلا رجل أعزّ منك. ثم انصرفوا إلى بلادهم فدعوا قومهم إلى الإسلام، فوافى الموسم الثاني منهم اثنا عشر رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ببيعة العقبة الأولى على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا بهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصون رسول الله ﷺ في معروف، وبعث معهم رسول الله ﷺ مُصَنَّبَ بن عُمير فلبث فيهم سنة دعاهم إلى الإسلام، وعلمهم القرآن، حتى إذا كان الموسم الثاني خرج من أهل المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فلقاهم رسول الله ﷺ عند العقبة فبايعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم إن هو هاجر إليهم، ثم انصرفوا إلى المدينة.

وأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة فهاجروا، وظلّ رسول الله ﷺ ينتظر إذن الله له بالهجرة، وهم أبو بكر بالهجرة فقال له رسول الله ﷺ : انتظر لعلّ الله يجعل لك صاحباً، فانتظر، وأعدّ راحلتين للهجرة، فلما أذن الله لرسوله خرج هو وأبو بكر فاستقبلهم أهل المدينة أحسن استقبال، وتنافسوا في استضافة رسول الله ﷺ وأصحابه حتى اقترعوا فيما بينهم عليهم، لقلة المهاجرين وكثرة أهل المدينة، وانطلق كل أنصاري بما نال من المهاجرين وهو مسروراً كأنما فاز بغنيمة.

وزيادة في تأكيد الصلة وتقوية العلاقة آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، أخوة تجعل المهاجري أولى بمال أخيه الأنصاري في الميراث من أهله وأقاربه والعكس، فضرب الأنصار المثل الأعلى في الوفاء بحق الأخوة وحسن الاستقبال وكرم الضيافة،

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتَ لَكَ عَنْهَا،

فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوُّجَتَهَا. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سَوْقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ سَوْقٌ فَيَنْقَاعِ. قَالَ فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقْطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ ثُمَّ تَابِعِ الْغَدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجْتَ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ كَمْ سَفَقْتَ؟ قَالَ زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْلَيْمَ وَلَوْ بِشَاةٍ (١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ يَعْني شَيْئًا وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالْعَقَارِ فَقَاسَمَهُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُمْ ثَمَارَ أَمْوَالِهِمْ كُلِّ عَامٍ وَيَكْفُوهُمْ الْعَمَلَ وَالْمَوْنَةَ وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَنَسٍ أُمُّ سَلِيمٍ كَانَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ فَكَانَتْ أُعْطِيَتْ أُمُّ أَنَسٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِذَاقًا فَأَعْطَاهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلَاتِهِ أُمُّ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي أَنَسُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَتْلِ أَهْلِ خَيْبَرَ فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْأَنْصَارِ مَتَانِحَهُمُ الَّتِي كَانُوا مَتَحُوهُمْ مِنْ ثَمَارِهِمْ فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُمِّهِ عِذَاقَهَا وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ مَكَانَهُنَّ مِنْ حَائِطِهِ» (٢)

ولقد عجب الله من صنيعهم وأثنى عليهم، ومدحهم وأنزل فيهم قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ «تعبير ذو ظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كان دارهم ومنزلهم ووطنهم

١- خ (٤٨/٢٠٤٨).

٢- متفق عليه: خ (٢٦٣٠/٢٤٢٠)، م (١٧٧١/١٣٩١ و ٣/١٣٩٢) قال الحافظ: العِذَاق جمع

عِذَاق، والعِذَاق النخلة.

الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار»^(١).

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ «لمحببتهم الله ورسوله، أحبوا أحبائه، وأحبوا من نصر دينه.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله، وخصتهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها. وهذا يدل على سلامة صدورهم وانتفاء الغل والحسد عنها، ويدل أيضاً على أن المهاجرين أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم في الذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، لأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة»^(٢) كما قال تعالى فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣) [الحشر] فالمهاجرون أنصار، وأهل المدينة أنصار، ولكن الهجرة أفضل من النصرة، فخص الله أهل مكة بالهجرة فسمّاهم المهاجرين، وخص أهل المدينة بالنصرة فسمّاهم الأنصار، ومعنى ذلك أن حبّ المهاجرين واجب، وأن من أحبهم أحبه الله .

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ «أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميّزوا بها عمّن سواهم الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدّمة على شهوات النفس ولذاتها»^(٤).

١- في ظلال القرآن (٨/٤٠).

٢- تفسير السعدي (٣٣٤ و ٣٣٥/٧).

٣- نفس المصدر (٧/٣٣٥).

وهذا الاستقبال حدث تاريخي لم ير التاريخ البشري مثله، وهو «صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى أفق، لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أطباقاً طائفة ورؤى مُجَنِّحة، قد صاغها خيال مُخلِّق»^(١).

وظلَّ الأنصارُ متّصفين بهذه الصفات متخلّقين بهذه الأخلاق، يؤثرون على أنفسهم إذا رأوا محتاجاً وإن كانوا هم محتاجين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَصَابَتِي الْجَهْدُ! فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟! فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِمَرْأَتِهِ ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تَدْخِرِيهِ شَيْئًا قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ! قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَى فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَتَطْوِي بَطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ. ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]»^(٢)

حتى بعد أن وسَّع الله على رسوله ﷺ وصالح أهل البحرين أراد ﷺ أن يُعطي أرضَ البحرين للأنصار فأبوا حتى يُعطي المهاجرين:

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَكْتُبَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا. فَقَالَ ذَاكَ لَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُونَ لَهُ. قَالَ: فَإِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٣)

١- في ظلال القرآن (٨/٤٠).

٢- متفق عليه: خ (٣٧٩٨/١١٩/٧)، م (٢٠٥٤/١٦٢٤/٣).

٣- خ (٣١٦٣/٢٦٨/٦).

وظلَّ الأنصارُ أوفياءَ لرسولِ الله ﷺ بما بايعوه عليه من النصرة والحماية حتى صارت دارُهم موئلاً ومرجعاً يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون، إذ كانت البلدان كلها بلدانَ حربٍ وشركٍ وشر، فلم يزل أنصارُ الدين يأتون إلى الأنصار حتى انتشر الإسلام وقوي، وجعل يزداد شيئاً فشيئاً حتى فتحوا القلوبَ بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدانَ بالسيف والسنان، لذلك أحَبَّهُم الله ورسولُه، وتمنَّى رسولُ الله ﷺ أن يكون منهم فقال: «لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكَوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي! أَوْوَهُ وَتَصَرَّوهُ أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى» (١)

وجعل ﷺ حُبَّهُم علامةَ الإيمان، وبُغْضَهُم أَمارةَ النفاق فقال ﷺ: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ» (٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ» (٣)

ووصَّى بهم الأمراء في مرض موته :

عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: « فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي

١- خ (٧/١١٢/٢٧٧٩).

٢- متفق عليه :خ (٧/١١٣/٣٧٨٣)، م (١/٨٥/٧٥)، ت (٥/٣٧١/٣٩٩٠).

٣- متفق عليه :خ (١/٦٢/١٧)، م (١/٨٥/٧٤).

وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَأَقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» (١)

وذا كان حديثنا عن حُبِّ الأنصار فعلينا أن نعلم أن حُبَّ أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين واجب، سواءً منهم المهاجرون والأنصار، وسواءً منهم السابقون والمتأخرون، فكلُّهم أنصار الله، أحبُّوا الله فأحبَّهم ورضي عنهم ورضوا عنه، وأحبَّ الله من أحبَّهم ورضيَ عَمَّنِ اتَّبَعَهُمْ، وأخبر بذلك فقال تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ [التوبة]..

فهنيئاً لمن أحبَّ أصحاب رسول الله ﷺ، وهنيئاً لمن ترضى عنهم وترحمَ عليهم ودعا لهم، لقد دخل في عموم ثناء الله على المهاجرين والأنصار ومن بعدهم حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر].

فأحبُّوا رحمكم الله أصحاب رسول الله، واستبشروا بصحبته في الجنة وإن لم تصحبوهم في الدنيا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ «قَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ قَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» (٢)

١- خ (٣٧٩٩/٢٠ و ١٢١/٧).

٢- متفق عليه: خ (٣٦٨٨/٤٢)، م (٢٦٣٩-١٦٣-٢٠٣٢ و ٢٠٣٣/٤).

الصنف العشرون

أَهْلُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوْدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» (١)

الجُودُ هو: «البذل من غير عوضٍ ولا غرضٍ، والكرمُ هو التبرُّعُ بالمعروف قبل السؤال، والإطعامُ في المَحَلِّ، والرأفةُ بالسائل مع بذل النائل، وقيل: الكرمُ هو البذل من غير عوض ولا غرض، ومعناه أَنَّ الجود والكرم بمعنى واحد، وفرَّقوا بينهما بأنَّ الكرم يكون مسبقاً باستحقاق السائل والسؤال منه، والجود صفة ذاتية للجواد، ولا يستحقُّه بالاستحقاق والسؤال» (٢).

والجودُ والكرمُ صفتان لله عزَّ وجلَّ، ومن أسمائه الحسنَى الكريمُ الجواد، قال أبو حامد الغزالي: «والكريمُ من أسماء الله تعالى هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفَّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يُبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإذا رُفعت حاجةٌ إلى غيره لا يرضى، وإذا جُفي عاتب، ولا يضيع من لاذ به والتجا، ويغنيه عن الوسائط والشفعاء» (٣)

فالجود والكرم صفتان من صفات الله عزَّ وجلَّ «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ

١- صحيح: [ص.ج: ١٧٩٦]، ك (١/٤٨).

٢- نضرة النعيم (٤/١٥٠٧).

٣- نضرة النعيم (٨/٣٢١٥).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» (١) وهو سبحانه يُحِبُّ من اتصف بالجود والكرم، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَدَةَ» (٢)

قال ابن عبد السلام: «الصفات الإلهية ضربان: أحدهما يختصُّ به كالأزليَّة والأبدية والغنى عن الأكوان، والثاني يمكن التخلُّق به وهو ضربان :

أحدهما لا يجوز التخلُّق به كالعظمة والكبرياء، والثاني ورد الشرع بالتخلُّق به كالكرم والجود والحلم والحياء والوفاء، فالتخلُّق به بقدر الإمكان مُرضٍ للرحمن مُرغمٌ للشيطان» (٣).

ولقد كثر في القرآن الكريم الأمر بالكرم والجود والنهي عن البخل والشح، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) [الحديد]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٢٦٧) [البقرة] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٥٤) [البقرة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ (٣١) [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) [المنافقون].

ومع الأمر بالجود والكرم يأتي الترغيب فيهما ببيان فضلها وكثرة الأجر

١- متفق عليه: خ(٧٤١٩/٤٠٣/١٣)، م(٩٩٣-٣٧/٦٩١/٢)، ت(٥٠٣٦/٣١٧/٤)، ج هـ (١/٧١/١٩٧)

٢- صحيح: [ص.ج: ١٧٩٦]، ك(١/٤٨).

٣- فيض القدير (٢/٢٥١).

وَالثَّوَابَ الْمُرْتَبِئِينَ عَلَيْهِمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: (٢٦١)] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤) [البقرة: (٢٧٤)] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران: (١٣٤)] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: (٣٠)] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [الرعد: (٢٤)].

ولقد شهد الله لمن استجاب لأمره وأنفق في سبيله ابتغاء مرضاته بالإيمان، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦)﴾ [السجدة: (١٦)] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤)﴾ [الأنفال: (٤)] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴿البقرة﴾. كما شهد الله لأهل الجود والكرم بالهدى واستحقاق الفلاح، وأخبر أن إحسانهم إلى الناس كان سبب توريتهم الجنة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) عَاذِينَ مَا عَاثَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ [الذاريات]

ولما كان النبي ﷺ أعلم الناس بالله كان أكثرهم تخلقاً بصفات الله التي يمكن الاتصاف بها ومنها الجود والكرم.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجُودَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجُودُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١)

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ «بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَةٌ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلَقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سِمْرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَّفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِصَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيلاً وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا»^(٢)

وَعَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ قَالُوا الشَّمْلَةُ قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لَأَكْسُوَكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فَحَسَنَتْهَا فَلَنَّا فَقَالَ اكْسُيْنِيهَا مَا أَحْسَنَتْهَا قَالَ الْقَوْمُ مَا أَحْسَنَتْ لِبَسَها النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ قَالَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهِ لَأَلْبِسَهُ إِنَّمَا

١- متفق عليه: خ (٦/٣٠/١)، م (٢٣٠٨/٢٣٠٣/٤)، ن (٤/١٢٥).

٢- خ (٦/٣٥/٢٨٢١).

سَأَلْتُهُ لَتَكُونَ كَفَنِي قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنَهُ^(١)

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى
الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى
قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اسْلُمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»^(٢)

وهكذا علم ﷺ أصحابه الجود والكرم بفعله، ودعاهم إليه بقوله، ومما
أثر عنه في ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ
الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ
اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِكًا تَلَفًا»^(٣)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ
الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُنْسِكَ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامَ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ،
وَالْيَدِ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»^(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ
طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرَبَّوْ
فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَكْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ أَوْ
فَصِيلَةٌ»^(٥)

١- خ (٣/١٤٣/١٢٧٧).

٢- م (٤/١٨٠٦/٢٣١٢).

٣- متفق عليه: خ (٣/٣٠٤/١٤٤٢)، م (٢/٧٠٠/١٠١٠).

٤- م (٢/٧١٨/١٠٣٦)، ت (٤/٤/٢٤٤٦).

٥- متفق عليه: خ (٣/٢٧٨/١٤١٠)، م (٢/٧٠٢/١٠١٤)، ت (٢/٨٦/٦٥٩)، ن (٥/٥٧)، ج هـ

(١/٥٩٠/١٨٤٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقَى حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابَ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ فُلَانٌ لِلْإِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَأْوُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ. فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ» (٢)

وكما أمر الله تعالى عباده بالجود ورغبتهم فيه فقد نهاهم عن البخل وحذرهم منه فقال تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لَتَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَكَّلُوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (٣٨) [محمد] ، وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخُلْ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ [الليل]

وكما أخبر سبحانه أنه يحبُّ الجوادَ الكريم، فقد أخبر أنه يبغض البخيل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ

١- م (٢٢٨٨/٢٩٨٤) (٤).

٢- خ (٤٤٤٢/٦٤٠/١١)، ن (٢٣٧ و ٢٣٨/٥).

عَذَابًا مُهِينًا (٣٧) ﴿[النساء]، فالبخل من صفات الكافرين وإخوانهم المنافقين، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْتُهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾ [التوبة]

وتوعّد الله البخلاء بأشدّ العذاب فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)﴾ [آل عمران]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبْيَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ الْآيَةَ [آل عمران: ١٨٠]» (١)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ [التوبة]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صَفَّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى

الْجَنَّةُ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. (١)

فيا أرباب الأموال! ويا ذوي النعم! ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾ [الحديد] أنفقوا مما رزقكم الله، «وَاتَّقُوا الشَّحَّ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (١٢)، واحذروا البخل فإنه شؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة، أمّا شؤمه في الآخرة فإنه يُعَرِّضُهُ لِلْعَيْدِ المذكور في الآيات السابقة، وأمّا شؤمه في الدنيا فإنه يتسبب في زوال النعمة وضياع المال، وهذا ما ذكره الله تعالى عن أصحاب الجنة، وكان من شأنهم أنهم ورثوا عن أبيهم بستاناً مباركاً، وكان أبوهم رجلاً صالحاً جواداً كريماً يعرف للفقراء والمساكين حقهم في مال الله الذي آتاه، فلما مات عابوا طريقته، وذموا مسلكه، وبخلوا بحق الفقراء والمساكين، فلما حان وقتُ الحصاد حلفوا بالله أن لا يُعْطُوا الفقراءَ وتواصوا به، فأرسل الله تعالى على تلك الجنة ناراً فأحرقتها وهم نائمون، فلم يرُعْهُمْ إِذْ أَتَوْهَا إِلَّا إِنَّهَا سُودَاءُ جَرْدَاءُ، فعرفوا أن الله عاملهم بنبيتهم وحرّمهم قبل أن يحرّموا الفقراء، فندموا أشدَّ الندم ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (٣) ﴿ص﴾ فقد فات الأوان، واقرءوا إن شئتم قصّتهم في القرآن، قال تعالى ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

١- م(٩٨٧/٢٦٨٠)د(١٦٤٢/٧٥٠).

٢- م(٢٧٥٨/١٩٩٦)ع(٤).

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اغْدُوا عَلَىٰ حَرِّئِكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ (٢٤) وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴿[القلم].

الصنف الحادى والعشرون

أَهْلُ الْحَيَاءِ وَالسِّرِّ

عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَّازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمُنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّرَّ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ» (١)

الحياءُ صفةٌ من صفات الله عزَّ وجلَّ، والحيُّ اسمٌ من أسماء الله الحسنى، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سِتِيرٌ»

وَعَنْ سَلْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا، أَوْ قَالَ خَائِبَتَيْنِ» (٢) (ليس فيهما شيء)

وهو صفةٌ من صفات الملائكة المقربين، والنبیین المرسلين، وعباد الله الصالحين:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْشَ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْشَ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ؟ فَقَالَ: أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» (٣)

١- صحيح: [ص. ٣٣٨٧: د.] (٣٩٩٣/٥٠/١١) بن (١/٢٠٠).

٢- صحيح: [ص. ٣٥٥٦: ت.] (٣٦٢٧/٢١٧/٥) د. (١٤٧٤/٣٥٩/٤)، ج. (٣٨٦٥/١٢٧١/٢).

٣- م (٤/١٨٦٦/٢٤٠١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا! فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا! فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَا كُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، انْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَا كُمْ وَيَذْكُرُ سُؤَالَ رَبِّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي، فَيَقُولُ: انْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَا كُمْ، انْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَا كُمْ وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ: انْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ، فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَا كُمْ انْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تَعْطَهُ، وَقُلْ يَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ يَعْنِي قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾» (١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خُدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفَنَاهُ فِي وَجْهِهِ» (٢)

أما الحياء الذي هو صفة لله عز وجل فالقول فيه كالقول في سائر الصفات: صفة لله عز وجل، تليق بجلاله، لا تشبه صفات المخلوقين، ولا تدرك كُنْهَهَا وَكَيْفِيَّتُهَا الْعُقُولُ، والغرض والغاية من وصف الله تعالى بها فعل ما يسرُّ،

١- متفق عليه: خ(٤٤٧٦/٨/١٦٠)، م(١٩٣/٨٠/١٨١).

٢- متفق عليه: خ(٦١٠٢/٥١٣/١٠)، م(٢٣٢٠/١٨٠٩/٤/١٨١٠)، ج(٤١٨٠/١٣٩٩/٢).

وَتَرَكَ مَا يَضُرُّ، وَالْعَطَاءُ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ، وَقَالَ الْفَيْرُوزُ أْبَادِي: «وَأَمَّا حَيَاءُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ فَنَوْعٌ آخَرٌ لَا نُدْرِكُهُ وَلَا نُكَيِّفُهُ، فَنَقُولُ إِنَّهُ حَيَاءُ كَرَمٍ وَبِرٍّ وَجُودٍ، فَإِنَّهُ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا، وَيَسْتَحِي أَنْ يَعَذِّبَ شَيْئَةً شَابَتْ فِي الْإِسْلَامِ»^(١).

أَمَّا الْحَيَاءُ فِي الْإِنْسَانِ فَهُوَ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ: خُلِقَ يَبْعَثُ عَلَى فِعْلِ الْحَسَنِ وَتَرَكَ الْقَبِيحِ، قَالَ ابْنُ عَلَانَ: نَفَذُوا الْحَيَاءَ لَا يَكْذِبُ، وَلَا يَسْبُ، وَلَا يَلْعَنُ، وَلَا يَلْغُو وَلَا يَغْتَبِ، وَلَا يَنْمُ وَلَا يَشْتُمُ، وَلَا يَقُولُ الْخَنَا وَلَا الْفَحْشَ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ تَسْقُطُ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ تَجْلِبُ لَهُ سَخَطُ الرَّبِّ.

وَذُو الْحَيَاءِ لَا يَزْنِي، وَلَا يَصَافِحُ النِّسَاءَ، وَلَا يَجَالِسُهُنَّ، وَلَا يَخْلُو بِهِنَّ، وَلَا يَسْرِقُ وَلَا يَأْكُلُ الْحَرَامَ، وَلَا يَرْتَشِي وَلَا يَأْكُلُ الرِّبَا، وَلَا يَعْقُ وَالِدِيهِ، وَلَا يَقْطَعُ رَحِمَهُ وَلَا يُوْذِي جِيرَانَهُ، وَلَا يَعِشُ فِي بَيْعِهِ وَلَا يَخُونُ، وَلَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَلَا يَنْقُضُ عَهْدَهُ. وَذُو الْحَيَاءِ لَا يَغْضَبُ، وَلَا يَحْقِدُ وَلَا يَحْسَدُ، وَلَا يَنَافِقُ وَلَا يُمَارِي وَلَا يَجَادِلُ، وَلَا يَحْرَصُ عَلَى الدُّنْيَا.

وَذُو الْحَيَاءِ لَا يَقْصُرُ فِي حَقِّ اللَّهِ، وَلَا يَقْصُرُ فِي حَقِّ ذِي حَقٍّ، وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْحَيَاءِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ رِيْنَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^(٢).

١- بصائر ذوي التمييز (٢/٥٧) كذا في «نصرة النعيم» (٥/١٧٩٨).

٢- حسن: [ص.ت. ٢٤٥٨]، ت. (٢٥٧٥/٢٥٣ و٥٤/٤).

فإذا رأيت إنساناً يشمئز ويتحرَّجُ من فعل ما لا ينبغي، أو رأيت حُمْرَةً الخجل في وجهه صابغةً إذا بدر منه ما لا يليق فاعلم أنه حيي، وإذا رأيت الرجل لا يكثر ولا يبالي فيما بدر منه فهذا امرؤ لا خير فيه، وليس له وازع يمنعه من ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام والرزايا.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْتَعِ مَا شِئْتَ» (١)

ومما يُنافي الحياء النَّسَاهُ في العورات وكشفها بلا موجب، ومن أقبح ذلك اغتسال الرجل في العراء أمام الناس سواء في التُّرْع والبحار، فقد رأى النبي ﷺ رجلاً يَغْتَسِلُ بِالْبَرَارِ بِلا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمَنْبِرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سَتِيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَرْ»

وأقبح من هذا وأفحش اغتسال النساء في البحار وإقامتهن على الشواطئ عرايا بحضرة الرجال، وهذه والله فاحشة كما سماها الله تعالى، وقد كان المشركون يطوفون بالبيت عراة رجالاً ونساءً فقال الله تعالى مُنْكَرًا عليهم ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ [الأعراف] ثم أمرهم بالتستتر فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ [الأعراف]

ولما مكَّن الله رسوله من البيت بعد فتح مكة بعث منادياً ينادي في الناس في موسم الحج سنة تسع من الهجرة ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ نُوذِنَ بِمَنَى أَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا»^(١)

ومما ينافي الحياءُ تساهلُ النساءِ في الذهابِ إلى الطبيب مع وجودِ الطيبةِ الكفءِ الحاذقة، ولا سيما في الأمراض التي تُنتهكُ فيها العورات.

ومما ينافي الحياءُ التبرُّجُ والسُّفور: أن تُبديَ المرأةُ زينتها لغير محارمها في البيت إذا جاءها الضيفان، أو في الشارع إذا خرجت إليه: فتعطرت وتجملت وكشفت عن ساقبها، وأسدت شعرها وراءها، وتمايلت في مشيتها، فهذا كله مما ينافي الحياء .

ومما ينافي الحياءُ ما يكون في الأفراح من قعودِ العروس بزینتها أمام الناس يُحيط بها الشبابُ من كل جانب، ورقصُ النساءِ أمام العروس بحضرة الجميع، وقيامُ الرجل بجانب عروسه للتصوير، ومما ينافي الحياءُ تقبيلُ النساء بعضهن بعضاً في الطرقات.

فهذا كله مما ينافي الحياء، ويدلُّ على عدم الإيمان لأن «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رَفَعَ أَحَدُهُمَا رَفَعَ الْآخَرَ» كما قال ﷺ^(٢)

فاتقوا الله عباد الله واحفظوا عوراتكم:

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ. قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرِيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرِيَنَّهَا. قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»^(٣)

١- متفق عليه خ (١/٤٧٧/٣٦٩)، م (٢/٩٨٢/١٣٤٧)، د (٥/٤٢١/١٩٣٠)، ن (٥/٢٣٤).

٢- صحيح [ص: ٣١٩٥]، ك (١/٢٢).

٣- حسن [ص: د: ٣٣٩١]، د (١١/٥٧٥٦/٣٩٩٨)، ت (٤/١٩٧/٢٩٤٦)، ج (١/٦١٨/١٩٢٠).

ولقد بلغ الحياء من الله بأقوامٍ مبلغاً جعل أحدهم إذا دخل الخلاء يُغطي رأسه حياءً من الله .

عن أبي بكر قال وهو يخطب: «يا معشر المسلمين! استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده إنني لأظن حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعا بثوبي حياءً من ربي عز وجل» (١)

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥)﴾ [هود] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: «أَنَاسٌ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يَجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ» (٢)

فاستحيوا من الله عباد الله! واعلموا أنَّ الحياء من الإيمان كما قال ﷺ، وأنَّ الحياء من الحياة، فالحيُّ حيُّ القلب، والبذيء ميِّت القلب، وكلُّما كان القلبُ حيًّا كان الحياء أتم، فاستحيوا من الله واستحيوا من الناس: فإنَّ الحياء خيرٌ كله، كما قال ﷺ ، وإذا ضاع الحياء ضاع الخير، كما قال الشاعر:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحِ فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحي بخيرٍ ويبقى العودُ ما بقي اللحاء

ومن أسماء الله سبحانه السَّتِير، الذي يستر على عباده أثناء المعصية فلا يفضحهم، فإنَّ تابوا إليه غفر لهم، وهو سبحانه يحب السَّتِيرَ من عباده: الذي يستر نفسه فلا يُبدي عورته، وإذا أذنب فستره الله ستر على نفسه ولم يحدث

١- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٢٠). كذا في «نصرة النعيم» (١/١٨٠٩/٥).

٢- خ (٨/٣٤٩/٤٦٨١).

أحداً بذنبه، فإنَّ الله إذا ستر في الدنيا فهو أكرم من أن يفضح في الآخرة، ولقد كان ﷺ يدعو إلى الستر ويحثُّ عليه ويرغبُ فيه :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
 « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلَمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١)

وكان ﷺ يُحَذِّرُ من تَتَبُعِ العورات وكشفها وإذاعة الأسرار :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ » (٢)

عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانُهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ! لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ » (٣)

وقال بعض السلف: أدركتُ قوماً لم يكن لهم عيوبٌ فذكروا عيوبَ الناس فذكر الناس لهم عيوباً، وأدركتُ قوماً كانت لهم عيوبٌ فكفوا عن عيوب الناس فنُسيت عيوبُهم، وما أحسن قول القائل :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيِيَ سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى وَحِظْكَ مَوْفُورٌ وَعَرْضُكَ صَيِّنٌ
 لِسَانُكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ فَكُلُّكَ عَوْرَاتٍ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
 وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَسَاوِيًّا فَصْنُهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

١- متفق عليه : خ(٥/٩٧/٢٤٤٢)، م(٤/١٩٩٦/٢٥٨٠)، د(١٣/٢٣٦/٤٨٧٢)، ت(٢/٤٤٠/١٤٥١).

٢- صحيح: [ص.ج: ٢٠٦٣]، ج(٢/٨٥٠/٢٥٤٦).

٣- حسن صحيح: [ص.د: ٤٠٨٣]، د(١٣/٢٢٤/٤٨٥٩).

الصنف الثاني والعشرون

أهل الحلم والأناة

عَنْ أُمِّ أَبَانَ بِنْتِ الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ عَنْ جَدِّهَا زَارِعٍ وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِنَا فَنُقْبِلُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلُهُ . قَالَ وَانْتَظَرِ الْمُنْذِرُ الْأَشْجُ حَتَّى آتَى عَيْبَتَهُ فَلَبِسَ ثَوْبِيهِ ثُمَّ آتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ:

« إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ. قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا. قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ »^(١)

الحلم صفة من صفات الله عز وجل، والحليم اسم من أسمائه الحسنى: قال تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٥) وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٢) وقال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسَبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١: ٤٢)

[الإسراء]

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ « (١)

والحلمُ صفةٌ من صفات الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ [الصافات] وهو إسماعيل عليه السلام، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)﴾ [هود].

أما الحلم الذي هو صفةٌ لله عزَّ وجلَّ فقد قالوا في معناه: «هو تأخيرُه العقوبة عن المستحقِّ لها، فيؤخر العقوبة عن بعض المستحقِّين ثم قد يعذبهم وقد يتجاوز عنهم وقد يُعَجِّلُ العقوبةَ لبعضهم» (٢)، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨)﴾ [الكهف].

وأما الحلم الذي هو اسمٌ من أسمائه سبحانه فقد قال الغزالي فيه: هو الذي يشاهد بعض العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزُّه غضبٌ ولا يعتريه غيظ، ولا يحملُه على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلةً أو طيش، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)﴾ [النحل].

وأما الحلم في حقِّ الناس فقد قال فيه الراغب: «الحلم ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب، وقال الجاحظ: الحلم ترك الانتقام عند شدَّة الغضب مع القدرة على ذلك» (٣).

١- متفق عليه: خ(٦٣٤٦/١١/١٤٥)، م(٢٧٣٠/٢٠٩٢ و٤/٢٠٩٣)، ت(٣٤٩٦/٥٩/٥)، ج(٢/١٢٧٨/٣٨٨٣).

٢- موسوعة الأسماء الحسنى (١/١٨٢) كذا «في نضرة النعيم» (٥/١٧٣٥).

٣- نضرة النعيم (٥/١٧٣٦).

ويظهر هذا المعنى جلياً في صبر الأنبياء على أذى قومهم، وحلمهم على جهلهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَأْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَأْقُومِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١)﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وإِلَىٰ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَأْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَأْقُومِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧)﴾ [الأعراف]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، قَالُوا لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ؟ قَالَ اشْتَرَوْهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَتِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِي غَلِيظٌ حَاشِيَةٌ فَأَذْرَكَ أَعْرَابِيَّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: فَانْظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَرِّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» (٣)

١- متفق عليه: خ (٥/٢٣٩٠)، م (٣/١٢٢٥/١٦٠١)، ت (٣٨٩/١٣٣١ و ٢/٣٩٠)، ن (٧/٢٩١)

جه (٢/٨٠٩/٢٤٢٣) مقتصرًا على الجملة الأخيرة وحدها.

٢- متفق عليه: خ (٦/٥١٤/٣٤٧٧)، م (٣/١٤١٧/١٧٩٢).

٣- متفق عليه: خ (٦/٨٨٨/٥٠٣ و ١٠/٥٠٤)، م (١٠/٥٧ و ٧٣٠/٧٣١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ فَفَهَمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ» (١)

وهكذا أرى رسول الله ﷺ أصحابه من نفسه الحلم خلقاً عملياً تمثل به معهم، ثم دعاهم إليه بقوله ورغبهم فيه: فأخبرهم أَنَّ الله يحبُّ كلَّ حليم، فقال لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْإِنَاءَةُ»

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (٢).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» (٣)

وبين ﷺ أَنَّ الله مع من يحلم على الجاهلين :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيَسُبُّونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفِهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٤)

١- متفق عليه: خ (١١/٤٢ و ١٦٢٥/٢١٧٠٦)، ت (٤/١٦٢/٢٨٤٤).

٢- متفق عليه: خ (١٠/٥١٨/٦١١٤)، م (٤/٢٠١٤/٢٦٠٩).

٣- صحيح [ص: ٢٠٢١، ت: (٣/٢٥١/٢٠٩٠)، د (١٣/١٣٦ و ٤٧٥٦/١٣٠٦)، ج هـ

(٢/١٤٠٠/٤١٨٦).

٤- م (٤/١٩٨٢/٢٥٥٨).

ولقد آتت هذه التربيَةُ العمليَّةُ والقوليَّةُ ثمارَهَا في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ فتأسَّوْا به في الحلم والعفو عن المسيء: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِبُهُمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شَبَابًا. فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنْ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأْذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! فَوَ اللَّهُ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ ^(١)

وفي قول المنذر لرسول الله ﷺ: أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا" في هذا دليلٌ على أَنَّ الأخلاق كُلَّهَا ومنها الحلم، منه ما يكون سَجِيَّةً وطَبْعاً فطر الله صاحبه عليها، ومنه ما يكون تَطْبَعاً وتكلفاً، فمن لم يكن حليماً فليتحلم، فقد قال النبي ﷺ «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» ^(٢) فإن كنت سريع الغضب، لا تملك نفسك عند سورتها، فجاهد نفسك وقومها وهذبها وتكلف الحلم حتى تكون حليماً.

ومما يساعد على الحلم: معرفةُ فضله، ورجاءُ ثوابه، وخوفُ فواته، وتنزيهُ النفس عن السفاهة والحماسة، والترفعُ بها عن النزول إلى مرتبة الجاهلين، والخوفُ من الله رب العالمين.

قال عمرُ رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم

١- خ (٤٦٤٢/٤٠٤ و٣٠٥/٨).

٢- حسن: [س.ص: ٣٤٢]، وقال الشيخ: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٩/١٢٧).

يفعل ما شاء، ولولا يومُ القيامة لكان غيرُ ما ترون. وقال لقمانُ لابنه: يا بُنيَّ لا تُذهِبْ ماءَ وجهك بالمسألة، ولا تشفِ غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تتفَعَكْ معيشتك. وقال أيوب: حلمُ ساعةٍ يدفعُ شرّاً كثيراً^(١) وإنها واللهِ لكلمةُ حكمة، لو فُكِّرَ فيها الناس لعوفوا من المشاكل كُلِّها، ولكنه التَّهَوُّرُ والاندفاع والعجلة التي هي من الشيطان، وهل يريد الشيطان بالناس إلا الشر؟!، فلو فُكِّرَ الرجلُ وقد غضب على امرأته في العواقب السيئة والنتائج الوخيمة التي ستترتبُ على هذا الغضب لحلم عليها، ولو فُكِّرَتِ المرأةُ كذلك فيما يمكن أن يقع من الطلاق وما يترتبُ عليه لها من ضياع وشقاء ما أغضبته ولا غضبت عليه، ولو فُكِّرَ المتشاجران في سوء العاقبة التي تترتبُ على استمرار غضبهما وطول تشاجرهما، التي قد تقضي إلى إزهاق الأرواح وما يترتب عليها من ترمُلِ النساء، ويُتِمُّ الأطفال، وقتلِ القاتل أو حبسه لحلم أعقلهما على جاهلتهما،

ومن حكايات الصالحين في الإعراض عن الجاهلين:

«سُتِمَ رجلٌ ابنُ عباس، فلما قضى مقالته قال ابنُ عباسٍ يا عكرمة: انظر هل للرجل من حاجةٍ فنقضيهَا؟ فنكس الرجلُ رأسه واستحيى.

وأسمع رجلٌ معاويةَ كلاماً شديداً، ف قيل له لو عاقبته؟ قال إني أستحي أن يضيق حلمي على أحد رعيتي .

وجاء غلامٌ لأبي ذرٍ وقد كسر رجلَ شاة، فقال له: من كسر هذه؟ قال أنا، فعلته عمداً لأغيطك فتضربني فتأثم، قال لأغيظنَّ من حرَّضك على غيظي فأعتقه.

ودخل عمرُ بن عبد العزيز المسجدَ ليلةً في الظلمة، فمرَّ برجلٍ نائمٍ فعثر به، فرفع رأسه وقال أمجنون أنت؟ فقال عمر لا، فهمَّ به الحرس، فقال

عمر: إنما سألتني أمجنون؟ فقلت لا.

ولقي رجلٌ عليَّ بن الحسن فسبَّه، فثار إليه العبيد، فقال: أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم. فكان الرجل بعد ذلك يقول، أشهد أنك أنك من أولاد رسول الله ﷺ» (١)

فيا عباد الله تحلموا فإنَّ الحلم صفةٌ من صفات الله سبحانه، وهو أيضاً من صفات أوليائه، والله يحبُّ من اتصف به، ثمَّ إنَّ الحلم عنوانُ العقلِ وسعةِ الصدر، والحلمُ يُكسب الحليمَ محبةَ الناس وإعانتهم ووقوفهم في صفِّه، والحلمُ يعمل على فضِّ النزاع، والقضاء على الخصومات، وتنقية المجتمع من العداوة والبغضاء .

ومن الصفات التي يُحبُّها الله الأناة: ومعناها التؤدة: «يقال تأنَّى في الأمر أي ترفَّق، واستأنَّى به أي انتظر به، والأناة الاسم، والتأنَّى معناه عدمُ العجلة في طلب الشيء، والتمهُّل في تحصيله والترفُّق به» (٢)

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهو القادر على خلقهنَّ في لحظة ليعلمَ عباده التأنِّي وعدم الاستعجال، وأمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالصبر ونهاه عن الاستعجال فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُ لَهُمْ عَذَابًا﴾ (٨٤) [مريم]. وكان ﷺ في بداية الوحي يتعجل بالقراءة مع جبريل عليه السلام فنهاه عن العجلة، وأمره بالصبر والتأنِّي، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا

١- مختصر منهاج القاصدين (٨٣ و ١٨٤).

٢- نضرة النعيم (٨٦٤ و ٨٦٥/٣)

قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ (١٩) ﴿[القيامة].

وأمر الله عباده المؤمنين بالتأني والتثبت فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾ [الحجرات]

وكان ﷺ يرغب المؤمنين في التأني وينهاهم عن العجلة: فأخبرهم أَنَّ التَّأْنِيَّ مِنْ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ: «السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالنُّوْدَةُ، وَالْاِقْتِصَادُ، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ» (١)

وعن أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «التَّأْنِي مِنْ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» (٢)

وقال لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»

فالتَّوَدَّةُ التَّوَدَّةُ فَإِنَّهَا مِنْ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنَ الْعَجَلَةِ فَإِنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ.

قال ابن القيم: إنما كانت العجلة من الشيطان لأنها خِفَّةٌ وَطَيْشٌ وَحِدَّةٌ فِي الْعَبْدِ تَمْنَعُهُ مِنَ التَّثَبُّتِ وَالْوَقَارِ وَالْحِلْمِ، وَتُوجِبُ وَضْعَ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحَابِّهِ، وَتَجْلِبُ الشَّرَّورَ، وَتَمْنَعُ الْخَيْرَ، وَهِيَ مَتَوَلِّدَةٌ مِنْ خُلُقَيْنِ مَذْمُومَيْنِ: التَّفْرِيطَ وَالِاسْتِعْجَالَ قَبْلَ الْوَقْتِ.

١- حسن: [ص.ت: ٢٠١٠]، ت(٣٠٧٨/٢٤٧/٣).

٢- حسن: [ص.ج: ٣٠٠٨]، وقال الشيخ في «الصحيحة» رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣/١٠٥٤)، هق(١٠/١٠٤).

ولهذا كان من الحكيم قول القائل: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فَقَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (١)

فيا عباد الله تأنوا ولا تستعجلوا: لا تستعجل إجابة الله لدعائك فقد قال ﷺ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْاسْتَعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبْ لِي، فَيَسْتَخْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ» (٢)

ولا تستعجل الرزق :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق مكتوب في اللوح مع الأجل

فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكن خلق الإنسان من عجل

ولا يستعجل الطالب بالجواب في الامتحان، بل عليه أن يتأنى، وأن ينظر في السؤال ويتأمل فيه، ويتأكد من فهمه والمطلوب منه، وأن ما عزم على كتابته هو الجواب المطلوب، ولا يستعجل المفتي في الفتوى بل يجب عليه أن يبدئ ويعيد في الجواب، ويتأكد من مطابقة السؤال ثم يجيب، ولا يستعجل

١- خ (٦/٦١٩/٣٦١٢).

٢- م (٤/٢٠٩٦/-٩٢-٢٧٣٥).

القاضي في حكمه بل عليه أن يتأنى وينظر، ويدقق في الخصومة، ويسمع حُجج المتخاصمين ويطلب البينة والشهود، فإذا استبان له الحكم نطق به:

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ! فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ. قَالَ فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا أَوْ مَا شَكَّتُ فِي قَضَائِهِ بَعْدُ» (١)

وعلى الطالب أن يصبر على التعلم ولا يستعجل القعود على الكرسي للتعليم، فإنه إن قعد قبل أن يتأهل فضح نفسه.

وعلى المتكلم بالكلمة أن يتأنى بها ولا يعجل بنطقها، بل يفكر فيها وما يترتب عليها، فإن رأى فيها خيراً قالها، وإن رأى فيها شراً أمسك عنها ف «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»

وإذا أراد الشاب أن يتزوج فليتأنّ ولا يعجل، وليبحث عن ذات الدين، وإذا طرق الشاب بيت الفتاة فعلى أهلها أن يتأنوا ولا يعجلوا، وعليهم أن يسألوا عن هذا الشاب أولاً ويجمعوا كل ما يمكن جمعه عنه من معلوماتٍ تؤكد أنه كفء لابنتهم .

وهكذا يلزم كل قائل أن لا يقول قبل أن يتثبت، ويلزم كل عامل أن يتأنى بالعمل فإن الله يحب الحلم والأناة.

الصنف الثالث والعشرون

أهل الصدق والأمانة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَزَلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَضْيَافٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِوَضُوئِهِ فَتَوَضَّأَ، فَبَادَرُوا إِلَى وَضُوئِهِ فَشَرِبُوا مَا أَدْرَكُوا مِنْهُ وَمَا انْصَبَّ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ فَمَسَحُوا مِنْهُ وَجُوهَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ وَصُدُّورَهُمْ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا دَعَاكُمْ إِلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: حُبُّنَا لَكَ، لَعَلَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ يُحِبَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَحَافِظُوا عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: صَدَقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ، فَإِنْ أَذَى الْجَارَ يَمْحُوا الْحَسَنَاتِ كَمَا تَمْحُو الشَّمْسُ الْجَلِيدَ» (١)

كان أهل البحرين أسبق إسلاماً من غيرهم من سائر البلاد، حتى قال ابنُ عباس: «إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِعَتْ بَعْدَ جُمُعَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِجَوَائِي مِنَ الْبَحْرَيْنِ» (٢).

وكان أهل البحرين يحبون النبي ﷺ حباً جمّاً، حتى أنه لما جاء وفدُهم أقبلوا عليه يقبلون يديه ورجليه.

وفي حديث أنسٍ هذا أَنَّ النبي ﷺ لما دعا بوضوءٍ بادروا إلى ما أدركوا منه فشربوه، حباً له ﷺ، وكان هذا دَيْنُ أصحاب النبي ﷺ عامّةً، فقد جاء في الصحيح «أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ» (٣) وكان ذلك تبركاً منهم رضوانُ الله عليهم بالنبي ﷺ وآثاره ،

١- حسن: [س.ص: ٢٩٩٨]، وقال الشيخ: رواه الخلعي في الفوائد (١٨/٧٣/١).

٢- خ (٢/٣٧٩/٨٩٢)، د (٣/٣٩٨ و ٣٩٧/١٠٥٥).

٣- خ (٥/٣٣٢-٣٢٩/٢٧٣٢ و ٢٧٣١).

عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قُبَّةِ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمَ، وَرَأَيْتُ بِلَالًا أَخَذَ وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَبْتَدِرُونَ ذَلِكَ الْوَضُوءَ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا تَمَسَّحَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا أَخَذَ مِنْ بَلَلِ يَدِ صَاحِبِهِ» (١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سَلِيمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأَتَيْتُ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِكَ عَلَى فِرَاشِكَ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أُدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَغَصَّرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمِّ سَلِيمٍ؟ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا! قَالَ أَصَبْتَ» (٢).

وَعَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَسْجُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا الشَّمْلَةُ. قَالَ نَعَمْ. قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لَأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَنَتْهَا فَلَانَ فَقَالَ: اكْسُوبِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنَتْ! لِبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ؟! قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهِ لَأَلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهِ لَتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ» (٣).

وقد فعل النبي ﷺ ذلك مع إحدى بناته، لما تُوَفِّيَتْ ودخلت النسوة عليها تغسلها قام النبي ﷺ أمام الباب وقال: «إِذَا فَرَعْتُنَّ فَأَذِنْنِي، فَلَمَّا فَرَعْنَا آذَنَاهُ فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ فَقَالَ أَشْعِرْنَاهُ إِيَّاهُ، تَعْنِي إِزَارَهُ» (٤).

١- خ (١/٤٨٥/٣٧٦).

٢- م (٢٣٣١-٨٤-١٨١٥/٤).

٣- خ (١٢٧٧/١٤٣/٣)، ن (٢٠٤ و ٢٠٥/٨).

٤- متفق عليه: خ (١٢٥٣/٣/١٢٥)، م (٩٣٩/٦٤٦ و ٦٤٧/٢).

وإنما تنفع بركته ﷺ مَنْ أصابته شريطة أن يكون مؤمناً، أما غيرُ المؤمن فمهما أصاب من آثاره ﷺ فإنها لا تنفعه، ولا تُغني عنه من الله شيئاً، ولذلك قال ابنُ عمر: «لَمَّا تُوْفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَكُولَ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكْفَنَ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا خَيْرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]»^(١).

والشاهد أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يتبركون به وبآثاره وكان يقرهم على ذلك، لكن الآن وقد التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ففقدنا ذاته وفقدنا آثاره أيضاً، فلم نعد نستطيع الجزم بوجود شيء من آثاره على وجه اليقين، فلم يبقَ لنا إلا أن نتبرك بحبه وطاعته، والتمسك بسنته ﷺ كما أرشدنا في هذا الحديث . أما التبرك بغير النبي ﷺ من الصالحين وغيرهم فلا يجوز، لأنه لم يأت نص في الشرع يدل على جواز التبرك بالصالحين وآثارهم، ولذلك لم يتبرك الصحابة رضوان الله عليهم بأحد بعد النبي ﷺ مع اتفاقهم على أن خير الناس بعد النبي ﷺ العشرة المبشرون بالجنة، ومع ذلك لم يتبركوا بهم ولا بواحد منهم، لعلمهم أنه لا يجوز التبرك بغير النبي ﷺ .

وعليه فلا يجوز لمسلم يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أن يتبرك بذات الصالحين ولا بآثارهم، كما يفعله بعض الناس مع بعض الشيوخ من التمسح بأبدانهم، والحرص الشديد على التبرك بآثارهم، فهذا من التبرك الممنوع.

١- متفق عليه: خ(١٢٦٩/١٣٨/٣)م(٢٧٧٤/٢١٤١/٤)، ت(٥٠٩٦/٣٤٣/٤)، ن(٣٦/٣٧/٤).

كذلك لا يجوز التبرك بالحيطان، والخشب، والنحاس، والحديد، والقماش الموضوع على بعض المقامات، في بعض المساجد، التي يُعتقد أنها أُقيمت على قبور الصالحين، فإنَّ هذا التمسُّح كُلُّهُ من الشرك بالله عزَّ وجلَّ، بل إنه لا يجوز التبرك بجدران الحُجْرة النَّبَوِيَّةِ نَفْسِهَا، ولا بالنُّحاس الذي أُقيم حوالَيْهَا، ولا يجوز التبرك بالأحجار، ولا بالأشجار، فإنَّ بعض الناس يعتقدون البركة في حجرٍ أو شجر، وهذا شركٌ بالله أنكره النبي ﷺ :

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِّلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرَكِبَنَّ سَنَةً مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (١)

ثم سأل النبي ﷺ أضيفه من البحرين "ما دعاكم إلى ذلك؟" لماذا شربتم من فضل الوضوء؟ قالوا، حباً لك يا رسول الله، لعلَّ الله يحبُّنا، فرغَّبهم ﷺ عن ذلك بحلمٍ وموعظةٍ حسنة، فقال ﷺ: «إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ يُحِبَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَحَافِظُوا عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ» فمن حافظ على هذه الخصال الثلاثة أحبه الله ورسوله.

الصلة الأولى: صدق الحديث:

لقد أمر الله تعالى بالصدق فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) [التوبة] .

وجعل الصدق من أمارات التقوى فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) [الزمر] .

١- صحيح: [ص.ت: ٢١٨٠]، حم (٢٧/١٩٨ و ١/١٩٩) ت (٢٢٧١/٢٢٢٢ و ٣/٢٢٢٢) .

وأثنى الله على الصادقين ومدحهم فقال: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾ [مريم].

ونهى سبحانه عن الكذب وجعله من خصال الكافرين والمنافقين، فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)﴾ [الزمر]. وقال تعالى عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾ [البقرة] كذلك جعل النبي ﷺ الكذب من أمارات النفاق فقال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ» (١).

لذلك أمر النبي ﷺ بالصدق وحذّر من تحريّ الكذب فقال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْنُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكُذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» (٢).

والكذب وإن كان كله حراماً إلا أن بعضه أعظم إثماً من بعض، وأعظمُ الكذب إثماً الكذب على الله، والكذب على الله عزّ وجلّ يكون بتسمية الله بما لم يسمّ به نفسه، وبوصفه بما لم يصف به نفسه، كما يكون الكذب على الله عزّ وجلّ بتحليل الحرام وتحريم الحلال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)﴾ [النحل].

١- متفق عليه: خ(٣٣/٨٩)، م(٥٩/٧٨)، ت(٢٧٦٦/١٣٠)، ن(١١٧/٨).

٢- متفق عليه: خ(٦٠٩٤/٥٠٧)، م(٢٦٠٦/٢٦٠٧)، ت(٢٠١٢/٢٠١٣)، ن(٤/٢٠١٣).

ومن الكذب على الله أن يدَّعي الرَّجُلُ أنه أراه في منامه كذا وكذا وهو لم ير:

عن ابن عباس قال: قال ﷺ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلَّفَ أَنْ يَفْقَدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ»^(١).

وأعظم الكذب إثماً بعد الكذب على الله تعالى الكذب على رسول الله ﷺ عن المغيرة بن شعبة قال: قال ﷺ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مِّنْ كَذَبٍ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

ومن أعظم الكذب إثماً الكذب لأكل أموال الناس بالباطل، أن يكذب الرَّجُلُ ليُبْطِلَ حَقَّ أخيه عنده، هذا من أعظم الكذب إثماً، وإذا حلف على ذلك فهو أعظم وأعظم، عن أبي أمامة قال: قال ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُّسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ»^(٣).

إن الأمانة شأنها عظيم، وخطرهما جسيم، لذلك رفضت المخلوقات الكبيرة أن تحملها، وحملها الإنسان لِظُلْمِهِ وجهله، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) ﴿[الأحزاب].

وقد أمر الله تعالى بأداء الأمانة، ونهى عن خيانتها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) ﴿[الأنفال].

١- خ (٧٠٤٢/٤٢٧/١٢) ، ت (٣/٣٦٧/٢٣٨٥) ، د (٣/٣٦٧/٥٠٠٣) .

٢- متفق عليه : خ (٣/١٦٠/١٢٩١) ، م (١/١٠/٤) .

٣- م (١/١٢٢/١٣٧) ، ط (٥١٥/١٤٠٧) ، ن (٨/٢٤٦) .

وخيانة العبد لله تعالى تكون بإضاعة فرائضه، وانتهاك محارمه، وتعدّي حدوده، وخيانة الرسول ﷺ تكون بإضاعة شريعته، ومحاربة سنّته، فمن أطاع الله ورسوله فقد أدّى الأمانة لله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله فقد خان الله ورسوله .

فمن أكل الحرام فهو خائن، ومن شرب الخمر فهو خائن، ومن لبس من الحرام فهو خائن، ومن قطع رحمته فهو خائن، ومن عقى والديه فهو خائن، ومن ضيع الصلاة فهو خائن، ومن منع الزكاة فهو خائن، ومن أفطر في رمضان من غير عذر فهو خائن، ومن لم يحج مع القدرة فهو خائن .

وتتسع دائرة الأمانة لتشمل كل عمل وكل إلى الإنسان، فالإمام العام الرعيّة كلّها أمانة في عنقه ، فإن هو قام بما يجب عليه فقد أدّى الأمانة، وإن ضيع حق الرعيّة فقد خان الأمانة، ومن استعار عارية فهي أمانة، فإن ردها فقد أدّى الأمانة، ومن اقترض قرضاً فأدّاه فقد أدّى الأمانة، وإن جحده فقد خان الأمانة.

الصفة الثالثة: حسن الجوار:

إنّ الجار أقرب إلى جاره من أبيه وأخيه غالباً، إذا دعاه أجابه، وإذا استغاثه أغاثه، وإن طرأ له طارئ كان الجار أول من دخل عليه لإنقاذه. لذلك كان حسن الجوار مطلوباً بل مفروضاً، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦) [النساء].

و عن أبي شريح العدوي قال سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ» (١).

١- متفق عليه: خ(١٩٠/٤٤٥/٦٠١٩)، م(١/٦٩/٤٨)، واللفظ له، ولفظ البخاري «فليكرم جاره».

والإحسانُ إلى الجار يكونُ بالكلمة الطيبة، وبطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، ومشاركته الأفراح، ومشاطرته الأحزان، وعيادته إذا مرض.

وأذى الجار محرّم، لذلك قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ»^(١). وقال ﷺ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ»^(٢).

وأذية الجار تكون بالكلمة السيئة، وبالعبوس في وجهه، وإغلاق الباب دونه، ووضع الأذى في طريقه، ورفع صوت التلفزيون والمسجل رفعا يُشوّش على المصلّي والدارس، ويُزعج النائم والمريض، كل ذلك من أذية الجار، وأعظم الأذى انتهاكُ حرّامات الجار بالزنا والسرقة:

عن المقداد بن الأسود قال: قال ﷺ: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرّمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أهون عليه من أن يزني بحليلة جاره» ثم قال «ما تقولون في السرقة؟» قالوا حرام حرّمها الله ورسوله فهي حرام إلى يوم القيامة، فقال ﷺ: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات خير له من أن يسرق من بيت جاره»^(٣)

فليحذر كل مسلم أن يؤذي جاره فإن أذى الجار يُخبط الأعمال كما قال ﷺ: «فَإِنَّ أَذَى الْجَارِ يَمْحُو الْحَسَنَاتِ كَمَا تَمْحُو الشَّمْسُ الْجَلِيدَ».

ومعنى ذلك أن الرجل إذا حصل من الحسنات الكثير ثم أذى جاره فقد حبط عمله، وفنيت حسناته.

١- متفق عليه: خ(١٨/٦٠٤٥/١٠)، م(٤٧/٦٨-٧٥-١/١)، د(١٤/٦٢/٥١٣٢).

٢- خ(١٠/٤٤٣/٦٠١٦).

٣- صحيح: [ص. خد: ٧٦]، حم(١٦/٧١/١٨٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رجلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَئِنَّ تَذَكُّرُ
مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، وَلَكِنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ ﷺ
«هِيَ فِي النَّارِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ فَلَئِنَّ تَذَكُّرُ مِنْ قَلَّةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا
وَصَدَقَتِهَا وَلَكِنَّهَا لَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ ﷺ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»^(١)

فليتق الله الجيرانُ بعضهم في بعض، وليحرص كلُّ جارٍ على أن يكون
أكثرَ إحساناً لجاره من جاره له ، وأن يكون أكثرَ تفضلاً على جاره من تفضُّل
جاره عليه، فقد قال ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ
الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»^(٢)

١- صحيح: [ص. خد: ٨٨]، حب (٥٠٢/٢٠٥٤)، ك (٤/١٦٦)، حم (١٩/٢١٩/٣٤).

٢- صحيح: [ص. ت: ١٩٤٤]، ت (٣/٢٢٤/٢٠٠٩).

الصنف الرابع والعشرون

الْمُتَوَاضِعُونَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ »^(١)

إنَّ الله هو العزيزُ الجبارُ المتكبرُ، قال الغزالي: « المتكبرُ هو الذي يري الكلَّ حقيراً بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه ، فينظر إلى غيره نَظَرَ الملوك إلى العبيد، فإن كانت هذه الرؤية صادقةً كان التكبرُ حقاً، وكان صاحبها متكبراً حقاً، ولا يُتَصَوَّرُ ذلك على الإطلاق إلا لله تعالى »^(٢)، ولذلك نهى الله تعالى عباده عن التكبر وأمرهم بالتواضع فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾^(٣٧) [الإسراء] وقال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٨٨) ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢١٥) [الشعراء]، وأخبر سبحانه أنه يكره المتكبرين ويحب المتواضعين فقال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة]، وقال في معرض الثناء عليهم ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٦٣) [الفرقان] وقال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾^(٢٣) [النحل] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(١٨) [واقصد في مشيك] واغضضْ

١- م (١/٩٣/٩١)، ت (٢٠٦٧/٢٤٣ و ٣/٢٤٤٤).

٢- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص ٧٥) كذا في «نصرة النعيم» (١١/٥٣٥٢).

مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ » (١)

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » (٢)

وَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْتَغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» (٣)

أَمَّا التواضع: «فهو مصدرٌ تواضع: أي أظهر الضَّعْفَ، ولفظُهُ يدلُّ على أنه لا يلزم من المتواضع أن يكون وضيعاً، كما يقال: تعاقل، بمعنى أظهر العقل وإن لم يكن عاقلاً في الحقيقة، وعليه فالتواضع سمةٌ لمن أظهر الضَّعْفَ والذُّلَّ لله ورسوله والمؤمنين وإن كان في نفسه عزيزاً» (٤).

قال القشيري: التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم .

وقال السعدي: « التواضع قبولُ الحقِّ، والانتصارُ له، وعدمُ احتقار الناس » (٥).

ولقد كان ﷺ على جلاله قدره، وعظيم شأنه، وعلو درجته، وارتفاع رتبته، سيِّدَ المتواضعين، « وَإِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذْ بِيَدِهِ ﷺ

١- صحيح: [ص.د. ٣٤٤٦:د] (٤٠٧٢/١١/١٥٠)، (١١٧٤/٤١٣٩٧/٢).

٢- م (١٠٧/١٠٢ و ١٠٣/١)، ن (٦/٨٦).

٣- م (٢٨٦٥-٦٤/٢١٩٨ و ٢١٩٩/٤).

٤- نضرة النعيم (٤/١٢٥٥).

٥- الرياض النضرة (ص ١٠٦).

فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاعَتْ»^(١)

وَمِنْ تَوَاضَعِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»^(٢).

وَعَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةٍ أَهْلِهِ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»^(٣)

وَعَنْ عِثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُؤَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ»^(٤)

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ. نَغْرًا كَانَ يَلْعَبُ بِهِ»^(٥)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقَلِّلُ اللَّغْوَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْتِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ»^(٦)

١- خ (١٠/٤٨٩/٦٠٧٢).

٢- صحيح [س.ص: ٥٤٤]، ورواه البغوي في «شرح السنة» (٢٨٣٩/٢٨٦ و ٢٨٧/١١)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/٢٢) ورواه أبو يعلى وإسناده حسن.

٣- خ (٢/١٦٢/٦٧٦)، ت (٤/٦٦/٢٦٠٩).

٤- حسن: حم (٥٠٤) تحقيق أحمد شاكر كذا في نضرة النعيم (٤/١٢٦٣).

٥- متفق عليه: خ (١٠/٥٨٢/٦٢٠٣)، م (٣/١٦٩٢/٢١٥٠)، ت (١/٢٠٨/٣٣٢)، ج (٣٧٢٠/٢/١٢٢٦)، د (١٣/٣١١/٤٩٤٨).

٦- صحيح [ص.ن: ١٤١٣]، ن (٣/١٠٩).

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَحْنِنِي مِسْكِينًا، وَأَمْنِنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَانِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا. يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ أَحْبَبِي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١)

وهكذا استجاب رسول الله ﷺ لأمر ربه فترك الكبر، وتواضع للناس، ودعاهم إلى التواضع ورغبهم فيه، فكان يقول: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَدَمِيٍّ إِلَّا وَفِي رَأْسِهِ حَكْمَةٌ، وَالْحَكْمَةُ بِيَدِ مَلِكٍ، إِنْ تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلِكِ ارْفَعْ الْحَكْمَةَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَرْفَعَ قِيلَ لِلْمَلِكِ ضَعِ الْحَكْمَةَ» (٣)

فيا عباد الله تواضعوا ولا تتكبروا، «فإنَّ المتواضعَ قريبٌ من الله، قريب من الناس، محبوبٌ من الله، محبوب من الناس، والتواضعُ سبب السَّعادة في الدنيا والآخرة كما قال الطبري: في التواضع مصلحةُ الدِّينِ والدُّنيا، فإنَّ الناسَ لو استعملوه في الدنيا لزلت من بينهم الشُّعَاء، ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة» (٤).

وأما الكبر فقد عرفه النبي ﷺ بأنه بطر الحق أي رفضه ورده، والامتناع من قبوله والانقياد له، وغمط الناس أي احتقارهم والازدراء بهم.

١ - صحيح: [ص. ج: ٣٣٢٨]، ج: ٤١٢٦/١٣٨١ و٢/١٣٨٢، ت: (٤/٨/٢٤٥٧).

٢ - م (٢٥٨٨/٤/٢٠٠١)، ت: (٤/٢٥٤/٢٠٩٨).

٣ - حسن: [س. ص: ٥٣٨]، طب (١٢٩٣٩/٢٨١ و١٢/٢١٩)، بز: (٤/٢٢٣/٣٥٨٢).

٤ - فتح الباري (١١/٣٤١).

قال الغزالي: «الكبرُ آفةٌ عظيمة هائلة، ويهلك الخواصَّ من الخلق، وقلَّما ينفك عنه العبَّادُ والزُّهادُ والعلماء، فضلاً عن عوامِّ الخلق، وكيف لا تعظمُ آفتهُ وقد قال ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» وإنَّما صار حجاباً دون الجنة، لأنه يحولُ بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاقُ هي أبواب الجنة، والكبرُ يُغلق تلك الأبوابَ كلها، لأنه لا يقدر على أن يُحبَّ للمؤمنين ما يُحبُّه لنفسه وفيه شيءٌ من الكبر، فما من خلقٍ نَمِيمٍ إلا وصاحبُ الكبر مضطربٌ إليه ليحفظ كِبَرَه، وما من خلقٍ محمودٍ إلا وهو عاجزٌ عنه خوفاً من أن يفوته عزُّه، فمن هذا لا يدخل الجنة» (١).

وقوله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» على تأويلين:

لا يدخلها أبداً، وهو مَنْ مَنَعَهُ الكبرُ من الإيمان وحمله على الكفر.

والتأويل الثاني: لا يدخلها عاجلاً مع أوَّل الداخلين إن كان من المؤمنين .

ذلك أنَّ الكبر ثلاثة أنواع: الكبرُ على الله، والكبرُ على رسول الله، والكبرُ على عباد الله .

أمَّا الكبرُ على الله فمعناه: رفضُ عبادته وعدمُ طاعته، قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٢) [النحل] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) [الصافات] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠) [غافر]. وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (١٧٢) [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) ﴿[الأعراف]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)﴾ [السجدة].

وأما الكبر على رُسُلِ الله فمعناه: الترفعُ عليهم وعدمُ اتِّباعهم على ما جاءوا به من عند الله، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَسْتَكْبَرُوا فَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥)﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩)﴾ [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧)﴾ [المؤمنون] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)﴾ [المنافقون].

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ لَا أُسْتَطِيعُ. قَالَ لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ. قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَّا فِيهِ» (١)

فهؤلاء المتكبرون على الله ورسوله لا يدخلون الجنة حتى يلجِ الجملُ في سمِّ الخياط، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) ﴿[الأعراف] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)﴾ [الأنعام] . وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾ [الأحقاف] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١)﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ (٣٤)﴾ [الجاثية] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾ [الزمر].

وأما الكبرُ على عبادِ الله فمعناه: احتقارُهم وازدرأؤهم والاستهزاءُ بهم، وذلك مردهُ إلى إعجاب المرءِ بنفسه لحَسَبِ أو نسب، أو مالٍ أو جمال، أو علمٍ أو عبادة أو وظيفة، ونحو ذلك مما يتفاخر به الناس، ويبغي بعضهم على بعض بسببه، وهو من الكبائر إن لم يبادرُ صاحبه بالإقلاع منه والندم عليه خيف عليه أن يجرَّه الكبرُ على عبادِ الله إلى الكبرِ على الله، فقد قالوا: الكبائرُ بريذُ الكفر، كما أنَّ النظرةَ بريذُ الزنا، وحكاياتُ المتكبرين دالةٌ على ذلك، فإنَّ الله لما أمر الملائكةَ بالسجود لآدم أعجبَ إبليسُ بأصله فرأى نفسه خيراً من آدم فاستكبر عليه فاستكبر على أمرِ الله، وقارونُ استكبر على قومه فاستكبر على رسلِ الله، ولم يقبل نُصْحَ النَّاصِحِينَ ولا موعظةَ الواعظِينَ.

لذلك يجب على من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كبرٍ على عباد الله أن يتخلَّص منها، وأن يخفضَ جناحه للمؤمنين .

وطريقه في الخلاص العلم والعمل، ”أما العلم فهو أن يذكرَ نفسه بما جاء في ذمِّ الكبرِ وأهله وسوءِ عاقبته مما ذكرناه من الآيات والأحاديث. وأن ينظرَ في بدايته ونهايته، فمن كان أولُه نُطفةً قدرة، وآخرُه جيفةً نتتة، وهو بينَ ذلك يمشي وبينَ جنبَيْه الأقدار كيف يتكبر!

وفي ذلك يقول الشاعر:

يا مُظهِرَ الكبرِ إعجاباً بصورته انظرْ خلاكَ فإنَّ النَّتنَ تثرِيبُ
لو فُكِّرَ النَّاسُ فيما في بطونهم ما استشعرَ الكبرَ شَبَانٌ ولا شَيْبُ
ل في ابنِ آدمَ مثلُ الرأسِ مكرمة وهو بخمسٍ من الأقدارِ مضروبُ
أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحُها سهك والعينُ مرفضةٌ والثغرُ ملعوبُ
يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غداً أقصرُ فإنك مأكولٌ ومشروبُ” (١)

وأما العمل فهو أن يتكلَّفَ التواضع ويُجاهدَ نفسه عليه حتى يصيرَ سجيَّةً له، وأن يُخالطَ المتواضعين ليستفيدَ من أخلاقهم، وأن يهجرَ المتكبرين ولا يُعاشِرهم، وأن يُحبَّ المساكينَ ويدنوَ منهم ويُدنيهم منه ويلزمَ مجالسهم، والله الهادي لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو، ولا يصرف عن العبد سيئها إلا هو.

الصنف الخامس والعشرون

الْمُتَجَمِّلُونَ وَالْمُتَزَيُّونَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ »^(١)

لما قال ﷺ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ». قال رجلٌ من الحاضرين مستفهماً عن حال هل هي من الكبر أم لا ؟ قال: « إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعْلُهُ حَسَنَةً؟ » يعني فهل هذا من الكبر ؟ فقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ » يعني أن ما ذكرت ليس من الكبر .

وقوله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ » معناه: «جميلٌ في ذاته، جميلٌ في صفاته، جميلٌ في أفعاله: كُلُّ ما يصدر عنه سبحانه جميلٌ لا قبيح، تستحسنه العقول السليمة وتستسيغه النفوس الطيبة»^(٢)، فكلُّ خَلْقِهِ حَسَنٌ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧] وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [التغابن] وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ [الكهف: ٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٦) [الصفات] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيْنَّاها لِلنَّازِظِينَ﴾^(١٦) [الحجر] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(٦١) [الفرقان].

١- م (١/٩٣/٩١)، ت (٢٠٦٧/٢٤٣ و ٣/٢٤٤٤).

٢- شرح رياض الصالحين. ابن عثيمين (٦/٢٣٩).

وأمر عباده أن ينظروا في جميل خلقه وبديع صنعه ليستدلوا بذلك النظر على عظمته فيعبده، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا (١٦)﴾ [نوح] .

وكما جمل سبحانه خلقه وزينه فهو سبحانه يحبُّ الجمال من خلقه، أي يحب من عباده أن يتجملوا ويتزيّنوا، ولا يهملوا أنفسهم فيكونوا شعثاً غبراً، فأنزل لهم ما يتجملون به من الملابس والمراكب والأثاث، وامتّن عليهم بذلك وأمرهم بالانتفاع به، وأنكر على من تركه، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سِوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (٢٦)﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾ [الأعراف]

وقال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ [النحل] ، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠)﴾ [النحل] .

عن ابن عباس قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُ يَوْمَ الْعِيدِ بُرْدَةً حُمْرَاءَ» (١) ، وكان ﷺ يتجمل ويتزيّن لاسيما في المناسبات وعند قدوم الوفود:

عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ

الْمُنْكَبِينَ، عَظِيمِ الْجُمَةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ» (١)

وَعَنْ سِمَاكِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا خَرَجَتْ الْحُرُورِيَُّةُ أَتَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَنْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلِّ الْيَمَنِ قَالَ أَبُو زَمِيلٍ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا جَمِيلًا جَهِيرًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَتَيْتُهُمْ فَقَالُوا مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ قَالَ: «مَا تَعِيبُونَ عَلَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلَلِ» (٢)

وكان ﷺ يأمر أصحابه بالتجمل والتزيين، وينكر على من أهمل نفسه منهم حتى بدا في هيئة رثة ومنظر قبيح وريح كريهة :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالْإِقْصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» (٣)

وعنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبُسُوءُ مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضُ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفَنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ» (٤)

ويتأكد التجمل والتزيين والتتطفُّف والتطَّيُّبُ عند حضور الجماعة والجمعة والعيدين لقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ولتأكيد النبي ﷺ على ذلك بقوله: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلَمْ يَتَخَطَّ أَعْنَاقَ النَّاسِ، ثُمَّ صَلَّى مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ

١- متفق عليه: (خ: ٣٥٥١/٦)، م: (٢٣٣٧/١٨١٨)، د: (٤٠٥٤/١٢٣/١١)، ن: (٨/٢٠٣)،

ت: (١٧٧٨/١٣٣/٣)، ج: (٣٥٩٩/١١٩٠/٢).

٢- حسن الإسناد: [ص: د: ٣٤٠٦]، د: (١١/٨٠/٤٠١٩).

٣- حسن: [ص: د: ٣٩٩٦]، د: (١٣/١٣٤/٤٧٥٥).

٤- صحيح: [ص: ت: ٩٩٤]، ت: (٢/٢٣٢/٩٩٩)، د: (١٠/٣٦٢/٣٨٦٠)، ج: (١/٤٧٣/١٤٧٢).

جُمُعَتِهِ الَّتِي قَبْلَهَا» (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ الْجُمُعَةَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْعَوَالِي فَيَأْتُونَ فِي الْعَبَاءِ وَيُصِيبُهُمُ الْغُبَارُ فَتَخْرُجُ مِنْهُمْ الرِّيحُ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هَذَا» (٢)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عَلَى الْمُنْبَرِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبٍ مِهْنَتِهِ» (٣)

عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونَ فَقَالَ: «أَلَيْكَ مَالٌ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمَالِ قَالَ: قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ قَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرْ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ» (٤)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ؟! وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ» (٥)

ولا فرق في الأمر بالتجمل والتزئين بين الرجال والنساء ، فالمرأة مأمورة بالتجمل والتزئين أيضاً، بل إنَّ الله تعالى مراعاةً لفطرتها وإجابةً لأنوثتها رخص لها في أنواع من الزينة حرَّمها على الرجال كما في الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِلنِّسَاءِ وَأُحْرِمَ عَلَى ذُكُورِهَا» (٦)

١- حسن: [ص.د: ٣٣١]، د. (٢/٨٧/٣٣٩).

٢- متفق عليه: خ. (٢/٣٨٥/٩٠٢)، م. (٢/٥٨١/٨٤٧).

٣- صحيح: [ص.د: ٩٥٤]، د. (٣/٤١٤/١٠٦٥)، ج. (١/٣٤٨/١٠٩٥).

٤- صحيح: [ص.ن: ٥٢٣٩]، ن. (٨/١٨١)، د. (٨/١٢/٤٠٤٥) و (١١/١١٣).

٥- صحيح: [ص.د: ٣٤٢٧]، د. (١١/٤٠٤٤) و (١١/١١٢)، ن. (٨/١٨٤) و (٨/١٨٣).

٦- صحيح: [ص.ن: ٥١٦٣]، ن. (٨/١٦١).

وأقر النبي ﷺ عائشة على التزيين له :

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى فِي يَدَيَّ فَتَخَات مِنْ وَرَقٍ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟ فَقُلْتُ: صَنَعْتُهُنَّ أَتَزِينُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَتُودِينَ زَكَاتَهُنَّ؟ قُلْتُ لَا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ: هُوَ حَسْبُكَ مِنَ النَّارِ»^(١)

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ أَهْدَى النَّجَاشِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَلَقَةً فِيهَا خَاتَمٌ ذَهَبٌ فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعُودٌ وَإِنَّهُ لَمُعْرِضٌ عَنْهُ أَوْ بِيْعُضٌ أَصَابِعِهِ ثُمَّ دَعَا بِابْنَةِ ابْنَتِهِ أُمَامَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَاصِ فَقَالَ: «تَحْلِي بِهِذَا يَا بِنْتِي»^(٢)

إلا أن الرجال والنساء مأمورون جميعاً بالتجمل بالمباح وترك المحرم :
ومن المحرم من الزينة على الرجال: الذهب :لحديث أبي هريرة عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ نَهَى عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ»^(٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: يَعْزُدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ فَقِيلَ: لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٤)

ومن المحرم من الزينة الحرير :

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « حَرَّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبُ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأَحِلَّ لِإِنَائِهِمْ »^(٥)

١ - صحيح: [ص:د. ١٣٨٤] د، (١٥٥٠/٢٧٤ و ٤٢٨/٤)، قط، (٢/١٠٥)، ك، (١/٣٩٠).

٢ - حسن الإسناد: [ص:د. ٣٥٦٤] د، (٤٢١٦/٤٢٩٤ و ١١/٢٩٥)، ج، (٢/١٢٠٢/٣٦٤٤).

٣ - متفق عليه: خ (١٠/٣١٥/٥٨٦٤)، م، (٣/١٦٥٤/٢٠٨٩)، ن، (٨/١٧٠).

٤ - م (٣/١٦٥٥/٢٠٩٠).

٥ - صحيح: [ص:ت. ١٧٢٠] ت، (٣/١٣٢/١٧٧٤).

وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى حُلَّةً سِيرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَلَوْفَدَ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ^(١)

ومنه الإسبال في الإزار والرداء والقمص والعباءة: ومعنى الإسبال أن يستر ثوب الرجل كعبيه :

عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فِي الْإِزَارِ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ لَا جَنَاحَ عَلَيْهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ وَمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فِي النَّارِ يَقُولُ ثَلَاثًا لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزْرَهُ بَطْرًا»^(٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مَخِيلَةً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقُلْتُ لِمُحَارِبٍ أَذْكَرَ إِزْرَهُ قَالَ مَا خَصَّ إِزَارًا وَلَا قَمِيصًا»^(٣)

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَارٍ قَالَ أَبُو ذَرٍّ خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْمُسْنِلُ وَالْمَتَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتْهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(٤)

ومنه ثوب الشهرة :

١- متفق عليه: خ(٨٨٦/٣٧٣)، م(٢٠٦٨/١٦٣٨/٣)، ن(٢٠١/٨/٣٥٩١)، ج(١١٨٧/٢).

٢- صحيح: [ص: ٣٤٤٩، د: ٤٠٧٥/١٥٢ و ١١/١٥٣]، ج(٣٥٧٣/١١٨٣/٢).

٣- متفق عليه: خ(٥٧٩١/٢٥٨/١٠)، م(٢٠٨٥-٤٤-/١٦٥٢/٣)، د(٤٠٦٧/١٤١/١١)، ن

(٢٠٨/٨)، ج(٣٥٦٩/١١٨١/٢).

٤- م(١٠٦/١٠٢/١)، د(٤٠٦٩/٤٤ و ١١/١٤٥)، ت(١٢٢٩/٣٤٢/٢)، ن(٢٤٥/٧)،

ج(٢٢٠٨/٢٤٤ و ٢/٧٤٥).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شَهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مِثْلَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا» (١)

ومنه ثوب الكفار:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٢)

ومنه لباس النساء:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ» (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «لَعَنَ الْمَرْأَةَ تَتَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ وَالرَّجُلُ يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ» (٤).

ومنه حلق اللحية: فإن إعفاءها واجب وحلقها حرام .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْهَكُوا الشَّوَارِبَ وَأَغْفُوا اللَّحَى» (٥)

فحلق الرجل لحيته يتزين بذلك حرام، لأن جمال الرجل وزينته في لحيته، ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تحلف فتقول في قسمها: والذي زين الرجال باللحى، فلا يجوز للرجل بحال من الأحوال أن يحلق لحيته لأنه بحلقها يعصي الرحمن ويطيع الشيطان فهو الذي حكى الله عنه أنه قال: ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

١- حسن: [ص.د: ٣٣٩٩]، د(٤٠١٠ و ٤٠١١ و ٧٢/١١ و ٧٣/١١)، ج(٣٦٠٧ و ١٩٢/١١ و ١٩٣/١١).

٢- حسن صحيح: [ص.د: ٣٤٠١]، د(٤٠١٢ و ٧٤/١١).

٣- خ(١٠/٣٣٢ و ٥٨٨٥)، ت(٤/٢٩٣٥ و ٤/١٩٤)، د(٤/١٥٦ و ١١/١٥٦)، ج(١٩٠٤ و ١/٦١٤).

٤- صحيح: [ص.د: ٣٤٥٤]، د(٤٠٨٠ و ١٥٦/١١ و ١٥٧/١١)، ج(١٩٠٣ و ١١٣/١١ و ١/٦١٤).

٥- متفق عليه: خ(١٠/٣٥١ و ٥٨٩٣)، م(١/٢٢٢ و ٢/٢٥٩)، ت(٤/١٨٧ و ٢٩١٣)، ن(١/١٦).

فيا عباد الله تجملوا وتزينوا فإن الله جميل يحب الجمال ولا تتجملوا بحرام
ففي الحلال مندوحة عن الحرام.

أما المرأة فلها أن تتجمل وتزين تلبية لفطرتها وإجابة لداعي أنوثتها ولكن
لا يجوز أبداً أن تتجمل وتزين بالحرام ومما يحرم على المرأة من الزينة أن
تلبس لباس الرجال، أو لباس الكافرات، أو لباس شهرة لما سبق من الأحاديث
في النهي عن ذلك.

ولا يجوز لها أن تشم ولا تصل ولا تفلج أسنانها، ولا تزيل شعر وجهها
ابتغاء الحسن والجمال :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَتَى عُمَرُ بِامْرَأَةٍ تَشُمُّ فَقَامَ فَقَالَ أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ مَنْ
سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْوَشْمِ فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنَا سَمِعْتُ قَالَ: مَا سَمِعْتُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لَا تَشْمَنَّ وَلَا
تَسْتَوْشِمَنَّ » (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ
وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغْيِرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ
بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَاتَتْهُ فَقَالَتْ مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي
عَنكَ أَنْكَ لَعَنْتِ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ
الْمُغْيِرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ
فِي كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيْ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ
لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ
قَالَ اذْهَبِي فَاظْهَرِي قَالَ فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا فَجَاءَتْ إِلَيْهِ

فَقَالَتْ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا فَقَالَ أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نَجَامِعْهَا «» (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتْ ابْنَتَهَا فَتَمَعَّطَ شَعْرُ رَأْسِهَا فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَتْ: «إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعْرِهَا فَقَالَ: « لَا إِنَّهُ قَدْ لَعِنَ الْمُوصِلَاتُ » (٢)

ويجوز لها أن تحمر وتصفّر بالحناء ونحوها بما لا يضرها، أما مواد المكياج الموجودة في الأسواق اليوم فقد ثبت لدى المتخصصين من الأطباء والصيادلة ضررها فلا يجوز استعمالها لأنه «لا ضرر ولا ضرار» (٣) وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]،

ولا يجوز للمرأة أن تتزين بإطالة أظافرها فإن ذلك مخالفة لسنن الفطرة التي فيها قص الأظافر، ولا يجوز لها طلاء أظافرها بالمناكير لأنه مادة لاصقة لها جرم تمنع وصول الماء في الوضوء والغسل إلى الظفر فإذا تطهرت لم تطهر، ولا صلاة بغير طهور لقول رسول الله ﷺ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ» (٤).

فإذا تزينت المرأة بالمباح وجب عليها ستر هذه الزينة عمّن لا يجوز أن يراها من غير الزوج والمحارم لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ

١- متفق عليه: خ (٤٨٨٦/٨٠٦٣)، م (٢١٢٥/١٦٧٨/٣)، د (٤١٥١/٢٢٥-٢٢٧/١١)، ن (٤٦ و ٨١/٤٨)، ت (٤/١٩٣/٢٩٣٢).

٢- متفق عليه: خ (٥٢٠٥/٩٠٣٠)، م (٢١٢٣/١٦٧٧/٣).

٣- صحيح: [ص. ج: ١٨٩٥]، ج: (٢٣٤٠/٢٨٤/٢).

٤- م (٢٢٤/٢٠٤/١)، ت (١/٣/١)، ج: (٢٧٢/١٠٠/١).

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴿النور﴾

فإذا تجملت المرأة وازينت وخرجت إلى الشارع وجب أن تكون زينتها مستورة بجلابها وخمارها بحيث لا يراها أحد، فإن لم تدن عليها من جلابها وخرجت متزينة متبرجة فهي ملعونة أي مطرودة من رحمة الله كما قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَاسِمَةٌ النَّبْتُ الْمَائِلَةُ لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدَنَّ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» (١)

وإذا تعطرت ونزلت إلى الشارع فهي زانية:

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةٌ» (٢)

وَعَنْ مَوْلَى أَبِي رُحْمٍ وَاسْمُهُ عُبَيْدٌ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَقِيَ امْرَأَةً مُتَطَيِّبَةً تُرِيدُ الْمَسْجِدَ فَقَالَ يَا أُمَّةَ الْجَبَّارِ أَيْنَ تُرِيدِينَ قَالَتْ الْمَسْجِدَ قَالَ وَلَهُ تَطَيَّبْتَ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ» (٣)

١- م (٢١٢٨/٣١٦٨٠).

٢- حسن: [ص: ٢٧٨٦]، ت (٢٩٣٧/٤١٩٤)، د (٤١٥٥/٢٣٠/١١)، ن (١٥٣/٨).

٣- صحيح: [ص: ٣٥١٧]، د (٢١٥٦/٢٣٠ و ٢٣١/١١)، ج (٤٠٠٢/١٣٢٦/٢).

الْبَكَاءُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تَهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ» (١)

إنَّ الله هو الملكُ العزيز الجبار المتكبر، وكلُّها صفاتُ عزَّةٍ وكبرياء، وسطوةٍ وجبروت، توجب الخشيةَ لله والخوفَ منه لذاته سبحانه وإن لم يعصه عباده، ولذلك خافه أهلُ طاعته لعلمهم به أكثرَ من خوفِ أهلِ معصيته، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) [النحل] فالملائكة الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) [التحريم] يخافون من الله لما عرفوا من صفاته سبحانه صفات العزَّة والكبرياء التي توجب الخوفَ والخشية والرجاء كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٥٧) [الإسراء] لو قد كان نفرٌ من العرب يعبدون الملائكة ويدعونهم من دون الله فأعلمهم الله أن الملائكة أنفسهم ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

والأنبياءُ أعبدُ الخلقِ لله تعالى في الأرض، وأبعدُهم عن المعصية، ومع ذلك فهم أشدُّ الناس خشيَةً لله، وأكثرُهم خوفًا منه، كما قال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ

إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمُ لَهُ» (١)

وقد يُسيطرُ الخوفُ على القلب ويغلب عليه فيظهر أثره في العينِ دموعاً تتقاطر، كما وصف الله تعالى الذين أنعم عليهم من النبيين بقوله: ﴿إِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (٥٨) [مريم].

ووصف الذين أنعم عليهم من الصالحين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴿[الإسراء] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

فإذا كان هذا حال الصالحين، العابدين السائحين، الراكعين الساجدين، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله، فكيف يكون حال المفرطين المقصرين المضيعين لفرائض الله، إنَّ العقل يقتضي أن يكون العاصون أكثرَ لله خوفاً، وأشدَّ منه خشيةً، لأنه أهلٌ لذلك ولو لم يعصوه، فكيف وقد عصوه وعرضوا أنفسهم لعقابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٤) ﴿[النساء] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (٢٣) ﴿[الجن] وقال تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبَيًّا﴾ (١٦) ﴿[المزمل] وقال تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ (١٠) ﴿[الحاقة] وقد أمر النبي ﷺ العصاة بالبكاء، فقال لعقبة بن عامر: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَكَيْسَعَكَ بَيْنَتَكَ وَأَبْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» (٢)

١- خ (٩/١٠٤/٥٠٦٣).

٢- صحيح: [ص.ت: ٢٤٠٦، ت (٢٥١٧/٣٠ و ٤/٣١)، حم (١٩/١٨٤/٣٥)].

فيا أيُّها العاصي، ويا أيُّها المفرط، ويا أيُّها المضيعُ لفرائض الله! أما أن لك أن ترجعَ إلى الله، وتتوبَ إليه، وتندمَ على ما فرطتَ في حقِّه وضيَّعتَ من فرائضه؟! أما أن لك أن تندمَ على ما فرطتَ في جنب الله؟! أما علمتَ أنَّ الندمَ توبة؟! أما أن لك أن تحاسبَ نفسك على تقصيرِها وتفريطِها؟! أما علمتَ أنَّ مَنْ حاسبَ نفسه في الدنيا خَفَّ عليه الحسابُ في الآخرة، أما أن لك أن تخلوَ بنفسك وتستحضرَ ذُنُوبَكَ وتذكَّرَ خطاياك ثم تقول: ﴿يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، كيف لي بمقابلة الله بهذه الذنوب والخطايا! كيف لي بمقابلة الله بهذه الأوزار! كيف لي بمقابلة الله بهذه السيئات! ثم تبكي من خشية الله فتتزل عليك السكينة، وتغشاك الرحمة، ويطرق سمعك قولُ الله على لسان رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكَ بِي شَيْئًا لِأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» (١).

ثم يطرق سمعك قولُ النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ مَلَقَ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (٢).

ثم يطرق سمعك قولُ الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) [الزمر] وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ (٤٦)﴾ [الرحمن]،

١- صحيح: [ص.ت: ٣٥٤٠، ت(٥/٢٠٨/٣٦٠.٨)].

٢- متفق عليه: خ(٢/١٤٣/٦٦٠)، م(٢/٧١٥/١٠٣١)، ت(٤/٢٥٠٠/٢٤/٢٥٠٠)، ن(٨/٢٢٣ و ٢٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠)﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)﴾ [النازعات] فيطمئن قلبك، وتتقلص دموعك، وكأن قد حطت عنك خطاياك حطة، فتدخل في عموم قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾ [الزمر]

هذه القطرة من الدموع تسيل من عينيك من خشية الله قطرةً يحبها الله، فجدُ بها على نفسك يا عبد الله حتى يحبك الله، فإن الله لا يعذبُ حبيبه في النار: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ » (١)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٢).

وأما القطرة الثانية التي يحبها الله: فقطرة دمٍ تُهراقُ في سبيل الله: إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذِرْوَةٌ سَنَامِ الْإِسْلَامِ، وقد فرضه الله على المؤمنين أتباع الحق لإحقاق حَقِّهم، والتمكين له في الأرض، وإزالة العقبات التي يضعها أتباع الباطل في طريق انتشار الحق.

وقد رغبَ الله تعالى عباده المؤمنين في الجهاد وحثهم عليه فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)﴾ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

١- صحيح: [ص: ١٦٣٣]، ت: (٣/٩٣/١٦٨٣)، ن: (٦/١٢).

٢- صحيح: [ص: ١٦٣٩]، ت: (٣/٩٦/١٦٩٠).

الْأَيَّاهُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ [الصف]

ونفى التسوية بين المجاهدين والقاعدين فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦)﴾ [النساء]

وعاب على القاعدين من غير عذر فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [التوبة].

وعاقبة المجاهدون في سبيل الله لا تعدوا أمرين: إمَّا النصر وإمَّا الشهادة، وغالبًا ما يكون مع النصر جراحات وإصابات تسيل منها الدماء، هذه الدماء الطاهرة الزكية التي تسيل من الشهداء والجرحى دماءً يُحِبُّهَا اللَّهُ وَأَهْلُهَا، وَيُعْطِي عَلَيْهَا مَا لَا يُعْطِي عَلَى غَيْرِهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْثُهُ لَوْثُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ» (١)

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ جَرَحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ نَكَبَ نَكْبَةً، فَاتَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ، لَوْثُهَا لَوْثٌ

١- متفق عليه: خ (٦/٢٠/٢٨٠٣)، م (٦/١٨٧٦/١٤٩٥ أو ٣/١٤٩٦)، ت (٣/١٠٤/١٧٠٨)،
ن (٦/٢٨)، ج (٢/٩٣٤/٢٧٩٥).

الزَّعْفَرَانِ، وَرِيحُهَا رِيحُ الْمِسْكِ»^(١)

فَإِنْ سَالَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ الْمَجَاهِدُ فَأُولَئِكَ الشَّهَدَاءُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَلَا تَحْصِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ [آل عمران].

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَلَا تَحْصِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطْلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا أَيْ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا! فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ! نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرَكُوا»^(٢)

وَعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَيُشَفِّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»^(٣)

١- صحيح: [ص.د: ٢٢١٦] د(٧/٢١٥/٢٥٢٤)، ت(٣/١٠٤/١٧٠٧)، ن(٦/٢٦ و ٢٥).

٢- م(١٨٨٧/١٥٠٢ و ٣/١٥٠٣)، ت(٤/٢٩٨ و ٢٩٩/٤)، ج(٢/٩٣٧ و ٩٣٦/٢٨٠١).

٣- صحيح: [ص.ت: ١٦٦٣] ت(٣/١٠٦/١٧١٢)، ج(٢/٩٣٦ و ٩٣٥/٢٧٩٩).

هاتان القطرتان اللتان هما أحب الأشياء إلى الله .

وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ:

والمراد بالأثر موضع القدم من الأرض، فليست خطوة يمشيها الرجل أحب إلى الله من خطوة يمشيها في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وخطوة يمشيها لأداء فريضة من فرائض الله، فالله تعالى يكتب آثار الإنسان أي خطاه التي مشاها ويجزيه عليها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَعَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) ﴾ [يس]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَتْ بَنُو سَلَمَةَ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ فَأَرَادُوا النُّقْلَةَ إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ آثَارَكُمْ تُكْتُبُ فَلَا تَنْتَقِلُوا» (١)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَلَّتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتُبُ آثَارَكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتُبُ آثَارَكُمْ» (٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: مَاتَ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ مِمَّنْ وُلِدَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا لَيْتَهُ مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلَدِهِ! قَالُوا: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلَدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلَدِهِ إِلَى مُنْقَطِعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ» (٣)

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَيْتُهُ أَقْصَى بَيْتٍ فِي

١- صحيح: [ص.ت: ٣٢٢٦]، ت(٣٢٧٩/٤١ و٤٢/٥).

٢- م(١/٤٦٢/٦٦٥).

٣- حسن: [ص.ن: ١٨٣١]، ن(٤/٧)، ج(٤/١٦١٤/٥١٥).

الْمَدِينَةِ، فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَتَوَجَّعْنَا لَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ! قَالَ أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ يَبْنِيَ مُطْنَبٌ بَيْنَتِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ فِدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أُنْثَرِهِ الْأَجْرَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ» (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً» (٢)

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَضَعُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انتَظَرَ الصَّلَاةَ» (٣)

وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا» (٤)

١- م (٦٦٣/٤٦٠ و ١/٤٦١) د (٥٥٣/٢٦٦٢).

٢- م (٦٦٦/٤٦٢).

٣- متفق عليه: خ (٦٤٧/١٣١)، م (٦٤٩/٤٥٩) مختصراً على الجملة الأولى فقط، د (٥٥٥/٢٦٥).

٤- صحيح: [ص: ٣٣٣]، د (٣٤١/١٠ و ٢/١١)، ت (٤٩٤/٢/٣)، جـ (١٠٨٧/٣٤٦/١)، ن (٩٥ و ٣/٩٦).

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: لَحَقَنِي عَبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ وَأَنَا مَاشٍ إِلَى الْجُمُعَةِ فَقَالَ: أَبَشِّرْ فَإِنَّ خُطَاكَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! سَمِعْتُ أَبَا عُبْسٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ»^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَغُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ»^(٢)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِمَا جِئْتُ أَسْأَلُكَ. قَالَ: جِئْتُ تَسْأَلُ عَنِ الْحَاجِّ مَالَهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ؟ «فَإِنَّ لَهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ أَنْ رَاحِلَتَهُ لَا تَخْطُوا خُطْوَةً إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ، أَوْ حُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(٣)

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقٍ فَاتَّاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةً؟ قَالَ لَا. قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ

١- خ (٢/٣٩٠/٩٠٧)، ت (١٦٨٢/٩٢ و ٣/٩٣)، ن (٦/١٤).

٢- صحيح: [ص. ت: ١٦٣٣]، ت (١٦٨٣/٣/٩٣)، ن (٦/١٢).

٣- حسن: [ص. ج: ١٣٧٣]، حب (٩٦٣/٢٣٩ و ٢٤٠)، بيز (١٠٨٢/٢/٨).

٤- صحيح: [ص. د: ٣٠٩٦]، د (٣٦٢٤/٧٢-١٠/٧٤)، ت (٢٨٢٣/٤/١٥٣)، ج (٢٢٣/٨١/١).

مِنَ السَّمَاءِ طِبْتَ وَطَابَ مَمَّشَاكَ وَتَبَوَّاتِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا^(١)

وهكذا تبين لنا أنَّ خطوات الإنسان التي يمشيها في الطاعة مكتوبة له ليُجزى بها يوم القيامة، وكذلك خطواته في المعصية تُكتب عليه حتى يُجزى بها يوم القيامة، فأكثرُ رحمك الله من المشي في سبيل الله، وإياك والمشي في المعصية، واعلم أنه إذا كانت خطواتك مكتوبة فكيف بأعمالك؟! ولذلك قال قتادة رحمه الله: "لو كان الله عزَّ وجلَّ مُغْفِلاً شيئاً من شأنك يا ابنَ آدم أغفل ما تُعفي الرياحُ من هذه الآثار، ولكنه أحصى على ابنِ آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو معصيته، فمن استطاع منكم أن يُكتب أثره في طاعة الله تعالى فليُفعل"^(٢).

١- حسن: [ص.ت: ٢٠٠٨]، ت(٣/٢٤٦/٢٠٧٦)، ج(١٤٤٣/١٤٦٤/١).

٢ تفسير ابن كثير: (٣/٥٦٥).

الصنف السابع والعشرون

النَّاطِقُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ السَّاكِنُونَ عَمَّا سِوَاهُ

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بَأْيُهُنَّ بَدَأْتَ»^(١).

« إِنَّ اللسانَ من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغيرٌ جرّمهُ، عظيمُ جرّمهُ إذ لا يستبين الكفرُ والإيمانُ إلا بشهادة اللسان، وهما غايةُ الطاعة والعصيان، وقد تساهل الخلقُ في الأضرار الناتجة عن آفات اللسان وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، فمن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخيَّ العنان، سلك به الشيطانُ في كل ميدان، وسابقه إلى شفا جُرفٍ هارٍ، إلى أن يضطرّه إلى البوار، ولا يكبُّ الناسَ في النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم، ولا ينجو من شرِّ اللسان إلا من قيّده بلجام الشرع، فلا يُطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفّه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، ذلك أن خطر اللسان عظيم»^(٢) وقد أخبرنا بذلك رسولنا الكريم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي

١- م (٣/١٦٨٥/٢١٣٧).

٢- إحياء علوم الدين (٣/١٠٨) بتصرف.

٣- خ (١١/٣٠٨/٦٤٧٧).

إِسْرَائِيلَ مُتَوَاقِينَ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ! فَقَالَ خَلَنِي وَرَبِّي! أُبْعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا! فَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبِضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ، أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» (٢)

ولقد نفى الله تعالى الخيرَ عن أكثر كلام الناس فقال ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) [النساء].

«ويدل على ذلك أن كلام الناس أربعة أقسام: ضررٌ محض، ونفعٌ محض، وقسمٌ فيه ضررٌ ومنفعة، وقسمٌ ليس فيه ضررٌ ولا منفعة، فأما الذي هو ضررٌ محض فلا بُدَّ من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضررٌ ومنفعةٌ لا تفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه فهو فضول، والاشتغال به تضيعٌ للزَّمان، وهو عين الخسران، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع» (٣).

لذلك أمر الإسلام بصيانة اللسان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ

١- صحيح: (ص: ٤٠٩٧)، د: (٤٨٨٠/٢٤٣ و ١٣/٢٤٤).

٢- متفق عليه: خ: (١٠/٥١٤/٦١٠٤)، م: (١/٧٩/٦٠)، ت: (٤/١٣٢/٢٧٧٤)، د: (١٢/٤٤٣/٤٦٦٢).

٣- إحياء علوم الدين (٣/١٠٨).

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» (٢)

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَدَّثَنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: «قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا» (٣)

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَتَحَنُّنٌ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ. قَالَ ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ تَكَلَّمْتَ أَمْكُ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ

١- متفق عليه :خ(١٠/٤٤٥/٦٠١٨)، م(١/٦٨/٤٧)، د(١٤/٦٢/٥١٣٢)، جـه(٢/١٣١٣/٣٩٧١)، ت(٤/٧٠/٢٦١٧).

٢- متفق عليه :خ(١١/٥٣٠/٦٦٤٦)، م(٣/١٢٦٧/١٦٤٦)، د(٩/٧٧/٣٢٢٣)، ت(٣/٤٥/١٥٧٣)، ن(٧/٥)، جـه(١/٦٧٧/٢٠٩٤).

٣- صحيح :ص(ت: ٢٤١٠)، ت(٤/٣٢/٢٥٢٢)، جـه(٢/١٣١٤/٣٩٧٢).

فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَازِلِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» (١)

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» (٢)

ولما كانت صيانة اللسان من الصُّعُوبَةِ بِمَكَانٍ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» (٣)

وَسُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ الْفَمُ وَالْفَرْجُ» (٤)

فَمَنْ أَرَادَ النِّجَاةَ فَلْيَكُنْ قَلِيلَ الْكَلَامِ كَثِيرَ الْعَمَلِ، وَلْيَكُنْ كَلَامُهُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ بِمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَأَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»:

أَمَا سُبْحَانَ اللَّهِ فَهِيَ كَلِمَةٌ رَضِيَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَأَوْصَى بِهَا، وَمَعْنَاهَا تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

وَتَسْبِيحُ اللَّهِ وَظِيفَةُ الْكَائِنَاتِ كُلِّهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) [الإسراء] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٌ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) [النور] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٧٩) [الأنبياء] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مَنَا

١- صحيح: (ص.ت: ٢٦١٦)، ت(٢٧٤٩/٢٤ و١٢٥٤/٤)، ج(٣٩٧٣/٣١٤ و١٣١٥/٢).

٢- صحيح: [ص.ت: ٢٤٠٦]، ت(٢٥١٧/٣٠ و٤/٣١)، حم(١٩/١٨٤/٣٥).

٣- خ(٤٧٤/٦٤ و١٣/٣٠٨)، ت(٢٥٢٠/٤).

٤- حسن الإسناد: [ص.ت: ٢٠٠٤]، ت(٢٠٧٢/٢٤٥/٣).

فَضْلًا يَا جِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) ﴿سبأ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ
يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧] وقال تعالى :
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥] وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)
يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا
فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨)﴾ [فصلت]
وقال تعالى على لسان الملائكة: ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ
الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)﴾ [الصافات]

وقد أمر الله رسوله والمؤمنين بتسبيحه فقال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى (١)﴾ [الأعلى] وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾ [الواقعة] وقال
تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا وَمِنْ آَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)﴾ [طه]
وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾ [ق] وقال تعالى :
﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨)﴾ [المزمل] .وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾ [الأحزاب]

وقد كان النبي ﷺ يرغب في التسبيح ويحث عليه:

عَنْ مُصَنَّبِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :
«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ
يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ
يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» (١)

وأما الحمد لله: فهي كلمة أحبها الله وأحب أن يقال، بها افتتح كتابه فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) [الفتحة]. وبها يبدأ اليوم الآخر وبها ينتهي، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥) [الزمر].

والله سبحانه هو الغني الحميد وإن لم يحمده عباده، لكنه يحب منهم أن يحمده، والحمد لغة: «التناء باللسان على الجميل الاختياري على وجه التعظيم والتبجيل وعرفاً: فعلٌ يُنبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه مُنعماً، والألف واللام للاستغراق فجميع المحامد كلها لله، ومن أسمائه الحسنى الحميد» (١).

وأما لا إله إلا الله: فهي كلمة التوحيد، وكلمة التقوى، والكلمة الطيبة، ومعناها لا معبود بحق إلا الله، ومن أجلها خلق الله الخلق، وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢) [النحل]. فمن قال لا إله إلا الله مُخلصاً من قلبه دخل الجنة، ومن تعددت آلهته دخل النار قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) [١]

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ

لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»^(١) قَالَ تَعَالَى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء]

وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ
عُفَيْرٌ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ! هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟
قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَقُلْتُ يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا»^(٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا
أَبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا
أَبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي
شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ
سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ
وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ
كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ لَا يَا رَبَّ! فَيَقُولُ: أَفْلَكَ عَذْرٌ؟ فَيَقُولُ لَا يَا رَبَّ! فَيَقُولُ
بَلَى! إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ يَا
رَبَّ! مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ. قَالَ: فَتَوَضَّعُ

١- م (٩٣/٩٤-١٥٢-١).

٢- متفق عليه: خ (٢٨٥٦/٦٠٨) م (٣٠/٥٨١) ت (٢٧٨١/٣٥ و ١٣٦/٤) ج (٤٢٩٦/١٤٣٥ و ١٤٣٦/٢).

٣- صحيح: [ص. ت. ٣٥٤٠] ت (٣٦٠٨/٢٠٨) .

السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبُطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَتَقَلَّتِ الْبُطَاقَةُ فَلَا يَنْقُلُ
مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ « (١)

وقد صحَّ هذا أيضاً عن نبيِّ الله نوح عليه السلام:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ
نُوحاً ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ
وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ
لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ
السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ» (٢)

ولقد كان النبي ﷺ يحثُّ على الإكثار من قول لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ويُرغِّب في ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي
يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ
مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ
بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ» (٣)

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ

١- صحيح: [ص.ت: ٢٦٣٩]، ت(٢٧٧٦/٣٣ و١٣٤/٤)، ج(٤٣٠/٤٣٧/٢).

٢- صحيح: [ص.خد: ٤٢٦]، حم(١٩/٢٢٥/٥٥).

٣- متفق عليه: خ(١١/٢٠١/٦٤٠٣)، م(٤/٢٠٧١/٢٦٩١)، ت(٥/١٧٥/٣٥٣٥).

مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ^(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَالَ فِي السُّوقِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا مَمُوتَ، بِيَدِهِ الْخُدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَعَاهُ عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٢)

وكان النبي ﷺ يَهْلُلُ دُبُرَ الصَّلَاةِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّهْلِيلِ:

عَنْ وَرَادٍ مَوْلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: كَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٣)

وَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهْلُلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٤)

ولقد رغب النبي ﷺ عبادَ الله المؤمنينَ في الإكثار من ذكرِ الله تعالى بهذه

الكلمات الأربع وندب إلى ذلك في مواضع، منها دُبُرُ الصَّلَاةِ وعند النوم :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

١- متفق عليه: خ (١١/٢٠١/٦٤٠٤)، م (٤/٢٠٧١/٢٦٩٣)، ت (٥/٢١٥/٣٦٢٤).

٢- حسن: [ص. ت. ٣٤٢٨]، ت (٥/١٥٥/٣٤٨٨)، ج (٢/٧٥٢/٢٢٣٥).

٣- متفق عليه: خ (٢/٣٢٥/٨٤٤)، م (٤/١٥٤/٥٩٣)، د (٤/٣٧١/١٤٩١).

٤- م (٤/١٥٥/٥٩٤)، د (١/٤١٦/١٤٩٢)، ن (٣/٧٠).

«خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسَلِّمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، يَسْبِغُ اللَّهُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا. قَالَ فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ قَالَ فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِائَةً بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ تَسْبِحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِائَةً، فَتِلْكَ مِائَةً بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ. فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ سَيِّئَةٍ؟! قَالُوا: فَكَيْفَ لَا يُحْصِيهَا: قَالَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ فَيَقُولُ اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، حَتَّى يَنْفَتِلَ فَلَعَلَّهُ لَا يَفْعَلُ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ فَلَا يَزَالُ يَنْوُمُهُ حَتَّى يَنَامَ» (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (٢)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ! أَقْرَأُ أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةٌ التُّرْبَةُ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيَجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ! قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟!»

١- صحيح [ص: ٣٤١٠، ت(٥/١٤٣/٣٤٧١)، د(٥٠٤٤/٥٠٢/٤٠٣ و١٣/٤٠٣)، ن(٣/٧٤)، ج ه (١/٢٩٩/٩٢٦).

٢- م(٥/٢٣٦ و٢٣٥/٣٦٦٧)، ت(٤/٢٠٧٢/٢٦٩٥).

٣- حسن [ص: ٣٤٦٢، ت(٥/١٧٣/٣٥٢٩)].

تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» (١)

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ أُمِرُوا أَنْ يُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيَحْمَدُوا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي مَنْامِهِ فَقِيلَ لَهُ: أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَنْ تُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدُوا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاجْعَلُوهَا خَمْسًا وَعَشْرِينَ وَاجْعَلُوهَا فِيهَا التَّهْلِيلَ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ اجْعَلُوهَا كَذَلِكَ» (٢)

وَعَنْ عَلِيٍّ أَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبَتْ لِنَاقُومَ فَقَالَ: « عَلَى مَكَانِكُمْ فَقَعْدَ بَيْنِنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ أَلَا أَعْلَمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمْ تَكْبِيرًا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحًا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدًا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ» (٣)

«وَأَمَّا اللَّهُ أَكْبَرُ فَمَعْنَاهَا: اللَّهُ أَجَلُ وَأَعْظَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (١١١) [الإسراء]. أي عظمه وأجله بأوصافه العظيمة وبالثناء عليه بأسمائه الحسنى وبتمحيده بأفعاله المقدسة وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين له، وقد جعلها الله مفتاح الصلاة وأمر أن ينادى بها للصلاة» (٤)

١- متفق عليه: خ (٨٤٣/٢/٣٢٥)، م (٥٩٥/٤١٦ و ٤١٧/١).

٢- صحيح: [ص: ١٣٤٩، ن (٣/٧٦)].

٣- متفق عليه: خ (٣٧٠/٧/١)، م (٢٧٢٧/٢٠٩١/٤)، ت (٤٢٦٩/٣/١٤٢/٥).

٤- تفسير السعدي (٤/٣٢٣).

الصنف الثامن والعشرون

المؤمنون

عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَتَمِ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: صَلَاةُ الرَّحِمِ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١)

«خلق الله الخلق بعلمه، وقدَّرَ لهم أقداراً، وضربَ لهم آجالاً، ولم يخفَ عليه شيءٌ قبل أن يخلقهم، وعَلِمَ ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»^(٢)، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣) [التغابن]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلُ لَيَعْمَلُ بِحَسَنِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»^(٤)

١- حسن: (ص.ج: ١٦٤). وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٨/١٥٤): رواه أبو يعلى ورجاله

رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.

٢- العقيدة الطحاوية، تعليق الألباني (ص ٢١).

٣- متفق عليه: خ (١١/٤٧٧/٦٥٩٤)، م (٤/٢٠٣٦/٢٦٤٣)، د (٤/٦٨٣/٤٧٤ و ١٢/٤٧٥)، ت

(٢٢٢٠ / ٣/٣٠٢)، ج (١/٢٩/٧٦).

وقد تعرّف الله سبحانه إلى خلقه جميعاً قبل أن يخلقهم، وأخذ عليهم العهد والميثاق ليؤمننّ به ولا يشركون به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنِعْمَانٍ يَعْنِي عَرَفَةَ، فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا فَتَنَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قُبُلًا وَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]» (١)

ولمّا كان النسيان من طبيعة الإنسان فقد أرسل الله رُسُلَهُ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، يدعون النَّاسَ إلى الإيمان بالله والوفاء بالميثاق الذي أخذه منهم في عالم الذرّ، واتفقت كلمتهم جميعاً واتّحدت دعوتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

ودينُ الله واحدٌ وهو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والإسلامُ عند الإطلاق هو الإيمان، والإيمانُ عند الإطلاق هو الإسلام، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾

١- صحيح: (س.ص: ١٦٢٣) وقال الشيخ: أخرجه أحمد (٢٧٢/١) وابن جرير في التفسير (١٥٣٣٨) وابن أبي عاصم في "السنة" (١/١٧) والحاكم (٥٤٤/٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٢٦)

وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿المائدة:٥﴾ وقال تعالى عن قوم لوط لما أخذهم العذاب: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) [الذاريات] ، وقال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) [الحجرات] ،

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ وَفَدَ عَبْدَ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَمَرَكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ» (١) ففسر النبي ﷺ الإيمانَ بالإسلام ، ومعنى ذلك أَنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ عند الإطلاق ، وعند الاقتِران يختصُ الإسلامُ بالظاهر والإيمانُ بالباطن كما في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ صَدَقْتَ . قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ صَدَقْتَ» (٢)

١ - متفق عليه : خ(١/١٢٩/٥٣)، م(١٧-٢٤-٤٧/١)، د(٣٦٧٤/١٥٦-١٥٩-١٠/١)، ت(٢٧٤١/٢٧١/٤)، ن(٨/١٢٠).

٢ - م(٨/٣٨-٣٦/١)، ت(٢٧٣٨/١١٩-١٢١/٤)، د(٤٦٧٠/٤٥٩-٤٦٤/١٢)، ج(٦٣/٢٤ و٢٥/١).

وقد أطلق الله تعالى على الإيمان والإسلام اسمَ البرِّ فقال:

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)

والخلاصة أن لفظ الإيمان إذا أُطلق في القرآن والسنة يُراد به ما يُراد بلفظ البرِّ و بلفظ التقوى و بلفظ الدين، فإنَّ النبي ﷺ بيَّن أن «الإيمانُ بضغٍّ وستونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (١)، وكذلك لفظ البرِّ يدخل فيه جميع ذلك إذا أُطلق وكذلك لفظ التقوى، وكذلك لفظ الدين، وكذلك لفظ الإسلام. (٢)

والإيمان بالله أصلُ كلِّ خير، وسببُ كلِّ سعادة، فهو سببُ الهدى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩]

وهو سبب العصمة من الشيطان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إنه ليس له سلطان على الذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتوكلونه والذين هم به مشركون (١٠٠).

[النحل]

والإيمان بالله سبب الانتفاع بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) [الإسراء].

وهو سبب الاستفادة باستغفار الملائكة والنبيين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ

١- متفق عليه: خ (١/٥١/٩)، م (٣٥-٥٨/١/٦٣)، د (٤٦٥١/٤٣٢ و ٤٣٣/١٢)، ن (٨/١١٠)، ج (١/٢٢/٥٧).

٢- مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/١٧٠).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) ﴿ غافر ﴾ .

وقال نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ (٢٨) ﴿ نوح ﴾

وقال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٤١) ﴿ إبراهيم ﴾

والإيمان بالله سبب النجاة من الغم، قال تعالى:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [الأنبياء] ،

والله تعالى يدفع الكافرين عن المؤمنين بسبب الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٨) ﴿ الحج ﴾

والإيمان بالله هو سبب النصر على الأعداء ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧) ﴿ الروم ﴾

وهو سبب معية الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩) ﴿ الأنفال ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٣٥) ﴿ محمد ﴾

وهو سبب الرفعة والعلو، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) ﴿ آل عمران ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١) ﴿ المجادلة ﴾

وهو سببُ نور القلب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨) [الحديد]

وهو سببُ قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) [البلد]

وهو سببُ النجاة من الخُسران، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر]

والشاهدُ أَنَّهُ ما من خيرٍ في الدنيا ولا في الآخرة إلا والإيمانُ سببه، ولذلك كان المؤمنون خيرَ الناس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) [البينة] وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠) [آل عمران].

وحظَّ العبدُ من هذا الخيرِ على قدرِ حظِّه من الإيمان، فإنَّ الإيمانَ يزيْدُ وينقص، ويقوى ويضعف، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) [التوبة] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]

وفي قول النبي ﷺ «الإيمان بالله» في جواب السائل: أي الأعمال أحب إلى الله؟ دليل على أن الإيمان عمل، ولكنه من أعمال القلوب لا الجوارح الظاهرة، وفيه إشارة إلى أن تكليف القلب كتكليف الجوارح، وأن أعمال القلب هي الأصل، فالقلب مكلف بالإيمان والإخلاص، والرجاء والخوف، والمحبة والرغبة والرغبة، والتوكل والإنابة والاستعانة، ونحوها، وكلها أعمال قلبية يُثاب العبد على فعلها، ويُعاقب على تركها، وكذلك القلب مكلف بترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (١٢٠) ﴿[الأنعام]

ومن الفواحش الباطنة: الكفر والنفاق، والرياء والعجب، والكبر والحسد، وحُبُّ الظهور والحرص على المال والشرف، ونحو ذلك من الموبقات التي يُثاب العبد على تركها ويُعاقب على وقوع القلب فيها.

ومن هنا يتبين لنا خطورة القلب وأهميته بالنسبة لسائر البدن، ويظهر لنا جلياً معنى قول النبي ﷺ «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (١)

فاتقوا الله عباد الله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ (١٢٠) ﴿[الأنعام]

وجمّلوا باطنكم بالإيمان وظاهركم بالإسلام، فإن أحب الأعمال إلى الله الإيمان بالله، ولذلك توسّل به المؤمنون دون سائر الأعمال، فقالوا كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَتًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) ﴿[آل عمران]

، ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ

عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) [آل عمران] ﴿ رَبَّنَا ءَامِنًا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) ﴾ [المؤمنون].

اللهم اشرح صدورنا للإسلام ، وحبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ،
وكره إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان ، واجعلنا من الراشدين . آمين .

الصنف التاسع والعشرون

الوَاصِلُونَ أَرْحَامَهُمْ

عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَتَنَمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: صَلَاةُ الرَّحِمِ»^(١).

الأرحام: هم الوالدان ، والأخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات وأبناؤهم وبناتهم :

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبْرُ؟ قَالَ أُمُّكَ. قَالَ قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ أُمُّكَ. قَالَ قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ أُمُّكَ. قَالَ قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ»^(٢).

وهكذا أمر النبي ﷺ ببرِّ الوالدين أولاً، ثم الأقرب فالأقرب، فأولى الناس بالبرِّ والصلة ، والمحبة والمودة ، والرحمة والشفقة، والكرم والإحسان بعد الوالدين أختك وأخوك، وأبناؤهم، وسائر الأقارب وإن بعدوا:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ نِمْهً وَرَحِمًا أَوْ قَالَ نِمْهً وَصِهْرًا»^(٣) والمراد بالرحم هاجر أُم إسماعيل، والمراد بالصهر مارية أُم إبراهيم بن النبي ﷺ :

١- سبق قريباً.

٢- حسن: (ص.ت: ١٨٩٧)، ت: (٣/٢٠٦/١٩٥٩)، د: (١٤/٤٧/٥١١٧).

٣- م: (٤/١٩٧٠/٢٥٤٣).

ولقد قرن الله تعالى الأمر بالإحسان إلى الأقارب بالأمر بالإحسان إلى الوالدين قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ١] وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ثم قال: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقد كثر في القرآن الكريم الوصية بذي القربى، قال تعالى: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨) [الروم] وقال تعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦) [الإسراء] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل]

ورغب سبحانه في صلة الأرحام ووعد عليها الجنة فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ [الرعد]

وحذر من القطيعة وتوعد القاطعين بالنار، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥) [الرعد] وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (٢٣)﴾ [محمد]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَانِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ! قَالَ نَعَمْ! أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ بَلَى. قَالَ فَذَاكَ لَكَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اقْرَءُوا إِنَّ شَيْئَكُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾» (١)

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» (٢)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ» (٣).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلُُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ» (٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ» (٥)

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٦)

وَصَلَاةُ الرَّحِمِ فَضْلُهَا عَظِيمٌ، فَهِيَ تُعَمِّرُ الدِّيارَ، وَتُكَثِّرُ الْأَمْوَالَ :

١- متفق عليه :خ(٥٩٨٧/٤١٧)م(٢٥٥٤/٩٨٠و١٩٨١/٤).

٢- متفق عليه :خ(٥٩٨٤/٤١٥)م(٢٥٥٦/٩٨١)د(١٦٨٠/١١٤/٥)،
ت(١٩٧٤/٢١١/٣).

٣- حسن : (ص.ص: ٨٦٩) وقال الشيخ: رواه ابن عساكر (١٦/٧٤/٢).

٤- حسن : (ص.ج: ١٠٧)بز(١٨٧٧/٣٧٣/٢).

٥- صحيح : (ص.ت: ١٩٧٩)ت(٢٠٤٥/٢٣٧/٣).

٦- خ(١٠/٥٣٢/٦١٣٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ « إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا لَصَلَةِ الرَّحِمِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فَجْرَةً، فَتَنُمُوا أَمْوَالَهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ، إِذَا تَوَاصَلُوا » (١)

وهي سبب سعة الرزق وطول العمر: عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٢)

وهي سبب محبة الله، لقوله ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ صَلََةُ الرَّحِمِ»

وهي سبب محبة الأقارب، لقوله ﷺ: «صَلَةُ الرَّحِمِ مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَنَسَاءٌ فِي الْأَجْلِ» (٣)

وهي سبب لوصل الله لعبده بالبر والإحسان :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ» (٤)

وهي من موجبات الجنة:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يَقْرُبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ! قَالَ فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وَفَّقَ أَوْ لَقَدْ هَدَىٰ إِقَالَ كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ فَأَعَادَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ

١- صحيح: [ص.ج: ٥٥٨١]، حب (٤٩٩/٢٠٣٨)

٢- متفق عليه خ: (٤/٣٠١/٢٠٦٧)، م: (٤/١٩٨٢/٢٥٥٧)، د: (١١/١٦٧٧ و ٥/١١٢).

٣- صحيح: [ص.ت: ١٩٧٩]، ت: (٣/٢٣٧/٢٠٤٥)، ح: (١٩/٥١/٥٠)، ك: (٤/١٦١).

٤- صحيح: (ص.د: ١٤٨٦)، د: (٥/١١٢/١٦٧٨)، ت: (٥/١٩٧٢ و ٢١٠/٣/٢١١).

لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّافَةَ» (١)

وهي عنوان كمال الإيمان لقوله ﷺ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَصِلْ أَرْحَمَهُ» (٢)

وهي سبب معية الله وحفظه ونصره وتوفيقه، ولذلك لما رجع رسول الله ﷺ من الغار بعد أن جاءه جبريل لأوّل مرة «رجع يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فرملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (٣)

وصلة الرحم تتحقق ببذل المقدور عليه، قال النووي «صلة الرحم هي على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك. وقال القاضي عياض: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب» (٤).

وقال بعضهم: «المراد بصلة الرحم موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيذ المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد بإيصال كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند

١- متفق عليه: خ (١٣٩٦/٣٦١/٣) م، (١٣/٤٢ و ١/٤٣) ن، (١/٢٣٤).

٢- سبق قريباً.

٣- متفق عليه: خ (١/٢٢/٣) م، (١٣٩/١٦٠ - ١/١٤٢).

٤- موارد الظمان (٤٤٢ و ٤٤٣/٢).

حاجتهم، ومراعاة جبر قلوبهم مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعوتهم والتواضع معهم في غناه وفقدهم، وقوته وضعفهم، ومداومة مودتهم، ونصحهم في كل شئونهم، والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإثباتهم في الإحسان والصدقة والهبة على سواهم^(١).

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠) [البقرة]

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُدْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ ذُبُرٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَلَيْكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ لَا. فَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟ فَاشْتَرَاهُ نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلَأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا، يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ»^(٢)

وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ»^(٣)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ

١- شرح مسلم (١٦/١١٣).

٢- م (٩٩٧/٦٩٢ و ٦٩٣/٢) د (٣٩٣٨/٤٩٥-٤٩٨/١٠) ن (٣٠٤/٧).

٣- صحيح (ص: ٢٥٨١) ن (٥/٩٢) ت (٦٥٣/٨٤/٢) ج (١٨٤٤/١٨٩١/٥).

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءٌ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بَرَّهَا وَذَخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتُ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ. فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفَعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَسَمَّيَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ» (١)

وَعَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنْ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ قَالَتْ: أَشَعَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: أَوْ فَعَلْتُ؟ قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ «أَمَا إِنَّكَ لَوْ أُعْطِيتَهَا أَخْوَالَكَ كَانَ أَعْظَمَ لَأَجْرِكَ» (٢)

وصلَةُ الرِّحْمِ مَطْلُوبَةٌ وَإِنْ قَطَعْتَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنَ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: «لَنْ كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفِهُهُمْ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٤)

وهل يستطيع الإنسان أن يعرف أنه واصل أم قاطع؟ نعم يستطيع أن يعرف ذلك وذلك بسماع شهادة الرحم نفسها، فإن قالت فلان واصل فهو واصل، وإن قالت فلان قاطع فهو قاطع :

١- متفق عليه خ: (١٤٦١/٣/٢٢٥) م: (٩٩٨/٦٩٣/٢).

٢- متفق عليه خ: (٢٥٩٢/٢١٧ و ٢١٨/٥) م: (٩٩٩/٦٩٤/٢) د: (١٦٧٤/١٠٩ و ١١٠/٥).

٣- خ: (٥٩٩١/٤٢٣/١٠) د: (١٦٨١/١١٤/٥) ت: (١٩٧٣/٢١١/٣).

٤- م: (١٩٨٢/٢٥٥٨/٤).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ
وَأِذَا أَسَأْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ أَنْ قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ
أَحْسَنْتَ وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ » (١)

فإذا شكرتك أخذك مشافهةً على صلتك، أو شكرتك عند الناس فأنت
واصل، وإذا شكت إليك قطيعتك أو شكت للناس فأنت قاطع .
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الواصلين، ونعوذ بالله أن نكون من
القاطعين .

الصنف الثالثون

الأمرونَ بالمعروفِ النَّاهونَ عَنِ الْمُنْكَرِ

عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَتَمٍ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: صِلَةُ الرَّحِمِ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (١)

المَعْرُوفُ: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما عُرِفَ من طاعةِ الله والتقربِ إليه، والإحسانِ إلى الناس، وكلِّ ما ندب الشرعُ إليه، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات (٢).

والمُنْكَرُ: كُلُّ ما قَبَحَهُ الشرعُ وحرَّمه ونهى عنه (٣).

قال الغزالي: «إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الْأَعْظَمُ فِي الدِّينِ وَهُوَ الْمُهْمُ الَّذِي ابْتَعَثَ اللَّهُ لَهُ النَّبِيِّينَ أَجْمَعِينَ، وَلَوْ طَوَى بِسَاطُهُ وَأَهْمَلَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لَتَعَطَّلَتِ النُّبُوَّةُ، وَاضْمَحَلَّتِ الدِّيَانَةُ، وَعَمَّتِ الْفِتْرَةُ، وَفَشَتِ الضَّلَالَةُ وَشَاعَتِ الْجَهَالَةُ، وَاسْتَشْرَى الْفُسَادُ، وَاتَّسَعَ الْخَرَقُ وَخَرِبَتِ الْبِلَادُ، وَهَلَكَ الْعِبَادُ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِالْهَلَاكِ إِلَّا يَوْمَ النَّتَادِ، وَقَدْ كَانَ الَّذِي خَفْنَا أَنْ يَكُونَ، فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، إِذْ قَدْ ائْتَدَتْ مِنْ هَذَا الْقُطْبِ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ، وَانْمَحَقَ بِالْكُلِّيَّةِ حَقِيقَتُهُ وَرُسْمُهُ، فَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْقُلُوبِ مُدَاهِنَةُ الْخَلْقِ، وَانْمَحَقَتْ عَنْهَا مُرَاقِبَةُ الْخَالِقِ، وَاسْتَرْسَلَ النَّاسُ فِي مُتَابَعَةِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ اسْتِرْسَالِ الْبَهَائِمِ، وَعَزَّ عَلَى

١- سبق قريباً.

٢- لسان العرب (٩/٢٤٠).

٣- لسان العرب (٥/٢٣٣).

الأرض مؤمنٌ صادقٌ لا تأخذه في الله لومةٌ لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسدَّ هذه الثلمة، إمّا متكفلاً بعملها، أو متقلداً بتنفيذها مجدداً لهذه السُنَّة الدائرة، ناهضاً بأعبائها، متشمرّاً في إحيائها، كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سُنَّة أفضى الزمان إلى إمامتها، ومستتبداً بقرْبَةٍ تتضاءل درجات القُربِ دون ذِروَتِها»^(١).

والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة النبي ﷺ وأتباعه، قال تعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى في وصف الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. والدعوة إلى الله إنما تتحقق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أمر الله تعالى الأمة بالقيام بهذه الوظيفة فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) [آل عمران]

وقد اختلفَ في هذه الآية: هل تدلُّ على أنَّ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضٌ عَيْن؟ أم تدلُّ على أنها فرضٌ كفاية؟

فذهب بعضهم إلى الأوَّل، وقالوا إنَّ "من" في قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ للبيان لا للتَّبْعِيض، كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] وكما يقول الرَّجُلُ لابنه: أريد أن أرى منك عالماً، وعليه فإنَّ معنى الآية: كونوا أُمَّةً دُعَاةً إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر.

وقال بعضهم: «من» للتبعيض، فالآية تدلُّ على أنَّ الدَّعْوَةَ فرضُ كفاية على جميع المسلمين، فإذا قام به مَنْ يكفي سقط الحرجُ عن الجميع. والأوَّلُ أرجح، ويدلُّ على العموم قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر] والتواصي هو الأمرُ والنهي^(١). كما يدلُّ عليه أيضاً قولُ النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢)

فمن رأى منكراً تعيَّن عليه تغييره بيده، فإن عجز فبلسانه، فإن عجز فبقلمه ولا بد، فإن لم يتغير قلبه لرؤية المنكر، ولم يغضب لغضب الله عزَّ وجلَّ، لم يكن في قلبه إيمان، كما قال ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ»^(٣).

وهذا أمرٌ خطيرٌ جداً، لا يظنُّ له أولئك الذين يشهدون المنكرَ ويُقيمون عليه، كما يحدث في الأفراح والمحافل الساهرة التي تُنتهكُ فيها حرُماتُ الله، ويُتعدَّى فيها على حدودِ الله، والجماهيرُ الغفيرةُ ساهرةٌ على المشاهدة والاستمتاع والفرح والسرور! فأين هؤلاء من تغيير المنكر، وهل في قلوبهم حَبَّةٌ خَرْدَلٍ من إيمان؟! وقد علموا أنَّ هذا المنكر لا يرضاه الله، وقد أمرهم بتغييره فأقاموا عليه وسرُّوا به، وروَّحوا عن أنفسهم بمشاهدته!

١- مختصر تفسير المنار (١/٣٦٥).

٢- م (١/٦٩/٤٩)، ت (٣/٣١٨ و ٣١٧/٢٢٦٣)، د (٣/٤٩٢ و ٤٩١/١١٢٨)، ن (٨/١١١)، ج (١/٤٠٦ / ١٢٧٥).

٣- م (١/٧٠ و ٦٩/٥٠).

وهؤلاء الذين يذهبون إلى شواطئ البحار في الصَّيْفِ وهي مليئةٌ بالعرايا، والفواحشُ ملاً أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ . ألم يعلموا أَنَّ تَغْيِيرَ المنكر واجب! وأنَّ من لم ينكر المنكر بقلبه فليس في قلبه حَبَّةُ خَرْدَلٍ من إيمان! فكيف طابت أنفسهم وقرَّتْ أعينُهُم بما رأوا من منكرٍ وجب عليهم إنكاره فلم ينكروه ولم يغيِّروه ولم يغضبوا لله إذا رأوه! ولا يغرَّتْك جوابهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٦) [الكافرون] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨] لا يغرَّتْك هذا الجواب فإنه داخل في عموم قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (٢٥) [محمد] فزَيْنَ لَهُمْ سَوْءُ أَعْمَالِهِمْ وَلَبَسَ عَلَيْهِمْ ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١] .

إنَّ المؤمن مطالبٌ بتغيير المنكر، وأدنى درجات التغيير التغيُّرُ بالقلب، وتغييرُ المنكر يدعو إلى هَجْرِ المنكر وأهله لا إلى مُخَالَطَتِهِمْ ومُشَاهَدَتِهِ ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨) [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء] ولذلك رُفِعَ إلى عمر بن عبد العزيز جماعةٌ سَكَرَى فَقَالَ : اجلدوهم . قالوا: فيهم فلانٌ كان صائماً! قال: به فابدؤا (١) .

ولكنَّ القلوب إذا انتكست لم تعرف المعروف ولم تنكر المنكر، كما قال ﷺ ” تُعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبُهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرُهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ “ (٢) .

١- مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٢٢١) .

٢- م (١٤٤/١٢٨ و ١٢٩/١) .

والشاهدُ أنَّ الآيةَ تدلُّ على وجوب الدَّعوةِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ على جميعِ الأفرادِ، ويؤكدُ ذلكَ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١) [التحريم]. قال قتادة: تأمرهم بطاعةِ الله وتنهاهم عن معصيةِ الله، وتقوم عليهم بأمرِ الله تأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيتَ لله معصيةً قذعتهم عنها وزجرتهم عنها^(١). وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه] فأولُ واجباتِ المسلم أن يحولَ بيته بيتَ مسلم، وأن يوجِّهَ أهلهُ إلى أداءِ الفرائض التي تصلهم معه بالله، فتوحدَ اتجاههم الغلويَّ في الحياة^(٢).

فالمسلمُ في بيته واعظٌ، آمرٌ، ناهٍ، يأمرُ أهلَ بيته بالمعروفِ، وينهاهم عن المنكرِ، ويدعوهم إلى الخيرِ، ولا يَقَرُّهم على سوءٍ أبدًا، ولا يَقَرُّهم على تركِ واجبٍ ولا على فعلِ محرَّمٍ، فقد قال ﷺ: «أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْنُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْنُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْنُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدُهُ وَهِيَ مَسْنُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْنُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْنُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»^(٣)

وقال ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٤)

١- تفسير ابن كثير (٤/٣٩١).

٢- الظلال (٥/٥٠٦).

٣- متفق عليه: خ (٨٩٣/٢)، م (١٨٢٩/١٤٥٩)، ت (١٧٥٧/١٢٤/٣)، د (٢٩١٢/١٤٦/٨).

٤- حسن صحيح: (ص: ٤٦٦)، د (٤٩١/١٦٢/٢).

فأين الذين يقومون بهذا الواجب ؟ وأين الذين يؤثرون هذه المسؤولية؟ أين الذين يأمرّون أولادهم بالصلاة ؟ أين الذين يأمرّون بناتهم بالحجاب ؟ أين الذين ينهون أولادهم عن المنكر؟ أين الذين ينهون بناتهم عن التبرّج والسفور؟ أين الذين ينهون نساءهم عن دخول الرجال عليهن؟ فانتبهوا أيها الرجال! لقد حُمِلْتُمْ مسؤوليةً اعتذرت عن حملها السموات والأرض والجبال، فاستعينوا بالله واصبروا وأدّوا ما فرض الله عليكم في بيوتكم من الدّعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واعلموا أنّ الله سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه.

هذا وإنّ لفظ الآية يتّسع لتكليف الأمة كلّها بعد ذلك بأن يكون فيها علماء متخصصّون متفرّغون للدّعوة في الداخل والخارج، يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحوظهم السلطان بقوة تحميهم وتساندهم، وتعاونهم على تغيير المنكر باليد في الشوارع والطرق ”فمنهجُ الله في الأرض ليس مجردَ وعظ وإرشادٍ وبيان، فهذا شطرٌ، أمّا الشطرُ الآخر فهو القيامُ بسلطة الأمر والنهي على تحقيقِ المعروف ونفيِ المنكر من الحياة البشرية، وصيانةِ تقاليد الجماعة الخيرة أن يعبث بها كلُّ ذي هوى، وكلُّ ذي شهوة، وكلُّ ذي مصلحة، وحماية هذه التقاليد الصالحة من أن يقولَ فيها كلُّ امرئٍ برأيه ويتصوّرهُ زاعماً أنّ هذا هو الخير والمعروف والصواب“ (١).

وهذه الجماعة هي التي تُعرفُ في بعض البلدان الإسلامية بـ ”هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر“، وعندنا جماعةٌ تقومُ بشيءٍ من هذا الواجب وهي التي تُسمّى شُرطة الآداب، وهي التي تقومُ بمكافحة العابثين بقيم وآداب الشعب، ويتعرّضون لمعاكسة البنات والنساء، ونحن بحاجة إلى جماعةٍ من أهل العلم يأذن لهم السلطانُ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويحوظهم بقوةٍ حتّى يؤدّوا وظيفتهم كما أراد الله، فإنّ الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن وهذا من

واجبات السلاطين الذين مكن الله لهم في الأرض وجعلهم ملوكاً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج]

وفي قيام هذه الجماعة بهذا الواجب حفظ الأمة من انتشار الرذائل والموبقات، وصيانة لها من المهلكات، فإن الشر إذا غلب، والخبث إذا كثر فقد هلكت الأمة كلها كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]

عَنْ زَيْتَبِ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِعَا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ افْتَرَبَ، فَتَحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ مِثْلُ هَذَا، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَبِالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْتَبُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثَرَ الْخَبَثُ» (١)

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مِثْلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَقِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» (٢)

ومن فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه عنوان كمال الإيمان ، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وتركه عنوان النفاق والطغيان،

١- متفق عليه : خ(٣٥٩٨/٦١١)، م(٢٨٨٠-٢/٢٢٠٨)، ت(٢٢٨٢/٣٢٥)، ج(٣٩٥٣/٢١٣٠٥).

٢- خ(٢٤٩٣/١٣٢)، ت(٢٢٦٤/٣١٨)، بنحوه.

كما قال تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧] وهذه الآية شديدة جداً على الذين يزعمون أنهم آمنوا بالله ورسوله ثم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، بل يأمر بالمنكر وينهون عن المعروف، فمن الذين يزعمون الإيمان مَنْ يَنْهَى امرأته وابنته عن الحجاب ويأمرها بالتَّبَرُّجِ والسُّفور! ومنهم مَنْ يَنْهَى امرأته عن الصلاة، ومنهم من يأمر امرأته بمقابلة ضيوفه والتَّرحيبِ بهم، ومنهم مَنْ يَنْهَى ولده عن إعفاء لحيته، ومنهم مَنْ يَنْهَى ولده عن الصلاة في المساجد، ومنهم من يَنْهَى ولده عن حضور مجالس العلم، وهم يزعمون أنهم مؤمنون!! إنما المؤمنون التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴿[التوبة] ومن فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استحقاقُ أهله للفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤)﴾ [آل عمران] ومن فوائده استحقاقُ أهله لرحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١)﴾ [التوبة] فمن قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو مرحوم، ومن تركه فهو ملعون، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩)﴾ [المائدة].

ومن فوائده استحقاقُ أهله للسلامة والنَّجاة من العذاب إذا نزل بالظالمين، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١٦٥)﴾ [الأعراف] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴿المائدة﴾ «وإنما يكون الاهتداء إذا أطيع الله، وأُديَّ الواجبُ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما، ولكن في الآية فوائد عظيمة، منها:

«أن لا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين ، فإنهم لن يضرّوه إذا كان هو مهتدياً.

أن لا يحزنَ عليهم ولا يجزعَ، فإنَّ معاصيهم لا تضره إذا اهتدى.

أن لا يعتديَ على أهل المعاصي بزيادةٍ على المشروع في بغضِهم أو ذمِّهم أو هجرهم أو عقوبتهم.

أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر، وحسنِ القصد، وسلوك سبيل القصد، فإنَّ ذلك داخلٌ في قوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ وفي قوله ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (١)

فلا بُدَّ للأمرِ النَّاهي من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، ولا بُدَّ من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال الأمور والمنهي، ولا بد من الرفق في الأمر والنهي، كما قال ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (٢)

ولا بُدَّ أيضاً أن يكون الأمرُ الناهي حليماً صبوراً، يحلم على المدعوين وإن جهلوا عليه، ويصبر على أذاهم إن آذوه، ولهذا اقترن الأمرُ بالصبر بالأمر بالدعوة في أول التكليف، كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتَبَايَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المدثر] وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَابْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ

١- مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٨٠ - ١٤/٤٨٢).

٢- م (٢٥٩٤/٤/٢٠٠٤)، د (٤٦١/٢٥٥/٧).

بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾.

”وقال بعضُ السلف: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا مَنْ كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه“^(١)

ولا بُدَّ للأمر أن يكون كالطبيب الحكيم يُشَخِّصُ الداءَ ويصرف الدواءَ المناسبَ في الكمِّ والكيفِ من غير إسرافٍ ولا تقتير، فلا يلجأ إلى التصريح إذا أغنى عنه التلميح، ولا يلجأ إلى الكلمة النابية إذا أغنت عنها الكلمة الطيبة، ولا يلجأ إلى الشدة إذا أغنى عنها اللين، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا فِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩) [الحجرات] فقدَّم الإصلاحَ على القتال، وهذا يقتضي أن يبدَأَ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأرقق مترقياً إلى الأغلظ فالأغلظ، وقال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (٣٤) [النساء] فبدأ باللين ثم انتقل إلى الأشد فالأشد^(٢)، وهذا من فقه الدعوة الذي يتعيَّن على كلِّ داعيةٍ حتى لا يفسد أكثر مما يصلح، ولا يضرَّ أكثر مما ينفع.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: ”اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمُتُّوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

١- مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦ و ١٣٧/٢٨).

٢- تفسير الرازي (٨٤/٨).

فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خَصَالٍ أَوْ خِلَالَ فَأَيُّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ:
ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّمْهُمْ
الْجَزِيَّةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ
وَقَاتِلْهُمْ»^(١) فلم يأمره بالقتال إلا بعد رفضهم الإسلام ودفع الجزية.

فإذا أخذ الداعية نفسه بهذه الآداب ووفق في دعوته وأقبل الناسُ
عليها، فليحرص الدعاة جميعاً على تعلُّمِ فقه الدعوة وأصولها، والله الهادي إلى
سواء السبيل .

الَّذِينَ يَقْبَلُونَ رُخْصَةَ اللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ» (١)

خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ فِيهِمْ ضَعْفًا فَخَفَّفَ عَنْهُمْ وَوَضَعَ عَنْهُمْ مَا يَعْجِزُونَ عَنْهُ مِمَّا كَلَّفَهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١:٣) [البقرة] وَهَذَا إِنْ دُلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى رَحْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسِمَاحَةِ هَذَا الدِّينِ، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ نصوصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَحَادِيثُ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ» (٢).

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» (٣)

١- صحيح: [الإرواء: ٥٦٤]، حب (٢٢٨/٩١٤).

٢- خ (١/٩٣/٣٩)، ن (٨/١٢٢ و ١٢١).

٣- م (٥/١١١ و ١١٠)، ن (٢/٩٧٥/١٣٣٧).

ويظهر ذلك جلياً في تخفيف الله عن عباده فيما فرضه، أحياناً قبل العمل وأحياناً بعد العمل، فمن الأول تخفيفُ الله عن عباده في عدد الصلوات المفروضة، فقد فرضها الله أول مرة -كما هو معلوم- خمسين صلاةً في اليوم واللييلة، فلم يزل النبي ﷺ يسأل ربه التخفيفَ حتى جعلها خمساً في العمل وخمسين في الأجر والثواب فلما نزل النبي ﷺ سمع الربَّ سبحانه يقول: «أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي» (١) ومن التخفيف بعد الفعل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَتَصْنَفُهُ وَتُلْثُهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَعَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَاخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)﴾ [المزمل] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)﴾ [الأنفال] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾ [المجادلة]

ولمّا كان الإنسان لا يخلو من ضعفٍ يعتريه فقد رخص الله تعالى للمكلف عند ذلك الطارئ في ترك الواجب أو فعل ما يستطيعه منه وترك ما يعجز عنه حتى لا يحرم نفسه من ثواب التكليف ودوام الطاعة للمكلف وهو الله سبحانه، وأخبرنا النبي ﷺ « أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ » ، يعني كما أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ الْمَكْلَفُ أَنْ يَحَافِظَ عَلَى الْفَرَائِضِ فِي وَقْتِ الْإِسْطَاعَةِ كَذَلِكَ يُحِبُّ مِنْهُ أَنْ يَتْرَكَ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ مِنْهَا عِنْدَ الْعِجْزِ وَهَذِهِ بِتِلْكَ، كما قال ﷺ : « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا » (١)

وإذا الأمر كذلك فلا يجوز لمسلم عجز عن شيء عجزاً كلياً أو جزئياً أن يتكلف هذا الشيء ويجهّد نفسه في فعله، فإنّ هذا من التتطّع الذي حاربه الرسول ﷺ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا » (٢)

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ. قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ! فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا» (٣)

وَعَنْهَا قَالَتْ: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ، وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » (٤).

١- خ (٦/١٣٦/٢٩٩٦).

٢- م (٤/٢٠٥٥/٢٦٧٠) د (٤/٢٠٥٥/٤٥٨٤) ح (١٢/٣٦١).

٣- خ (١/٧٠/٢٠).

٤- متفق عليه: خ (١٠/٥١٣/٦١٠١) م (٤/١٨٢٩/٢٣٥٦).

فاستعمال الرخصة في محلها بقصد الاتباع أولى من استعمال العزيمة^(١) والرخصة اسم لما أباحه الشارع عند الضرورة تخفيفاً على المكلفين . وقد امتدت الرخص الشرعية حتى شملت العقائد والعبادات والمعاملات .

فمن الرخص في العقائد إباحة الشارع للمسلم أن ينطق بكلمة الكفر إذا أكره على ذلك، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ومن رخص العبادات رخص الصلاة، ومنها ما يتعلق بالطهارة لها، فإن الطهارة من الحدثين شرط لصحة الصلاة كما قال ﷺ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ»^(٢) والعزيمة أن تكون الطهارة بالماء، فإن فقده الإنسان أو عجز عن استعماله لمرض أو نحوه فله أن يترخص فيتطهر بالتراب كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيَنِيَمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦).

[المائدة]

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ صَلَاتُهُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟ قَالَ أَصَابَتْني جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ. قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ»^(٣)

١- فتح الباري: (١٣/٢٧٩).

٢- م (١/٢٠٤/٢٢٤)، ت (١/٣/١)، ج (١/١٠٠/٢٧٢).

٣- متفق عليه: خ (١/٤٧٧/٣٤٤)، م (١/٤٧٤/٦٨٢)، ن (١/١٧١).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غُرْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمْرُو! صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ! فَأَخْبَرْتَهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الْإِغْتِسَالِ، وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا» (١)

فإذا جرح المسلم فخاف من استعمال الماء، أو مرض فعجز عن استعمال الماء فإنه يُرخص له في التيمم، وهو ضربة باليدين على الأرض أو الجدار، ثم يمسح بهما وجهه وكفيه، ويصلي بهذا التيمم الفرائض والنوافل كما يصلي بالوضوء، ويصلي به صلوات كما يصلي بالوضوء، ولا ينقضه إلا ما ينقض الوضوء أو زوال العلة .

كما أن العزيمة في الوضوء غسل الرجلين إلا أنه يُرخص للمسلم إذا كانت رجلاه في خفين أو جوربين أو نعلين، وكان قد أدخلهما طاهرتين أن يمسح عليهما يوماً وليلة في الحضر، وثلاثة أيام بلياليهن في السفر.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأُهْوِيتُ لِأَنْزَعِ خَفِيهِ فَقَالَ: «دَعَهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا» (٢)

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمَقِيمِ» (٣)

ولا تحسب المدة من ساعة اللبس، ولكن من حين يمسح، فإذا توضع الفجر وغسل رجله وأدخلهما الجوربين طاهرتين، ثم توضع الظهر ومسح فإن مدته من الظهر إلى الظهر، ما لم ينزعهما أو تصبه جنابة.

١ - صحيح [ص: ٣٢٣، د: ٣٣٠/٥٣١ و ١/٥٣١، حم: ٢/١٩١/١٦، ك: ١/١٧٧].

٢ - متفق عليه خ: ١/٣٠٩/٢٠٦، م: ٢٧٤-٢٧٩-١/٢٣٠، د: ١/٢٥٦/١٥١.

٣ - م: ١/٢٣٢/٢٧٦، ن: ١/٨٤.

ومن رخص الصلاة: القعود عند العجز عن القيام، والاضطجاع عند العجز عن القعود:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»^(١)

ومنها ترك استقبال القبلة عند الخوف، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا. قَالَ مَالِكٌ قَالَ نَافِعٌ لَا أَرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ذَكَرَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢)

ومنها ترك الاستقبال في النافلة في السفر على الراحة:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ. قَالَ وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]»^(٣)

ومنها: الجمع بين الصلاتين في الحضر بعذر المطر:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا مَطَرٍ»^(٤) وهو مُشْعِرٌ بِأَنَّ الْجَمْعَ للمطر كان معروفاً في عهد النبي ﷺ.

وَعَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ «كَانَ إِذَا جَمَعَ الْأَمْرَاءَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي الْمَطَرِ جَمَعَ مَعَهُمْ»^(٥)

١- خ (٢/٥٨٧/١١١٧)، د (٣/٢٣٣/٩٣٩)، ت (١/٢٣١/٣٦٩).

٢- خ (٨/١٩٩/٤٥٣٥)، ط (١٢٦/٤٤٢).

٣- خ تعليقاً (٢/٥٧٥/١٠٩٨)، م (١/٤٨٦/-٣٣-٧٠٠).

٤- م (١/٤٨٩/٧٠٥)، د (٤/٧٧/١١٩٨)، ن (١/٢٩٠).

٥- صحيح: [الإرواء: ٣/٤٠٠]، ط (١٠٢/٣٢٨).

ومنها القصرُ في السفر: قصر الرباعية، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (١٠١) [النساء]

عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ! فَقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَأَقْبِلُوا صَدَقَتَهُ» (١)

فلا يجوز لأحد أن يردَّ صدقة الله، وإلا أساء فيما بينه وبين الله، ولذلك لم يُتِمَّ النبي ﷺ في سفرة من أسفاره البتة، وهذا يؤكد وجوب قصر الصلاة في السفر .

ومنها الجمعُ في السفر جمع تقديم أو تأخير، فيصلّي الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً .

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، فَأَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا» (٢)

ومنها التخلفُ عن الجماعة لعذر، ومن الأعذار البرد والمطر:

عَنْ نَافِعٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَذِنَ بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةِ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ ثُمَّ قَالَ: أَلَا صَلُّوا فِي الرَّحَالِ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَدَّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ ذَاتِ بَرْدٍ وَمَطَرٍ يَقُولُ أَلَا صَلُّوا فِي الرَّحَالِ» (٣)

١- م (١/٤٧٨/٦٨٦)، د (٤/٦٤/١١٨٧)، ت (٤/٣٠٩/٥٠٢٥)، ج (١/٣٣٩/١٠٦٥)، ن (٣/١١٦)

٢- صحيح: [ص: ١٠٦٧]، د (٤/٧٥/١١٩٦)، ت (٢/٣٣/٥٥١).

٣- متفق عليه: خ (٢/١٥٧ و ٥٦/٦٦٦)، م (١/٤٨٤/٦٩٧)، د (٣/٣٩١/١٠٥٠)، ن (٢/١٥).

ومنها حضورُ الطعام :

عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا وُضِعَ عَشَاءٌ أَحَدُكُمْ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَاْبْدَعُوا بِالْعِشَاءِ، وَلَا يَعْجَلْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُوَضِّعُ لَهُ الطَّعَامَ وَتَقَامُ الصَّلَاةُ فَلَا يَأْتِيهَا حَتَّى يَفْرُغَ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ » (١).

وذلك - كما هو معلوم - لمن لم يتعمَّدَ وَضْعَ الْعِشَاءِ وَقْتَ الْعِشَاءِ، كَانَ يَصِلِي الرَّجُلُ الْمَغْرِبَ وَيَنْصَرِفُ لِلْعِشَاءِ فَيَتَأَخَّرُ أَهْلُهُ فِي وَضْعِهِ لِعَدَمِ نُضْجِهِ أَوْ عَدَمِ تَجْهِيزِهِ ثُمَّ يَضْعُونَهُ فَيُفَاجَأُ بِالْأَذَانِ، فَيَحِينُذٌ لَهُ أَنْ يَتَعَشَى قَبْلَ الصَّلَاةِ .

ومن الأعداء حاجةُ الإنسان إلى الخلاء، فإذا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَوَجَدَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مُضْطَرًّا لِلْخَلَاءِ فَلَهُ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ أَنَّهُ خَرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمَعَهُ النَّاسُ وَهُوَ يَوْمُهُمْ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَقَامَ الصَّلَاةَ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ قَالَ: لِيَتَقَدَّمَ أَحَدُكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَذْهَبَ الْخَلَاءَ وَقَامَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَبْدَأْ بِالْخَلَاءِ » (٢)

ومن رُحِصِ الصَّلَاةِ تَرَكُّ السَّنَنِ الرُّوَاتِبِ قَبْلَ الصَّلَاةِ وَبَعْدَهَا فِي السَّفَرِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَحَافِظُ فِي السَّفَرِ إِلَّا عَلَى سَنَةِ الْفَجْرِ وَالْوُتْرِ، وَقَدْ يَصْلِي الْحُجَّاجُ وَالْمُعْتَمِرُونَ النُّوَافِلَ طَمَعًا فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ لِفَضِيلَةِ الْمَكَانِ! وَالْجَوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ: اسْتِعْمَالُ الرُّخْصَةِ فِي مَحَلِّهَا بِقَصْدِ الْإِتِّبَاعِ أَوَّلَى مِنْ اسْتِعْمَالِ الْعَزِيمَةِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[الحشر: ٧]

١- متفق عليه خ: (٢/١٥٩/٦٧٣)، م: (١/٣٩٢/٥٥٩)، د: (١٠/٢٢٩/٣٧٣٩)، ت: (١/٢٢١) معلقاً.

وليس نعد «م» حكاية فعل ابن عمر.

٢- صحيح: [ص: ٨٠، د: ٨٨/١٥٨]، ت: (١/٩٥/١٤٢)، ن: (١٠/١١١/٢)، ج: (١/٢٠٢/٦١٦)

فما فعله فعلناه، وما تركه تركناه، وهذه حقيقة الاتباع التي قال الله فيها ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

ومن رخص الصلاة ترك صلاة الجمعة يوم العيد، والاكتفاء بصلاة العيد عنها: عَنْ إِيَّاسِ بْنِ أَبِي رَمْلَةَ الشَّامِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا سَأَلَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: هَلْ شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِيدَيْنِ فِي يَوْمٍ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: صَلَّى الْعِيدَ ثُمَّ رَخَّصَ فِي الْجُمُعَةِ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ شَاءَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُصَلِّ» (١) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اجْتَمَعَ عِيدَانِ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجْمَعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٢)

ومن رخص الصوم: الفطر للمريض والمسافر، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] والمريض أدرى بنفسه، لا يحتاج إلى استشارة الطبيب، ولا يجب عليه أن يسأله ليقول له أفطر أو لا تفطر بل المريض أدرى بحاله، وأمّا المسافر فله الفطر مطلقاً بغير نظر إلى المشقة وعدمها، ولا فرق بين مسافر البر والبحر والجو، فما دام مسافراً فهو داخل في عموم الآية، لكن الأفضل يختلف بحسب المشقة وعدمها، فمن وجد المشقة فالفطر له أفضل مادامت المشقة محتملة، أما إن أفضت به إلى عجز فالفطر في هذه الحالة واجب:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى رِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا؟ فَقَالُوا صَائِمٌ. فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ» (٣)

١- صحيح: [ص. ج: ١٠٨٢]، ج: (١/٤١٥/١٣١٠)، د: (٣/٤٠٧/١٠٥٧).

٢- صحيح: [ص. ج: ١٠٨٣]، ج: (١/٤١٦/١٣١١)، د: (٣/٤١٠/١٠٦٠).

٣- متفق عليه: خ: (٤/١٨٣/١٩٤٦)، م: (٢/٧٨٦/١١١٥)، د: (٧/٤٤/٢٣٩٠)، ن: (٤/١٧٦).

ومن لم يجد المشقة فالصوم له أفضل، وإن أفطر فلا حرج :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: « كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، فَلَا يَجِدُ الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ وَلَا الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ وَجَدَ قُوَّةَ فَصَامَ فَحَسَنَ، وَمَنْ وَجَدَ ضَعْفًا فَأَفْطَرَ فَحَسَنَ » (١)

ومنها فطرُ الشيخ الكبير والمرأة العجوز، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]

عَنْ عَطَاءٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ، هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا (٢).

وكذلك الحُبلى والمرضع إذا لم تطيقا الصوم أو خافتا على أولادهما فلهما الفطر وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: « إِذَا خَافَتِ الْحَامِلُ عَلَى نَفْسِهَا، وَالْمَرْضِعُ عَلَى وَلَدِهَا فِي رَمَضَانَ، يُفْطِرَانِ وَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، وَلَا يَقْضِيَانِ صَوْمًا » (٣).

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: « كَانَتْ بِنْتُ لَابِنِ عُمَرَ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ حَامِلًا، فَأَصَابَهَا عَطَشٌ فِي رَمَضَانَ، فَأَمَرَهَا ابْنُ عُمَرَ أَنْ تَفْطِرَ وَتُطْعِمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا » (٤)

١- م (١١١٦-٩٦-٢/٧٨٦)، ت (٢/١٠٨/٧٠٨).

٢- خ (٨/١٧٩/٤٥٠٥).

٣- صحيح الإسناد: [الإرواء: ٤/٢٠] وعزاه الشيخ للطبري (٢٧٥٨).

٤- إسناده جيد : [الإرواء: ٤/٢٠، ٤/٢٠٧/١٥].

ومن رخص الصوم: صوم أيام التشريق لمن لم يجد الهدي، فإن يومي العيدين وأيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر حرام صومها، ولكن إذا حجَّ الرجل متمتعاً ولم يجد الهدي رخص له أن يصوم أيام التشريق :

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا :
«لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ» (١)

ومن رخص المعاملات بيع السلم، وهو بيع شيء موصوف في الذمة بتمنٍ معجل، والأصل فيه المنع، لأنَّ بيع المعدم لا يجوز، وكذلك بيع ما لا يملك، لكن رخص للمسلمين في بيع السلم للحاجة :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُسَلِّفُونَ فِي الثَّمَارِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ فَقَالَ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي تَمْرٍ فَلْيُسَلِّفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوزنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ» (٢)

وهذا البيع هو الذي تسميه العامة بالصيفي. كأن يأتيك مزارع يطلب منك مالاً على قنطارين قطناً، أو أردبين غلة، ونحو ذلك، فهذا البيع في أصله ممنوع لأن المبيع غير موجود، لكنَّ الشرع رخص فيه للحاجة، وهذا من محاسن الإسلام وسماحته، والحمد لله.

هذا، وإنَّ مما يجب التحذير منه تتبُّع العامة زلات العلماء وهفواتهم، وتمسُّكهم بها، وتسميتهم لها رخصة، وما هي برخصة، فالرخصة ما كانت من الشارع بنصٍّ صحيح ثابت كما ذكرنا، وأما هفوات العلماء وزلاتهم فليست رخصاً، فلا يجوز تتبُّعها والأخذ بها، فقد قال علماء السلف: من تتبَّع رخصة كلِّ

١- خ (١٩٩٧ و ١٩٩٨ / ٤ / ٢٤٢).

٢- متفق عليه خ: (٤ / ٢٢٤٠ / ٤)، م (١٦٠٤ / ٢٢٦ و ٣ / ١٢٢٧)، ت (٢ / ٣٨٧ / ١٣٢٥)، د (٩ / ٣٤٨ / ٣٤٤٦)، ج (٢ / ٧٦٥ / ٢٢٨٠)، ن (٧ / ٢٩٠).

عالم فقد اجتمع فيه الشرُّ كله، بمعنى: أن يُفتي مُفتٍ بأنَّ الغناءَ حلالٌ فتأخذ به، ويفتي آخرُ بأنَّ نكاح السرِّ حلالٌ فتأخذ به، ويفتي ثالثٌ بأنَّ القروضَ البنيَّةَ حلالٌ فتتقترض وتقول قال فلان، هذا تتبَّعُ للهفوات والزلات لهوى النفس والعياذ بالله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠) [القصص].

فإن قال قائل: فكيف نفعلُ إذن وقد اختلفت علينا الفتوى؟ فالجواب:

إذا لم يتبيَّنْ لك الحقُّ في واحدةٍ منها فاخرج من هذا الخلاف بالأخذ بالأتقى لرَبِّك، والأحوط لدينك والأبرأ لذمتك، عملاً بقول النبي ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ»^(١) وبذلك تكون قد خالفت الهوى وأتبعْتَ الهدى.

١- صحيح: [ص: ٢٥١٨، ت: (٤/٧٧/٢٦٣٧)، ن: (٨/٣٢٨ و ٣٢٧)].

الصنف الثاني والثلاثون

العَافُونَ عَنِ النَّاسِ

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: «تَقُولِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (١)

ليلةُ القدر هي تلك الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)﴾ [الدخان] وهي ليلة من رمضان بلا شك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾ [القدر] وقوله سبحانه «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» [البقرة: ١٨٥] ولكن لا يعرف أي ليلة هي على وجه التحديد، ولذلك كان ﷺ يطلبها في أول الشهر فيعتكف العشر الأول، ثم طلبها في وسطه فاعتكف العشر الأوسط، ثم أعلم أنها في العشر الأخير فاعتكف العشر الأخير وقال: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» (٢)

ولقد عظم الله شأن هذه الليلة ورفع قدرها فأنزل سورة في القرآن باسمها سورة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾ خبرٌ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)﴾ استفهامٌ لتعظيم شأنها ورفع قدرها، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)﴾ أي أن ثواب العمل الصالح فيها خيرٌ من ثواب العمل في ألف شهر ليست فيها ليلة القدر، والألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأمة، لما قصرت أعمارها، وقلت أيامها، أعطاه ربها

١- صحيح [ص: ٣٥١٣، ت: (٥/١٩٥/٣٥٨٠)، ج: (٢/١٢٦٥/٣٨٥٠)].

٢- خ (٤/٢٥٩/٢٠١٩).

في كل سنة ليلةً خيراً من ألف شهر، فله درك أيها المسلم إذا وقفت لأربعين ليلةً أو خمسين، أو ستين أو سبعين ليلةً من ليلة القدر، وكل ليلة خيراً من ألف شهر، ليهنك الأجر والثواب إذن والله. ولذلك كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، ويجتهد فيها في العبادة والطاعة طلباً لليلة القدر، حتى قالت عائشة «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمُنْزَرَ» (١)

وَعَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (٢)

وكان ﷺ يحث على طلبها وتحريها والاجتهاد فيها فكان يقول : «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلَا يُغْلِبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَاقِي» (٣)

وَعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: رَأَى رَجُلًا أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، فَاطْلُبُوهَا فِي الْوَتْرِ مِنْهَا» (٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٥)

١- متفق عليه: خ (٤/٢٦٩/٢٠٢٤)، م (٢/٨٣٢/١١٧٤)، د (٢/٨٣٢/١١٧٤)، هـ (٤/٢٥٢ و ٢٥١/١٣٦٣)، ن (٣/٢١٨)، ج (١/٥٦٢/١٧٦٨).

٢- م (٢/٨٣٢/١١٧٥)، ت (٢/١٤٦/٧٩٣)، ج (١/٥٦٢/١٧٦٧).

٣- صحيح: [ص. ج: ١٢٥٠، ح (ز): (١٠/٢٦٩/٣٣٠)].

٤- صحيح: [ص. ج: ٨٨٠، ح (ز): (١٠/٢٦٤/٣٢٣)].

٥- متفق عليه: خ (١/٩١/٣٥)، م (١/٧٦-٧٦٠-١٢٥٤/١).

وقد أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه وترجم عليه بقوله :
 « باب قيام ليلة القدر من الإيمان » : يعني أنَّ الحرصَ عليها وطلبها وتحرِّيها
 والاجتهادَ فيها عنوانُ كمالِ الإيمان، وأنَّ الغفلةَ عنها وإهمالها والتقصيرَ فيها
 عنوانُ نقص الإيمان .

وكان ﷺ يحذِّرُ المسلمين أن يفوتهم هذا الخير، فكان يقول: «إِنَّ هَذَا
 الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ
 كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»^(١)

ومع أنَّ هذه الليلةَ مجهولةُ العين إلا أنَّ النبي ﷺ وصفها، وجعل لها
 علامات تُعرف بها، فقال ﷺ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ بَلَجَةٌ لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، وَلَا
 يُرْمَى فِيهَا بِنَجْمٍ وَمِنْ عِلَامَةٍ يَوْمِهَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ لَا شُعَاعَ لَهَا»^(٢).

وقال ﷺ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ
 صَبِيحَتَهَا ضَعِيفَةً حُمْرَاءَ»^(٣)

وقال ﷺ: «صَبِيحَةُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ تَطْلُعُ الشَّمْسُ لَا شُعَاعَ لَهَا كَأَنَّهَا طُسْتُ
 حَتَّى تَرْتَفِعَ»^(٤)

فاجتهدوا يا عبادَ الله في هذا العشر الذي تستقبلون في طاعة الله، صوموا
 وقوموا، واعتكفوا، واقرأوا القرآن وتصدَّقوا، وأبشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به،
 قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

١- حسن صحيح: (ص.ج: ١٣٣٣)، ج٤ (١٦٤٤/٥٢٦/١).

٢- حسن: (ص.ج: ٥٣٤٨).

٣- صحيح: (ص.ج: ٥٣٥١)، خز (٢١٩٢/٣٣١ و ٣/٣٣٢)، بز (١٠٣٤/٤٨٥ و ١/٤٨٦).

٤- م (١/٥٢٥/٧٦٢)، د (١٣٦٥/٢٥٣ و ٤/٢٥٤)، ت (٢/١٤٥/٧٩٠) وانفرد أبو داود: بجملة
 «كأنها طست».

وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴿فاطر﴾.

فمن وفق منكم لها فماذا يقول ؟ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ وَاَفَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: «تَقُولِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»

والعفو لغة: مصدرٌ من قولهم عفا يعفو عفواً، ومعناه الترك والطلب.

واصطلاحاً: قال المناوي: العفو القصدُ لتناول الشيء والتجاوزُ عن الذنب.

وقال الكفوي: العفو كُفُّ الضررِ مع القدرة عليه، وكل من استحقَّ عقوبةً فتركها فهذا التركُ عفو، وقال أيضاً: العفو عن الذنب يصحُّ رجوعه إلى ترك ما يستحقُّه المذنبُ من العقوبة، وإلى مَحْوِ الذنب، وإلى الإعراض عن المؤاخذه كما يُعرض المرءُ عما يسهل على النفس بذله^(١).

والله تعالى هو العفو، أي كثير العفو، قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (٩٩)﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ (٢)﴾ [المجادلة]

قال الغزالي: والعفو صفةٌ من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريبٌ من الغفور لكنه أبلغ منه، فإن الغفران يُنبئ عن الستر، والعفو يُنبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر^(٢).

١- نضرة النعيم (٢٨٩٠-٢٨٩٢/٧).

٢- المقصد الأسنى (١٤٠) كذا في "نضرة النعيم" (٢٨٩١/٧).

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالعفو عن زلات المؤمنين فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٩] وأمر المؤمنين بالعفو عن زلات بعضهم البعض فقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن]

وبين سبحانه أن العفو من صفات المتقين فقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]. ووعد على العفو مغفرة وأجرًا عظيمًا، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يُلَاحِظْ أَسْفَا مَا فَعَلَ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَتَبَعٌ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) [آل عمران].

ولقد كان ﷺ عفوًا غفورًا، يعفو عن المسيئين ويتجاوز عن الظالمين .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَتْنِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرْبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمُوهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَ أَغْرَابِيَّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً. قَالَ أَنَسٌ: فَتَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ

جَبَذَتْهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(١)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْغَضَاءِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صِلَتًا، فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ اللَّهُ! ثَلَاثًا. وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ^(٢)

وهكذا أرى رسول الله ﷺ أصحابه العفو واقعاء عملياً، ثم رغبهم فيه وحثهم عليه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(٣)

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ! فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ! صَلِّ مِنْ قِطْعِكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^(٤)

وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَثَمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»^(٥)

١- خ (١٠/٢٧٥/٥٨٠٩).

٢- متفق عليه: خ (٦/٩٦/٢٩١٠)، م (١٧٨٦/٨٤٣) و (٤/١٧٨٧).

٣- م (٤/٢٠١/٢٥٨٨)، ت (٤/٢٥٤/٢٠٩٨).

٤- صحيح: (س. ص: ٨٩٠ و ٨٩١)، حم (١٩/١٨٤/٣٥).

٥- صحيح: (ص. ت: ٢٣٢٥)، ت (٣/٣٨٥/٢٤٢٧)، ج (٢/١٤١٣/٤٢٢٨).

ولقد آتت هذه التربية العملية والدعوة القولية من رسول الله ﷺ ثمارها في نفوس أصحابه فكان العفو سجيتهم :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ بِرَأْيِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرَهُ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى! وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا ^(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدِ هُزَمِ الْمُشْرِكُونَ فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَخْرَاكُمْ! فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأَخْرَاهُمْ، فَبَصُرَ حَذِيفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ فَقَالَ: أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ! أَبِي. أَبِي! قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ. فَقَالَ حَذِيفَةُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ. قَالَ عُرْوَةُ فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ فِي حَذِيفَةَ بَقِيَّةٌ خَيْرٌ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ^(٢). وفي رواية ابن إسحاق: "فقال حذيفة: قتلتم أبي! قالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله لكم. فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فنصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً ^(٣) وكان ذلك منه رضي الله عنه عملاً بقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢] وقد أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه وترجم عليه بقوله: "باب العفو في الخطأ بعد الموت" ^(٤).

١- متفق عليه: خ (٢٦٦١/٢٦٩-٢٧٢/٥) م (٢٧٧٠/٢١٢٩-٢١٣٧/٤) ت (٣٢٣٠/١٣-١٦/٥)

٢- خ (٣٦١/٤٠٦٥).

٣- خ (٦٨٨٣/٢١١-١٢).

٤- خ (٦٨٨٣/٢١١-١٢).

فليُجاهِدْ كُلُّ مُؤْمِنٍ نَفْسَهُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِخُلُقِ الْعَفْوِ، فَإِنَّ الْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ مِنْ أَسْبَابِ عَفْوِ رَبِّ النَّاسِ، وَمِنْ أَسْبَابِهِ أَيْضاً الدَّعَاءُ وَالرَّجَاءُ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ تَعَالَى مُعَلِّماً عِبَادَهُ الدَّعَاءَ: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» (٢٨٦) ﴿ [البقرة]

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَوْلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» (٢)

وأما الرجاء فهو وسيلة الصالحين لنيل عفو رب العالمين كما قال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي» (٣)

ولذلك أثر عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال في مرض موته:

١- صحيح (ص: ٤٢٣٩)، د: (١٣/٤١٤/٥٠٥٣)، ج: (٢/١٢٧٣/٣٨٧١).

٢- م (١/٣٥٢/٤٨٦)، د: (٣/١٣٢/٨٦٥)، ت: (٣٥٦٢ و ٣٥٦٣/١٨٧/٥)، ن: (٢/٢٢٥)، ج: (٣٨٤١/٢٦٦٢ و ١٢٦٦٣/٢).

٣- صحيح: [ص: ٣٥٤٠]، ت: (٥/٢٠٨/٣٦٠٨).

ولما قسى قلبي وضاق مذاهبي جعلتُ الرجى مني لعفوك سلماً
 تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك كان عفوك أعظماً
 وقال آخر :

إلهي لا تعذبني فإنني مقررٌ بالذي قد كان مني
 فما حيلةٌ إلا رجائي لعفوك يا عفوّ وحسن ظني

الصنف الثالث والثلاثون

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(١).

هكذا تجي الأيام وتروح، وتبدأ وتنتهي، وهكذا انتهى رمضان كما بدأ، وإنَّا لفراقه لمحزونون، ففيه صُمنا وقُمنا، وفيه قرأنا القرآن وجدنا بالمال، وفيه عمَرنا المساجد، وبعده سيقَلُ فيها الراكعُ والساجد، وفيه صَفَّدَتِ الشياطينُ فانطلق بنو آدم إلى الطاعة مُسرعين، وبعده أُطلقت فحبستُ بني آدم عن الطاعة، وقعدتُ لهم الصراطُ المستقيم فصَدَّتْهم عن السبيل، فانتهبوا عباد الله المؤمنين وخذوا حذرَكم، و «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» وإنَّها واللهِ لوَصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ وصايا مَنْ بعثه ربُّه رحمةً للعالمين، ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، فاسمعوا وعوا، واستعينوا بالله على العمل تسعدوا.

سَدِّدُوا أي اقصدُوا بعملكم الصوابَ أي اتَّباعِ السُّنَّةِ^(٢) لِيُقْبَلَ مِنْكُمْ، فإنَّ العمل لا يُقْبَلُ حتى يكون خالصاً وصواباً، كما قال القاضي عياض رحمه الله، والخالص ما ابتَغِيَ به وجهُ الله، والصَّوابُ ما وافق هَدْيَ رسول الله ﷺ، فإذا كان خالصاً وليس بصوابٍ لم يُقْبَل، وإذا كان صواباً وليس خالصاً لم يُقْبَل حتى يكون خالصاً وصواباً^(٣)، «فمتى فقد هذين الشرطين فسد، فمتى فقد الإخلاصَ

١- خ(٦٤٦٤/٢٩٤/١١)، وأخرج مسلم الجملة الأخيرة: (٧٨٣- ٢١٨- ٥٤١/١).

٢- فتح الباري (١١/٢٩٧).

٣- تفسير البغوي (٥/٤١٩).

كان منافقاً وهم الذين يُراعون الناس، ومتى فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين ﴿الَّذِينَ نَقَّضُوا عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ١٦] «(١) قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» [الزمر: ٢٠] وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) [آل عمران] وقال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى» (٢) وقال ﷺ «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (٣)

وَقَارِبُوا "أي اقتصدوا في الأمور كلها واتركوا الغلو فيها، يقال قارب فلان في أمره إذا اقتصد" فاقتصدوا في الأمور كلها واجتنبوا الإفراط والتفريط، فلا تغلوا في العبادة حتى تترهبوا وتتركوا العمل في الدنيا التي استعمركم الله فيها، ولا تغلوا في طلب الدنيا وتعميرها حتى تعطلوا العبادة وتفوتكم الآخرة، ولكن كما قال علماء بني إسرائيل لقارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] وكما قال عمرو بن العاص: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً (٤)، وكما قال النبي ﷺ لحنظلة: ساعة وساعة.

عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَقِيتُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ.

١- تفسير ابن كثير: (١/٥٥٩).

٢- متفق عليه: خ (١/٩/١)، م (١٩٠٧/١٥١٦ و ٣/١٥١٦)، د (٢١٨٦/٢٨٤/٦)، ت (١٦٩٨/٣/١٠٠/)، ج (٢٢٢٧/٤١٣/٢) بن (١/٥٨)،

٣- متفق عليه: خ (٢٦٩٧/٣٠١/٥)، م (١٧١٨/١٣٤٣/٣)، د (٤٥٨٢/٣٥٨/١٢)، ج (١٤/١٧/١).

٤- رواه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/٤٦/١) موقوفاً، كذا في «الضعيفة: ٨» وقال الشيخ: لا أصل له وإن اشتهر على الألسنة.

قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طَرَفِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(١)

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) [الشرح] أي إذا فرغت من عمل الآخرة فانصب في عمل الدنيا، وإذا فرغت من عمل الدنيا فانصب في عمل الآخرة وهكذا، وقد نظم الله تعالى أوقات الصلاة وفرقها على مدار اليوم واللييلة، فقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) [الروم] وجعل أوقات الصلاة تتخلل ساعات العمل لتكون بمثابة التنشيط والتقوية على مواصلة عمل الدنيا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴿ [الجمعة] ولقد أمر ﷺ بالاقتصاد في طلب الدنيا كما أمر بالاقتصاد في العبادة فقال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا وَتَسْتَوْعِبَ أَجْلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٢)

١- م (٢٧٥٠/٢١٠٦ و ٤/٢١٠٧) ت (٢٦٣٣/٧٥ و ٤/٧٦) ج (٤٢٣٩/١٤١٦ و ٢/١٤١٦).

٢- صحيح: [ص. ج: ٢٠٨١]، بغ (٤١١١/٣٠٣ و ١٤/٣٠٤).

وقال ﷺ: إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ^(١)

وقال ﷺ: لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرَبُ مِنَ الْمَوْتِ لَأَذْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يَذْرَكَهُ الْمَوْتُ^(٢)

فلا يجوز لمسلم أن يغلو في طلب الرزق حتى يُفْرِطَ في العبادة ويَضَيِّعَ الصلاة ثم يُلْبِسُ عليه إبليسُ بقوله: العملُ عبادة، كلاً والله، بل إِنَّ العبادة هي سببُ الرزق كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢) ﴿طه﴾

ولقد أخبر الله أنه خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يُفردوه، وعَلِمَ وهو الخالق أن أعظم ما يشغل عن العبادة هو الرزق فأخبر أنه هو الرزاق حتى يعبد الخلق ويسترزقوه، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) [الذاريات] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧) ﴿العنكبوت﴾ وأقسم على أن الرزق مكفولٌ فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢) فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣) [الذاريات] وأخبر أنه لا فرق في الرزق بين مؤمنٍ وكافرٍ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٢٦) ﴿البقرة﴾

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(٣)

١- حسن: (ص.ج: ١٦٢٦)، حب: ١٠٨٧/٢٦٧.

٢- حسن: (ص.ج: ٥١١٦) وقال الشيخ في "الصحيحة" (٩٥٢): رواه أبو نعيم في "الحلية"

(٧/٩٠ و ٢٤٦) وابن عساكر (١/١١/٢).

٣- متفق عليه: خ (١٠/٥١١/٦٠٩٩)، م (٤/٢١٦٠/٢٨٠٤).

فَالْقَصْدَ الْقَصْدَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ فِي الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْلُ
حَتَّى تَمْلُوا :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ
عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَنْ هَذِهِ؟ قُلْتُ فُلَانَةَ، لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذَكَرَ مِنْ صَلَاتِهَا
فَقَالَ: «مَهْ! عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمْلُوا» (١)
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَكَانَ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ
إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَوَّةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ
الدُّلْجَةِ (٢).

ولقد كان ﷺ يُنكر على الغالين ويدعوهم إلى الوسطية التي كان عليها :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ
مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِرِزْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ
تَعَلَّقَتْ بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا ، حُلُوهُ، لِيُصَلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَةً فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ (٣)

وعنه قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ
النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غَفَرَ
لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ
آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعَزَلُ النِّسَاءِ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.
فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي

١- متفق عليه خ: (٣/٣٦/١١٥١)م (٧٨٥-٢٢١-١/٥٤٢)ن (٣/٢١٨)ج (٤/٢٣٨)
٢/١٤١٦-.

٢- خ (١/٩٣/٣٩)، ن (٨/١٢٢ و ١٢١).

٣- متفق عليه خ: (٣/٣٦/١١٥٠)م (٧٨٤ و ٤١/٥٤٢)، د (٤/١٢٩ و ١٩٦/١٢٩٨)ن
(٢١٨ و ٢١٩/٣)، ج (١/٤٣٦/١٣٧١).

لَاخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَاَتَقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي (١).

ولما أمر ﷺ بالاقتصاد ذكر ما يحمل عليه من الاعتقاد فقال: «وَأَعْلَمُوا أَن لَنْ يَدْخُلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» لأنَّ العمل بمجرده ولو تنهى لا يوجب دخول الجنة ولا يكون عوضاً لها، لأنه ولو وقع على الوجه الذي يُحبُّه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميعُ العمل لا يُوازي نعمةً واحدة، فتبقى سائرُ نعمه مقتضيةً لشكرها، وهو لم يوفِّها حقَّ شكرها، فلو عذَّبَه في هذه الحالة لعذَّبَه وهو غيرُ ظالمٍ له، وإذا رَحِمَهُ في هذه الحالة كانت رحمته خيراً له من عمله، كما قال ﷺ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ» (٢)

فالعمل بمجرده لا يوجب الجنة، ولكنَّ الله يُدْخِلُ في رحمته من يشاء من العاملين الذين تغمدهم في الدنيا برحمته ووفقهم لعبادته، فكان العملُ الصالح منهم في الدنيا برحمة الله، وكان دخولهم الجنة في الآخرة أيضاً برحمة الله، ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٨) [الحجرات] يعلم من يستحق الرحمة ومن يستحق العذاب، فيهدي الأول ويعصمه فضلاً، ويضِلُّ الثاني ويخذله عدلاً.

وليس المرادُ التزهيدُ في العمل الصالح والتقليلُ من شأنه، ولكنَّ المرادُ النَّهْيُ عَنِ الْاِتِّكَالِ عَلَى صَالِحِ الْعَمَلِ وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُوفِّقُ فَتَكْثُرُ طَاعَتُهُ فَيُعْجَبُ بِهَا وَيَمُنُّ عَلَى اللَّهِ بِهَا، فَأَعْلَمَ ﷺ أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتَّى لَا يَتَكَلَّ الْعَامِلُ عَلَيْهِ، بَلْ يَعْمَلُ يَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ هُوَ وَحْدَهُ، لِأَنَّ الْعَمَلَ أَوَّلًا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي قَدَّرَ وَهَدَى، وَأَعَانَهُ وَوَفَّقَهُ، فَأَيُّ مَنَّةٍ لِلْعَبْدِ! ﴿يَمُنُّونَ﴾

١- متفق عليه: خ(٥٠٦٣/٩)، م(١٤٠١/٢٠١)، ن(٦٠/٦).

٢- صحيح: (ص: ٣٩٣٢)، د(٤٦٧٤/٤٦٧ و٤٦٧/١٢)، ج(٢٩/٧٧ و٣٠/١).

عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١٧)﴾ [الحجرات] ثم إِنَّ العامل مهما كان عمله لا ينفك عن
 تقصير ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ ثم
 أمر بالاستغفار من التقصير الحاصل فقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ(٢٠)﴾ [المزمل] .

ولقد علم الْمُتَّقُونَ ذلك فباتوا لله سُجَّدًا وقيامًا، فلما كان السَّحَرُ جلسوا
 يستغفرون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(١٥)ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ
 رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(١٦)كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧)
 وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(١٨)﴾ [الذاريات] وقال تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
 وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ(١٧)﴾ [آل عمران]

وقوله ﷺ «وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» فيه دليلٌ على
 أن القليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع، لأنَّ القليل إذا دام كثر، ولذلك قال ﷺ :
 «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ»^(١) أي كي تثبت عليه وتصل إلى
 النهاية، فإنَّ الذي يدخل بشدةٍ قد يفتر ويملُّ وينقطع فلا يصل .

وما أحوج المصلِّين الذين صلُّوا في رمضان وحافظوا على الجماعة
 وأقاموا الخمسَ صلواتٍ في أوقاتها، ما أحوجهم إلى هذه الوصية! وما أحوجهم
 إلى الدوام على هذه المحافظة، وإقامة الصلاة في أوقاتها، فإنَّ الله تعالى قد مدح
 ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ(٢٣)﴾ [المعارج] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ(٩)﴾ [المؤمنون] وذمَّ الذين يُضَيِّعُونَ الصلاة ولا يداومون عليها
 وتوعدَّهم، فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

١- حسن (ص.ج: ٢٢٤٢)، وقال الشيخ في "الضعيفة" (٢٤٨٠): أخرجه: هق(١٩/٣) وفي "الشعب"

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) ﴿ [مريم] وليس المرادُ بإضاعتها تركها بالكلية، وإنما المرادُ عدمُ المحافظة عليها وعدمُ الدوام عليها، المرادُ السَّهْوُ عن بعض الصلوات حتى يخرج الوقت، وربما قضاها وربما لم يقضها، كما قال تعالى: ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ﴾ [الماعون] فسمَّاهم مصليين، ولو كانوا لا يسجدون ما سمَّاهم مصليين، فهم يصلون ولكن لا يداومون على الصلاة .

فاعلم أيها المسلم أنَّ الله فرض عليك خمس صلوات في اليوم واللييلة، فحافظ عليها وداوم ، واعلم أنَّ ما يكون منها بالليل لا يُقبل بالنهار، وما يكون منها بالنهار لا يقبل بالليل ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣) ﴾ [النساء] .

وإذا وُقِّتَ للمحافظة على المفروضة فاعلم أنَّ من الخير أيضاً أن تداوم على ما وُقِّتَ له من نوافل الصلاة في رمضان، فإن كنت قمت رمضان فاعلم أنه يُستحبُّ لك أن تداوم عليه، فإن الله يحب العمل الدائم، فلا تحرم نفسك من القيام بعد رمضان، فإنَّ النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمر: « لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ » (١)

واعلم أنَّ النبي ﷺ كان يُحافظ على قيام الليل طول السنة : وَ : « مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً » (٢) ولكنه نقص منها: « وَكَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً » (٣) من أجل الدوام على العمل.

١- متفق عليه: خ (١١٥٢/٣)، م (١١٥٩-١٨٥-٢/٨١٤)، ن (٣/٢٥٣)، ج (١٣٣١/١٤٢٢/١).

٢- متفق عليه: خ (١١٤٧/٣/٣٣)، م (١/٥٠٩/٧٣٨)، د (٤/٢١٨/١٣٢٧)، ت (٤/٢٧٤/٤٣٧).

٣- م (١٤٠-٧٤٦-١/٥١٥).

وكذلك يُستحبُّ لك أن تُحافظ على صلاة الضُّحى التي كنت تصليها في رمضان فإنَّ النبي ﷺ كان إذا عمل عملاً أثبتته، حتى أنه «قضى ركعتي الظهر البعدية بعد العصر يوماً فصار كلَّ يومٍ يصلي ركعتين بعد العصر»^(١)، لأنه القائل «وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» .

وكذلك يُستحبُّ لك أن تداوم على الصيام بعد رمضان فقد قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بَطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا. فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٢)

ودوام الصيام يكون بالمحافظة على صيام الأيام التي ندب النبي ﷺ إلى صيامها .

ومنها ستة من شوال: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٣)

ومنها صيام عشر ذي الحجة: عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ»^(٤)

ومنها صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سئلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ: «يَكْفُرُ السَّنَةَ

١- متفق عليه :خ(١٢٣٣/١٠٤/٣)،م(٨٣٤/٧١/٥٧٢)،د(١٢٥٩/١٥٠/١٥١/٤)،
ن(٢٨١ و ٢٨٢/١).

٢- حسن: (ص.ت: ١٩٨٤)،ت(٣/٢٣٨/٢٠٥٠).

٣- م(١١٦٤/٨٢٢/٢)،ت(٧٥٦/٢٩/١٣٠)،ج(١٧١٦/٥٤٧/١).

٤- صحيح: [ص.د: ٢١٢٩]،د(٢٤٢٠/١٠٢/٧)،ن(٤/٢٢٠).

الْمَاضِيَةِ وَالْبَاقِيَةِ». وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ»^(١)

ومنها الإكثار من الصيام في شهر الله المحرم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ»^(٢) ومنها صوم يوم الاثنين والخميس:

عَنْ مَوْلَى أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ أَسَامَةَ إِلَى وَادِي الْقَرَى فِي طَلَبِ مَالٍ لَهُ فَكَانَ يَصُومُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: لِمَ تَصُومُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ؟ فَقَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنْ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُغَرِّضُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ»^(٣)

فمن وفقه الله للمحافظة على هذه الأيام كان خيراً له، ومن عجز فلا يعجز عن صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو: «صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرُ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ»^(٤) فمن صام من كل شهر ثلاثة أيام فكنما صام الشهر مع رمضان، فكنما صام الدهر كله، ويكون قد أدام الصيام. ويُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَيَّامُ الْبَيضَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ: وَهِيَ الثَّلَاثُ عَشَرَ، وَالرَّابِعُ عَشَرَ، وَالْخَامِسُ عَشَرَ:

١- م (٢/٨١٨/١١٦٢).

٢- م (٢/٨٢١/١١٦٣) د (٧/٨٢/٢٤١٢) ن (٣/٢٠٦) ت (١/٢٧٤/٤٣٦).

٣- صحيح: [ص: د. ٢١٢٨] د (٧/١٠١ و ٢٤١٩).

٤- متفق عليه: خ (٤/٢٢٠/١٩٧٦)، م (٢/٨١٢/١١٥٩)، د (٧/٧٩/٢٤١٠) وليس عنده الجملة الوسطى، ن (٤/٢١١).

عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ» (١)

وكذلك يُسْتَحَبُّ أَنْ يَدَاوِمَ الْمُسْلِمُ بَعْدَ رَمَضَانَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَأَقْلُ ذَلِكَ أَنْ يَقْرَأَ جِزَاءً كُلَّ يَوْمٍ فَيَخْتِمَ كُلَّ شَهْرٍ، وَهَذَا مِنَ السَّهُولَةِ بِمَكَانٍ، فَلَا تَحْرِمُ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ رَمَضَانَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ هُمُ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ قُرْبَةٌ مِنْ أَكْثَرِ الْقُرْبِ، وَعِبَادَةٌ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ، يُعْطِي اللَّهُ عَلَيْهَا مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى غَيْرِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ كَثْرَةَ هَذَا الْأَجْرِ بِقَوْلِهِ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا م حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» (٢)

وكذلك يُسْتَحَبُّ لَكَ أَنْ تَحَافِظَ عَلَى الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ كَمَا كُنْتَ جَوَادًّا كَرِيمًا فِي رَمَضَانَ، لَا تَحْرِمُ نَفْسَكَ مِنَ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ، وَلَا تَحْرِمُ نَفْسَكَ مِنَ إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَلَوْ بِالْيَسِيرِ، لَتَكُونَ أَعْمَالُكَ دِيمَةً «فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» ، فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ مِنْ أَحِبَّابِ اللَّهِ ، وَدَخَلْتَ فِي عَمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) ﴿فَتَكُونُ مَعَهُمْ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ (٣٥) [المعارج]. واحذر كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ تَجْتَالِكَ الشَّيَاطِينُ وَتُبْعِدَكَ عَنِ الْمَسَاجِدِ، وَتُقْعِدَكَ عَنِ الْخَيْرِ وَتَوُزُّكَ عَلَى الشَّرِّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ وَاتِّبَاعَهُ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥) [ص] وَقَدْ حَذَّرَكَ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَبَيَّنَّ لَكَ عِدَوَاتِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦) [فاطر]

١- حسن صحيح: [ص.ت: ٧٦١]، ت(٧٥٨/٣٠ و ١٣١/٢)، ن(٤/٢٢٢).

٢- صحيح: [ص.ت: ٢٩١٠]، ت(٣٠٧٥/٤٨ و ٢٤٨/٤).

فاحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك مَلٌّ أو فتورٌ فقل
 عسى أن يكون قد اقترب الأجل، وعند الصباح يُحمد السرى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
 كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ
 فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
 بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ [الحاقة] .

الصنف الرابع والثلاثون

أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا أَحَدٌ، إِذْ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(١)

«إِنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ صِفَةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ أَعْمَالِ الصَّادِقِينَ، وَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ شَطْرُ الدِّينِ، وَثَمَرَةُ مُجَاهَدَةِ الْمُتَّقِينَ، وَرِيَاضُ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَالْأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ هِيَ السُّمُومُ الْقَاتِلَةُ، وَالْمَهْلَكَاتُ الدَّامِغَةُ، وَالْمَخَازِي الْفَاضِحَةُ، وَالرَّذَائِلُ الْوَاضِحَةُ، وَالْخَبَائِثُ الْمُبْعِدَةُ عَنْ جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمَنْخَرِطَةُ بِصَاحِبِهَا فِي سَلَكِ الشَّيَاطِينِ وَهِيَ الْأَبْوَابُ الْمُنْفَتِحَةُ إِلَى نَارِ اللَّهِ الْمَوْقَدَةِ، الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ، كَمَا أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ هِيَ الْأَبْوَابُ الْمَفْتُوحَةُ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَانِ وَجِوَارِ الرَّحْمَنِ»^(٢).

وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف حسن الخلق، فقال عليّ: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال. وقال الحسن: حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال، وقال أيضاً: حسن الخلق: بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وقال أحمد: «حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد»^(٣)

١- صحيح (ص.ج: ١٧٧)، حب (٤٧٥/١٩٢٤)، ك (٤/٤٠٠).

٢- إحياء علوم الدين (٣/٤٩).

٣- نضرة النعيم (٥/١٥٨٤).

قال الغزالي: «وهذه كلها ثمراتُ حُسْنِ الخُلُقِ لا حقيقتُهُ، وحقيقَتُهُ أَنَّ الخُلُقَ والخُلُقَ عبارتَانِ مستعملتانِ معاً، يُقال: فلانٌ حَسَنُ الخُلُقِ والخُلُقِ، أي حَسَنُ الظاهرِ والباطنِ، فيُرادُ بالخُلُقِ الصورةُ الظاهرةُ، والخُلُقِ الصورةُ الباطنةُ، فالخُلُقُ عبارةٌ عن هَيْئَةٍ في النفسِ راسخةٍ، عنها تصدرُ الأفعالُ بسهولةٍ ويُسرٍ من غيرِ حاجةٍ إلى فكرٍ ورويةٍ، فإن كانتِ الهَيْئَةُ بحيثُ يصدرُ عنها الأفعالُ الجميلةُ المحمودةُ عقلاً وشرعاً سُمِّيَتْ تلكِ الهَيْئَةُ خُلُقاً حَسَناً، وإن كان الصادرُ عنها الأفعالُ القبيحةُ سُمِّيَتْ خُلُقاً سَيِّئاً»^(١).

والأخلاقُ قسمان: جبليَّةٌ ومكتسبةٌ، فالجبليَّةُ ما فطر الله الإنسانَ عليها، والمكتسبةُ ما يتخلَّقُ به ويُجاهدُ نفسه على الاتِّصافِ به قال ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعْلَمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ»^(٢) وقال لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٣).

ولقد كان في العرب أخلاقٌ صالحةٌ وأخرى فاسدة، فبعث الله النبي ﷺ لِيُتِمَّمَ الصَّالِحَ وَيُصْلِحَ الْفَاسِدَ، كما قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٤) والناظرُ في العباداتِ كُلِّها يراها تعملُ مجتمعةٌ على تحقيقِ هذه الغاية قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي

١- إحياء علوم الدين (٣/٥٣).

٢- حسن (س.ص: ٣٤٢)، وقال الشيخ: أخرجه الخطيب في "تاريخه" (٩/١٢٧).

٣- صحيح (ص.د: ٤٣٥٤)، د(٣٥٠٣/١٣٦ و١٤/١٤).

٤- حسن : [س.ص: ٤٥] وقال الشيخ: رواه: خد(٢٧٣) وابن سعد في الطبقات (١/١٩٢) ، ك (٦١٣/٢)، حم(٢/٣١٨) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١/٢٦٧/٦).

أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) [المعارج] وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ۚ ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) ﴾ [البقرة]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ » (١)

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ بَأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » (٢)

وقال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧] وقال ﷺ: « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (٣).

وهذه النصوص تدلُّ على أنَّ صلاح الأخلاق عنوانُ صلاح العبادات، وفساد الأخلاق دليلُ فساد العبادات، ولذلك « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا تَذْكُرْ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا! قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَا تَذْكُرْ مِنْ قَلَّةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَأَنَّهَا تَتَصَدَّقُ بِالْأَنْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا! قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ » (٤)

وقال ﷺ: « إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ » (٥)

١- متفق عليه: خ (٤/١١٨/١٩٠٤)، م (٢/٨٠٧/١١٥١) - ١٦٣.

٢- خ (٤/١١٦/١٩٠٣)، د (٦/٤٨٨/٢٣٤٥)، ت (٢/١٠٥/٧٠٢)، ج (٢/٥٣٩/١٦٨٩).

٣- متفق عليه: خ (٣/٣٨٢/١٥٢١)، م (٩/١٣٤٩/٩٨٣).

٤- صحيح: [ص: خذ: ٨٨]، م (١٩/٢١٩/٣٤)، ح (٥٠٣/٢٠٥٤)، ك (٤/١٦٦).

٥- حسن: [س. ص: ٩٠٦] وقال الشيخ: أخرجه: طب (٢/٢٠٩/٣) وابن عساكر « التاريخ »

(٢/١/١٨)

ولقد كان ﷺ المثل الأعلى والأسوة الحسنة في حُسن الخلق، وشهد الله له بذلك وكفى بالله شهيداً قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) [الْقَلَم] فأرى رسول الله ﷺ أصحابه حُسن الخلق واقعاً عملياً، تمثل به ﷺ في كل المواقف وفي جميع الأوقات، فكان لا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر، وكان يصل مَنْ قطعه، ويعفو عن ظلمه، ويحسن إلى مَنْ أساء إليه، ويحلم على مَنْ جهل عليه، ويتواضع لمن دونه، وكان يكون في مهنة أهله، وكان يقضي حاجة المحتاج ويمشي مع ذي الحق حتى يثبت له حقه، وكان يُقبل الصَّبيان ويُداعبهم ويحملهم، وكان يُمازح أصحابه، وكان يُسلم على الصَّبيان إذا مرَّ عليهم، وسيرته ﷺ مليئة بالشواهد على ذلك، ولولا خوف الملل والسَّامة لذكرناها.

ثم دعا ﷺ أصحابه إلى صالح الأخلاق، وحثَّهم عليها ورغبهم فيها :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » (١)

وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ غُنَاؤُ كَمَالِ الْإِيمَانِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » (٢)

وَبَيَّنَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يُثَقِّلُ الْمِيزَانَ :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ » (٣)

١- حسن: [ص.ت: ١٩٨٧]، حم (١٩/١٨٥/٣٦)، ت (٣/٢٣٩/٢٠٥٣).

٢- حسن صحيح: [ص.د: ٣٩١٦]، د (١٢/٤٣٩/٤٦٥٧)، ت (٢/٣١٥/١١٧٢).

٣- صحيح: [ص.ت: ٢٠٠٢]، ت (٣/٢٤٥/٢٠٧١)، د (١٣/١٥٥/٤٧٧٨).

وَبَيَّنَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْجَنَّةِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» (١)

وَبَيَّنَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يَرْفَعُ دَرَجَةَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» (٢)

وَبَيَّنَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يُدْنِي صَاحِبَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» (٣)

فجَاهِدْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عَلَى تَحْسِينِ أَخْلَاقِكَ، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ وَأَحْصِ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا فَتَخَلَّقْ بِهَا تَكُنْ حَسَنَ الْخُلُقِ، فَقَدْ سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» (٤).

وَمِنَ الْآيَاتِ الْجَامِعَةِ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩) [الأعراف] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) [النحل] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)

١- حسن الإسناد: [ص.ت: ٢٠٠٤، ت(٢٠٧٢/٢٤٥/٣)].

٢- صحيح: [ص.د: ٤٠١٣، د(٤٧٧٧/١٥٤/١٣)].

٣- صحيح: [ص.ت: ٢٠١٨، ت(٢٠٨٧/٢٤٩، و٢٥٠/٣)].

٤- م(٧٤٦/٥١٢-٥١٤/١)، د(١٣٢٨/٢١٩-٢٢٢/٤)، ن(١٩٩-٢٠١/٣).

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) ﴿[المعارج] وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٢) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) رَبَّنَا صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ [الفرقان].

ومن الأحاديث الجامعة لمكارم الأخلاق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (١)

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَذِّ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنْ اتَّمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » (٢)

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « اِضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اِصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اتَّمَنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ » (٣)

وقد جمع بعضُ الصالحين علاماتِ حُسْنِ الخلق فقال: « أن يكون كثيرَ الحياء، قليلَ الأذى، كثيرَ الصلاح، صدوقَ اللسان، قليلَ الكلام كثيرَ العمل، قليلَ الزلل، قليلَ الفضول، برأ، وصولاً، صبوراً، شكوراً، رحيماً، حلماً، رفيقاً، عفيفاً شقيقاً، لا لعاناً، ولا سباً، ولا نماماً ولا مُغتتاباً، ولا عجبلاً ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً، باشاً هاشاً، يُحِبُّ في الله ويُبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله، فهذا هو حُسْنُ الخلق » (٤)

فاعرض نفسك أيها المسلم على هذه النصوص، وانظر ما تجده في نفسك منها وما تفقده، فاحمد الله على ما وجدت، واسأله أن يمنَّ عليك بما فقدت، فإنَّ من أعظم أسباب حُسْنِ الخلقِ الدعاء، فقد كان ﷺ يسأل الله أن يُحَسِّنَ خُلُقَهُ، فيقول « اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خُلُقِي حَسِّنْ خُلُقِي » (٥) « اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا

١- متفق عليه: خ (١٣/٥٦ و ١/٥٧)، م (١/٦٧/٤٥)، ت (٤/٧٦/٢٦٣٤)، ج (١/٢٦/٦٦).

٢- صحيح: [ص. ت: ١٢٦٤]، ت (٢/٣٦٨/١٢٨٢)، د (٩/٤٥٠/٣٥١٨).

٣- حسن: [ص. ج: ١٠٢٩]، حم (١٩/١٩٧/٨٢)، حب (٦٣٢/٢٥٤٧)، ك (٤/٣٥٩).

٤- إحياء علوم الدين: (٣/٧٠).

٥- صحيح: [ص. ج: ١٣١٨]، حم (١٩/٧٦/٩).

أَنْتَ» (١) اللَّهُمَّ أَتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا» (٢).

فإذا رُزِقْتَ حُسْنَ الْخُلُقِ فاعلم أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِحُسْنِ خُلُقِكَ أَهْلُكَ: والداك وأمرأتك، وأولادك وإخوانك وأقاربك، ثم سائر الناس:

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبْرُ؟ قَالَ: «أُمُّكَ. قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ أُمُّكَ. قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ أُمُّكَ. قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَلَا اقْرَبَ» (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَفْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يَرْحَمْ» (٤)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا» (٦)

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (٧)

١- م (١/٥٣٦-٥٣٤/٧٧١) د، (٢/٤٦٧-٤٦٣/٧٤٦) ت، (٣/٤٨١-٤٧٩/١٤٩) و، (٥/١٥٠).

٢- م (٨/٢٦٠)، ن (٤/٢٠٨٨/٢٧٢٢).

٣- حسن: [ص.ت. ١٨٩٧] د، (٣/٢٠٦/١٩٥٩) ت، (١٤/٤٧/٥١١٧).

٤- متفق عليه: خ (١٠/٤٢٦/٥٩٩٧)، م (٤/١٨٠٩ و ٢٣١٨)، ت (٣/٢١٢/١٩٧٦)، د (١٤/١٢٩/٥١٩٦).

٥- م (٤/١٨٠٨/٢٣١٦).

٦- حسن صحيح: [ص.د. ٣٩١٦] د، (١٢/٤٣٩/٤٦٥٧) ت، (٢/٣١٥/١١٧٢).

٧- صحيح: [ص.ت. ٣٨٩٥] ت، (٥/٣٦٩/٣٩٨٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (١)

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةٍ أَهْلُهُ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (٢)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي قَالَتْ فَقُلْتُ مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ فَقَالَ أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي قُلْتُ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ قَالَتْ قُلْتُ أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ» (٣)

فيا معشر المسلمين! حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ مَعَ النَّاسِ عَامَّةً وَمَعَ أَهْلِيكُمْ خَاصَّةً، واعلموا أنه ليس من العقل ولا من المنطق أن يكون الإنسانُ حَسَنَ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ سِوَى الْخُلُقِ مَعَ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِحُسْنِ خُلُقِكُمْ أَهْلُوكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ.

اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلَقَنَا حَسِّنْ أَخْلَاقَنَا. آمِينَ.

١- متفق عليه: خ (٩/٢٥٣/٥١٨٦) م (١٤٦٨-٦٠-١٠٩١/٢).

٢- خ (٢/١٦٢/٦٧٦) ت (٤/٦٦/٢٦٠٧).

٣- متفق عليه: خ (٩/٣٢٥/٥٢٢٨) م (٤/١٨٩٠/٢٤٣٩).

الصنف الخامس والثلاثون

أَهْلُ السَّمَاحَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمَحَ الْبَيْعِ سَمَحَ الشَّرَاءِ سَمَحَ الْقَضَاءِ»^(١).

السَّمَاحَةُ لُغَةً: مصدرُ سَمَحَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً، ومعناها السَّلَاسَةُ والسُّهُولَةُ .

واصطلاحاً: التَّسامُحُ مع الناس في المعاملات المختلفة، بتيسير الأمور والمُلاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر^(٢)

إِنَّ الإسلام دينُ اليسر والسماحة، وكلُّ شرائعه قائمةٌ على هذا الأساس :
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقد بيَّنَّا ذلك بياناً شافياً في حديثنا عن الرُّخص .

ومن سماحة الإسلام نهيةٌ عن الإكراه على قبوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١) [يونس] .

ولم تقفْ سماحةُ الإسلام عند هذا الحدِّ بل أمر الإسلام باحترام الكافرين المُسلمين وصيانة دِمَائِهِم وأموالِهِم:

١- صحيح: (ص: ١٣١٩، ت: ١٣٣٤)، (٢/٣٩٠).

٢- نضرة النعيم (٢٢٨٧ و ٢٢٨٨/٦).

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَتْبَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ آبَائِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مِعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَبِيبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مِعَاهِدًا لَمْ يَرْحَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تَوَجَّدَ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» (٢)

وأعظم من ذلك سماحة أن الإسلام أذن في برِّ الكافر المُسلم والإحسان إليه، ولا سيما ذوي القربى منهم، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) [المتحنة]

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿[لقمان]

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ» (٣)

وفي هذا الحديث يدعو النبي ﷺ المسلمين إلى السماحة في المعاملة بَيْنَا وشراء واقتضاء وقضاء، وجعل ذلك من موجبات محبة الله عزَّ وجلَّ للعبد، وإذا أحبَّ الله عبداً لم يُعَذِّبْهُ، ولذلك روى البخاريُّ هذا الحديث بلفظ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى» (٤)

١ - صحيح: (ص: ٢٦٢٦)، د (٨/٣٠٤/٣٠٣٦).

٢ - خ (٦/٢٦٩/٣١٦٦)، ن (٨/٢٥).

٣ - متفق عليه: خ (٥/٢٣٣/٢٦٢٠)، م (٢/٦٩٦/١٠٠٣)، د (٥/٨٦٠٥/١٦٥٢).

٤ - خ (٤/٣٠٦/٢٠٧٦).

«وَالسَّمَاةُ فِي الْبَيْعِ: أَلَا يَكُونُ الْبَائِعُ شَحِيحاً بِسَلْعَتِهِ، مُسْتَقْصِياً فِي ثَمَنِهَا، مُغَالِياً فِي الرِّبْحِ مِنْهَا، مُكْتَرِراً فِي الْمُسَاوَمَةِ فِيهَا، بَلْ يَكُونُ كَرِيمَ النَّفْسِ فِيهَا، رَاضِياً بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّبْحِ، مُقْلاً مِنَ الْكَلَامِ.

وَالسَّمَاةُ فِي الشِّرَاءِ: أَنْ يَكُونَ الْمُشْتَرِي سَهْلاً فِي كَيْاسَةِ، لَا يَدَقُّ فِي الْقَلِيلِ خُصُوصاً إِذَا كَانَتْ السَّلْعَةُ شَيْئاً هَيئاً، وَلَا يُسْئِمُ الْبَائِعَ فِي الْأَخْذِ وَالرَّدِّ، وَتَعْطِيلِهِ عَنِ الْمُشْتَرِينَ الْآخَرِينَ، وَلَا يُكْثِرُ مِنَ التَّقْلِيلِ فِي الْبُضَاعَةِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَهَا وَوَقَفَ عَلَى حَقِيقَتِهَا.

وَالسَّمَاةُ فِي الْاِقْتِضَاءِ: أَنْ يَطْلُبَ حَقَّهُ أَوْ دَيْنَهُ فِي هَوَادَةِ بِلَا عُنْفٍ، وَفِي لَيْنٍ بِلَا شِدَّةٍ، وَيُرَاعِي حَالَ الْمَدِينِ، فَإِنْ كَانَ مَعْسِراً أَنْظَرَهُ، بَلْ إِنْ كَانَتْ حَالَتُهُ لَا تَسْمَحُ بِالسَّدَادِ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِحَقِّهِ أَوْ بَعْضِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠) [البقرة] وَأَلَا يُطَالِبُ الْمَدِينَ عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ النَّاسِ وَمَسْمَعٍ، خُصُوصاً إِذَا كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ بِالذَّيْنِ أَوْ يَتَأَذَى الْمَدِينُ بِالْجَهْرِ، وَأَلَا يُلِحَّ فِي الطَّلَبِ أَوْ يُطَالِبُ فِي أَوْقَاتٍ غَيْرِ مَنَاسِبَةٍ مَا دَامَ حَرِيصاً عَلَى الْقَضَاءِ، وَأَلَا يَرْفَعُ أَمْرَهُ لِلْقَضَاءِ وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلدَّفْعِ وَإِنْ تَأَخَّرَ: عَنْ ابْنِ عُمرَ وَعَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ طَالَبَ حَقًّا فَلْيُطْلَبْهُ فِي عَقَافٍ وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ» (١)

وَأَمَّا السَّمَاةُ فِي الْقَضَاءِ: فَأَنْ يَرُدَّ الْحَقَّ لِصَاحِبِهِ فِي الْمَوْعَدِ الْمَضْرُوبِ، وَلَا يَكْلِفُهُ عَنَاءَ الْمَطَالَبَةِ أَوْ الْمَقَاضَاةِ، ثُمَّ يَشْفَعُ ذَلِكَ بِالشُّكْرِ وَالِدَعَاءِ أَوْ الْهَدِيَّةِ إِنْ كَانَ مُسْتَطِيعاً، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْطَوِي تَحْتَ الْمَسَامَحَةِ (٢)، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَوَصَّى رَسُولُهُ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ

١- صحيح (ص. ج: ١٩٦٥)، ج: ٢٤٢١/٢٨٠٩.

٢- الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي (ص ٤٤ و ٤٥).

النَّكَاحَ وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) [البقرة] وقال تعالى: ﴿فَمَنْ غَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾ [البقرة]

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ»^(١): أَيِ سَهْلٍ يُسَهَّلَ لَكَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنَ سَهْلٍ»^(٢)

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا الْجَنَّةَ»^(٣)

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهَ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفِسْ عَنْ مُغْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»^(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُغْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٥)

١- صحيح: (ص.ج: ٩٩٣)، وقال الشيخ في "الصحيحة" (١٤٥٦): رواه أحمد (٢٤٨/١) ومحمد

بن سليمان الربيعي في "جزء من حديثه" (٢/٢١٢).

٢- صحيح: (ص.ت: ٢٤٨٨)، ت (٤/٦٦/٢٦٠٦).

٣- حسن: (ص.ن: ٤٧١٠)، ن (٣١٨ و ٣١٩/٧)، ج (٢٢٠٢ و ٢٢٠٣/٧).

٤- م (٣/١١٩٦/١٥٦٣).

٥- متفق عليه: خ (٢٠٧٨ و ٣٠٨ و ٣٠٩/٤)، م (٣/١١٩٦/١٥٦٢).

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْهُ حِينَ غَزَا حُنَيْنًا ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا قَدِمَ قَضَاهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ» (١)

ولقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في السماحة :

عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خِيَارًا رِبَاعِيًّا ! فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً» (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ بَعِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطُوهُ، فَقَالُوا: مَا نَجِدُ إِلَّا سَنًا أَفْضَلَ مِنْ سَنَةٍ! فَقَالَ: أَعْطُوهُ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قَضَاءً» (٣)

وَعَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدْعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. قَالُوا: لَا نَقْرُ لَكَ بِهِذَا، لَوْ نَعَلِمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ شَيْئًا، وَلَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ

١- حسن (ص.ج: ١٩٦٨)، ج: ٢٤٢٤/٢/٨٠٩، ن: (٧/٣١٤).

٢- م (٣/١٢٢٤/١٦٠٠)، ت (٢/٣٩٠/١٣٣٣)، د (٩/١٩٦/٣٣٣٠)، ج (٢٠/٧٦٧/٢٢٨٥)، ن (٧/٦٥).

٣- متفق عليه: خ (٥/٥٦/٢٣٩٠)، م (٣/١٢٢٥/١٦٠١)، ت (٢/٣٩٠ و ١٣٣١/٣٨٩)، ن (٧/٢٩١)، ج (٢/٨٠٩/٢٤٢٣).

اللَّهُ عَنْهُ: امْنَحْ رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ فَكَتَبَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ السَّلَاحَ إِلَّا السَّيْفَ فِي الْقِرَابِ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبَعَهُ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا. فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الْأَجَلَ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ»^(١)

وهكذا كان النبي ﷺ سهلاً سمحاً، لطيفاً كريم الشَّمائل، فرحم الله رجلاً اقتدى به ﷺ وتخلَّق بأخلاقه فكان حبيبه وجليسه يوم القيامة، كما قال ﷺ: «إِنْ مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٢)

وللسَّماحة مظاهرٌ تدلُّ عليها^(٣)، منها:

طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر.

مبادرة الناس بالتَّحِيَّة والسلام والمصافحة وحسن المُحادثة.

حُسْنُ المُصاحبة والمُعاشرة والتَّغاضي عن الهفوات.

الرِّضَا بالقضاء والقدر والتَّسليم له، فذو النَّفْسِ السَّمَّحة دائماً راضٍ وقانع، إِنْ أُعْطِيَ شكر، وإِنْ مُنِعَ صبر، يؤمن دائماً أَنَّ اختيَارَ اللَّهِ له خيرٌ من اختيَارِهِ، فهو منقادٌ دائماً لِلَّهِ، راضٍ دائماً بقضائه، صابرٌ على بلائه، يترقَّبُ المُستقبل بتفاؤلٍ وأمل، كما يستقبل الواقع بانسراحٍ لما يُحب وإغضاءٍ عما يكره، فهو دائماً قَرِيرُ الْعَيْنِ، سَعِيدُ النَّفْسِ، مطمئن القلب، منشرح الصدر .

١- متفق عليه: خ(٤٢٥١/٤٩٩/٧)، م(١٧٨٣/١٤٠٩-١٤١١/٣).

٢- صحيح (ص.ت: ٢٠١٨)، ت(٢٠٨٧/٢٤٩ و ٢٥٠/٣).

٣- نضرة النعيم (٦/٢٢٦٨).

ومن الوسائل الناجحة لاكتساب هذا الخلق^(١):

التأمل في الفضائل التي رغب الله بها من يتحلى بهذا الخلق، والفوائد التي يجنيها سمح النفس في العاجل والآجل.

التأمل في المحاذير التي يقع فيها نكد النفس وما يجلبه ذلك من مصائب ومتاعب وخسائر مادية ومعنوية.

الاقتناعُ بالإيمانيُّ بسلطان القضاء والقدر، وأنَّ كلَّ شيءٍ يجري بتقدير الله تعالى ومشيئته، ومشينته تنفذ، فيعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه، فلا يفرح بما أتاه، ولا يحزن على ما فاتته، كما قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢٢) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٢٣) [الحديد] ويكون شعاره دائماً :

يا رب! ما مسني قدر بكره أو رضا إلا اهتديت به إليك طريقاً
أرض القضاء على الرضا مني به إني علمتك في البلاء رفيقاً

الصنف السادس والثلاثون

الصَادِقُونَ

عَنِ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ» (١).

الصَّدَقُ في الحديث مُطَابَقَتُهُ لِلوَاقِعِ وَمُوَافَقَتُهُ الْحَقِيقَةَ، وَهُوَ نَقِيضُ الْكَذِبِ، فَالَّذِي يَقُولُ الْحَقَّ وَيُخْبِرُ بِهِ وَيَشْهَدُ صَادِقُ الْحَدِيثِ، وَالَّذِي يَقُولُ الْبَاطِلَ وَيُخْبِرُ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ وَيَشْهَدُ بِغَيْرِ مَا كَانَ كَاذِبُ الْحَدِيثِ.

وَالصَّدَقُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] فَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ دَائِمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤) [ص] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سبا: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧) [النساء] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (١٢٢) [النساء].

وَالصَّدَقُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ عَالِ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) [الحجر].

وَهُوَ أَيْضًا مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥٤) [مريم] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٥٦) [مريم]. وَقَالَ

تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

والصِّدْقُ في الحديث من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) [الحجرات]. وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) [التوبة]، وأمرهم بالصدق في الحديث حتى فيما يتعلق بالأعداء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]

ونهاهم عن الكذب، فقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣٠) [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء] عن قتادة قال: لا تقل سمعتُ وأنت لم تسمع، ولا تقل رأيتُ وأنت لم تر، فإنَّ الله سائلُك عن ذلك يومَ القيامة (١).

ونفرَّ سبحانه المؤمنين من الكذب فأخبرهم أنَّ الكذب من صفات الكافرين والمنافقين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٠٥) [النحل] وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٣) [المائدة] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ^(٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ^(٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ^(١٠) ﴿البقرة﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ^(١١)﴾
[المنافقون] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّمَعْتُمْ خَانَ»^(١)

فعلى المؤمنين أن يعظموا الصدقَ ويتحرّوه في حديثهم كله، وأعظمُ حديثٍ يجب على المرء أن يصدق فيه حديثُ الرجلِ عن حاله مع الله ورسوله، فإذا قال العبدُ: لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله، يجب أن يكون صادقاً، وإلا كان منافقاً، وإذا قال: رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، يجب أن يكون صادقاً، وإلا كان منافقاً، وإذا قام في الصلاة فاستفتحها بقوله: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢) يجب أن يكون واعياً لما يقول، فاهماً له قاصداً، فإن من لم يكن كذلك كان كاذباً، وكذلك إذا قرأ الفاتحة فقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥) يجب أن يكون كذلك وإلا كان كاذباً، وهكذا.

وإذا أخبرتَ الناسَ بأخبارٍ يجب أن تكون صادقاً وإلا كنت كاذباً، وإذا وصفتَ إنساناً بصفةٍ تمدحه بها يجب أن تكون صادقاً وإلا كنت كاذباً، وإذا وصفته بصفةٍ ذمٍّ فإن كنت صادقاً فقد اغتبتَه، وإن كنت كاذباً فقد بهتَه.

١- متفق عليه: خ (١/٨٩/٣٣)، م (١/٧٨/٥٩)، ت (٤/١٣٠/٢٧٦٦)، ن (٨/١١٧).

٢- م (١/٥٣٦-٥٣٤/٧٧١)، ت (١/٥٤٩/٣٤٨١)، د (٥/١٥٠/٧٤٦)، هـ (٢/٦٤٧-٤٦٣/٧٤٦).

فيا عباد الله! «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَّدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا» (١)

وَالصَّدِيقَةُ دَرَجَةٌ فَوْقَ دَرَجَةِ الشَّهَادَةِ وَدُونَ دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) [النساء]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٢)

وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّدَقِ أَنَّهُ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١٩) [المائدة]

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) [الزمر] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

١- متفق عليه :خ(٦٠٩٤/١٠/٥٠٧)، م(٢٦٠٧-١٠٥-٤/٢٠١٣)، د(٤٩٦٨/١٣/٣٣٣)، ت(٢٠٣٨/٢٣٤/٣).

٢- متفق عليه :خ(٢٣٥٦/٦/٣٢٠)، م(٢٨٣١/٤/٢١٧٧).

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴿[الأحزاب] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾ [الليل]

وصدق المتبايعين سبب البركة لهما، كما قال ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» (١)

ومن فضائل الصدق أن الرجل إذا صدقت نيته في حُبِّ فعل الخير كُتِبَ له أجره وإن لم يفعله: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» (٢)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَتَوَيَّ أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَعَلَبَنُهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» (٣)

وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَمَّارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَتُهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمَلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بَنِيَّتُهُ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَتُهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ،

١- متفق عليه: خ (٤/٣٢٨/٢١١٠)، م (٣/١١٦٤/١٥٣٢)، د (٩/٣٣٠/٣٤٤٢)، ت (١٢٦٤/٢/٣٥٩)، ن (٧/٢٤٤).

٢- م (٣/١٥١٧/١٩٠٩)، د (٤/٣٨٣/١٥٠٦)، ت (٣/١٠٣/١٧٠٥)، ن (٦/٣٧٠/٣٦)، ج هـ (٢/٩٣٥/٢٧٩٧).

٣- صحيح: (ص: ن: ١٧٨٦) ن: (٣/٢٥٨)، ج هـ (١٣٤٤/٤٢٦ و ٤٢٧/١).

وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ
فُلَانٍ، فَهُوَ بَيْنَهُمَا سَوَاءٌ»^(١)

وعلى المؤمنين أن يعظموا الكذب ويجتنبوه في حديثهم كله، «فَإِنَّ الْكَذِبَ
يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى
الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢)، والله تعالى يقول: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وأعظم الكذب الكذب على الله بوصفه بما لم يصف به نفسه، أو تسميته
بما لم يُسمَّ به نفسه، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ
يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(١) قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا^(٢) مَا كَثُرِينَ فِيهِ أَبَدًا^(٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ
وَلَدًا^(٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا^(٥)﴾ [الكهف] وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ^(١٥١) وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ^(١٥٢)﴾ [الصافات]

ومن الكذب على الله قولُ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ بغير هدى من الله، قال
تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ^(١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١١٧)﴾ [النحل] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَا إِنَّ اللَّهَ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ^(٥٩) وَمَا ظَنُّ
الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس: ٥٩ و٦٠]

١- صحيح: (ص.ت: ٢٣٢٥): ت(٢٤٢٧/٣/٣٨٥)، ج(٤٢٢٨/٤١٣/٢).

٢- هذا شطر الحديث السابق "عليكم بالصدق" وقد سبق تخريجه.

والكذب على رسول الله كالكذب على الله في الإثم:

عَنِ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَى لَيْسَ كَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١)

والكذب على الرسول ﷺ يكون بنسبة قولٍ إليه لم يقله، فمن قال: قال رسول الله وهو يعلم أن هذا منه محض الكذب فقد كذب على رسول الله ﷺ، ومن يتساهل في رواية الحديث وهو لا يعلم ثبوته فله نصيب من هذا الوعيد.

ويلي ذلك في الإثم الكذب لِيُضَيِّعَ حُقُوقَ النَّاسِ، كأن يحلف المدين أنه ما استدان، ويحلف المؤتمن أنه ما استودع شيئاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَ يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٧) [آل عمران].

عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ، قَالَ فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِي نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلْ لَكَ بَيَّةٌ؟ فَقُلْتُ لَا، قَالَ فِيمِئْتَهُ، قُلْتُ إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ، فَنَزَلَتْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ» (٢)

١- متفق عليه خ (١٢٩١/١٦٠/٣) م (١/١٠/٤).

٢- متفق عليه خ (١١/٥٥٨/٦٦٧٦) م (١/١٢٣/٢٢/١٣٨)، د (٩/٦٨ و ٦٧/٣٢٢٧).

ت (٢٩٢/٤٠٨٢) ج (٤/٢٩٢٣/٢٧٧٨) مختصراً.

ومن الكذب الكذب للضحك :

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ» (١)

ومن الكذب قول الرجل أنا شبعان، وهو جوعان، أو لا أريده، وهو يريد:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَاوَلَهَا قَدَحَ لَبَنٍ وَقَالَ: نَاوِلِي فَلَانَةً وَفَلَانَةً لِنِسْوَةٍ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: لَا نَسْتَهِيهِ، فَقَالَ ﷺ: «لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا» (٢)

وعن بعض السلف: من الكذب قول الرجل لأخيه: تفضل، وهو لا يريد.

ومن الكذب قول المرأة لولدها تعال أعطيك، وهي لا تريد أن تعطيه :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَانِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ: هَا، تَعَالِ أُعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ» (٣)

ومن الكذب كذب التجار في الأسواق، وادعاء الرجل أنه أعطي في سلعته

كذا وكذا، ولم يساومه أحد عليها:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَتَّانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ» (٤)

١- حسن: (ص. د: ٤١٧٥) د: (٤٩٦٩/٣٣٤/١٣) ت: (٢٤١٧/٣٨٢/٣).

٢- حسن: (آداب الزفاف ص: ٩١ و ٩٢) وقال الشيخ: أخرجه الحميدي (٣٦٧/١٧٩/١) وأحمد (٤٣٨/٦ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٨).

٣- حسن: (ص. د: ٤١٧٦) د: (٤٩٧٠/٣٣٥/١٣).

٤- م (١/١٠٦/١٠٦) د: (٤٠٦٩/٤٤/١١/١٤٥) ت: (١٢٢٩/٣٤٢/٢) ج: (٢٢٠/٧٤٤/٢).

فإياكم معشر التجار والكذب، فإنه «مُنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْبِرَكَةِ» كما قال ﷺ (١)

ومن الكذب الكذب في الشهادة :

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا. قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ. قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ » (٢)

١- متفق عليه: خ (٢٠٨٧/٤/٣١٥) م، (١٦٠٦/٣/١٢٢٨) د، (٣٣١٩/٩/١٨٤) ن، (٧/٢٤٦).

٢- متفق عليه: خ (٢٦٥٤/٥/٢٦١) م، (٨٧/١/٩١) ت، (٢٤٠١/٣/٣٧٥).

الصنف السابع والثلاثون

المُصْلِحُونَ بَيْنَ النَّاسِ

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ أَنْ تُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا أَوْ تَفْسَدُوا » (١) .

حَثَّ اللَّهُ عَلَى الصَّدَقَةِ وَرَغَّبَ فِيهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفَ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد) [وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥)] [الأحزاب] .

وَقَرَنَ سُبْحَانَهُ الْأَمْرَ بِالصَّدَقَةِ بِالْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧) [الحديد]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَرْبِّيْهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرْبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » (٢)

١- حسن : [س.ص: ٢٦٤٤] وقال الشيخ: أخرجه : طب (١/١٩٦).

٢- متفق عليه : خ (٣/٢٧٨/١٤١٠) م (٢/٧٠٢/١٠١٤) ت (٢/٨٦/٦٥٩) ن (٥/٥٧)،

جه (١/٥٩٠/١٨٤٢).

وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]

ولقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ»^(١)، «وَكَانَ ﷺ يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»^(٢)، وربِّي أصحابه على الجود والكرم، حتى إن كان أحدهم ليتصدق بكلِّ ماله، وكان بعض الفقراء يحتطبون فيبيعون ويتصدقون، وكان الذين لا يجدون ما يُنفقون يحزنون على ذلك، فشكوا إلى رسول الله ﷺ يوماً فأخبرهم أنَّ طرقَ الخير كثيرة، وأنَّ اسمَ الصدقة لا ينحصر في نوعٍ من المعروف، ولا ينحصر في صدقة المال.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ! يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ! قَالَ: «أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٍ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيَّاتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»^(٣)

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ. قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَكْهُوفَ. قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ:

١- متفق عليه: خ (١/٣٠/٦)، م (٤/١٨٠٣/٢٣٠٨)، ن (٤/١٢٥).

٢- م (٤/١٨٠٦/٢٣١٢).

٣- م (٢/٦٩٧/١٠٠٦).

يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» (١).

وقال ﷺ لأبي أيوب الأنصاري: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ أَنْ تَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا أَوْ تَفْسَدُوا» :

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (٢) يعني ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب وغيرها ليوقع بينهم العداوة والبغضاء، لأنه عدوهم، والعدو لا يحب لعدوه السلامة والصفاء.

لذلك حذرنا الله منه فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، ونهانا عن كل ما يفضي إلى الخصومة وسدَّ عليه أبوابها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٠) إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَبِهُونَ (٩١) ﴿[المائدة] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢) ﴿[الحجرات] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) ﴿[الحجرات] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَ

١ - متفق عليه: ج (١٤٤٥/٣٠٧ و ٣/٣٠٨)، م (١٠٠٨/٢٦٩٩/٢).

٢ - م (٢١١٢/٢٨١٢/٤)، ت (٢٠٠٢/٢٢١/٣).

كُلَّ حَلَاكِ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم] وتوَعَّدَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَيُقْعَوْنَ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) ﴿[المسد] قَالُوا فِي كَوْنِهَا حَمَّالَةَ الْحَطَبِ: «كَانَتْ تَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ، فَتَوْقَدُ نَارَ الْحَرْبِ» (١)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي فُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَذِّبَانِ، وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى! كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» (٢)

ومع ذلك فإنَّ الشيطان ينالُ من بعض الأحبةِ ويوقع بينهم العداوةَ والبغضاءَ، فيتفرَّقون، ويتهاجرون، فدعاهُمُ اللهُ تعالى إلى إصلاح ذات بينهم بأنفسهم إن استطاعوا، فقال -مثلاً- في حقِّ الزوجين ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (٣٤) ﴿[النساء] وَقَالَ: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] فَإِنْ نَجَحَ الزَّوْجَانِ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمَا وَإِلَّا وَجِبَ تَدْخُلُ الْأَهْلِ وَالْأَقْرَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُتُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٣٥) [النساء].

وأمر سبحانه بإصلاح ذات البين وجعله عنوان الإيمان، فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) ﴿[الأففال] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٠) ﴿[الحجرات]

١- تفسير الطبري (٣٠/٣٣٩).

٢- متفق عليه: خ (١/٣١٧/٢١٦)، م (٢/٢٤٠/٢٤١ و ١/٢٤١)، ت (٧٠/٤٧ و ١/٤٨)، د (٢٠/٤٠-).

١/٤٢، ن (١/٢٨)، ج (١/٢٥/٣٤٧).

وأمر بالإصلاح ونصر المظلوم ولو بقتال الظالم، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩) [الحجرات]

ووعده سبحانه وتعالى من أصلح بين الناس إيماناً واحتساباً أن يؤتيه أجراً عظيماً فقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) [النساء].

ولقد كان ﷺ يُصلح بنفسه بين المتخاصمين :

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّىٰ تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحْ بَيْنَهُمْ» (١)

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ تَقَاضَىٰ ابْنُ أَبِي حَذْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّىٰ سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّىٰ كَشَفَ سَجْفَ حُجْرَتِهِ فَنَادَىٰ: «يَا كَعْبُ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا، وَأَوْمَأْ إِلَيْهِ أَيُّ الشَّطْرِ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: قُمْ فَأَقْضِهِ» (٢)

وَعَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمَا

١- خ (٥/٣٠٠/٢٦٩٣).

٢- متفق عليه : خ (١/٥٥٢ و ٤٥١/٥٥٢)، م (٣/١١٩٢/١٥٥٨)، د (٨/٣٥٧٨ و ٥١٦/٥١٧)،

ن (٨/٢٤٤) ج (٢/٨١١/٢٤٢٩).

فَقَالَ: «أَيْنَ الْمُتَالِي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ» (١).

وكان ﷺ يُرَغِّبُ أَصْحَابَهُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فُسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ» (٢).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ «كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار على أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانتهم بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين» (٣).

وبلغ من حرصه ﷺ على الصِّلَحِ أن رخص في الكذب فيه:

عَنْ أُمِّ كَلْثُومِ بِنْتِ عَقْبَةَ قَالَتْ: «مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُذْبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا أَعُدُّهُ كَاذِبًا الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، يَقُولُ الْقَوْلَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا» (٤).

إنَّ الإسلام هو دينُ المحبَّةِ والمودَّةِ، يُريد لأتباعه أن يعيشوا في سلامٍ مع أنفسهم ومع مَنْ سالمهم مِنْ غيرهم، ولذلك أمر بكلِّ ما يُشيعُ المحبَّةَ والمودَّةَ بينهم، ونهى عن كلِّ ما يوقع العداوةَ والبغضاءَ :

١- متفق عليه: خ(٢٧٠٥/٣٠٧/٥)م،(١٥٥٧/١١٩١ و١١٩٢/٣).

٢- صحيح: [ص: ٤١١: ٤]د(٤٨٩٨/٢٦١/١٣)،ت(٢٦٢٧/٧٣/٤).

٣- إسناده صحيح: [حم. تحقيق أحمد شاكر] (١١/١٢٥/٦٩٠٤).

٤- م(٢٦٠٥/٢٠١١/٤)د،(٤٩٠٠/٢٦٣/١٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١)

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ»^(٢)

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُوْمِنُوا، وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٣)

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(٤)

فَإِنْ حَرَّشَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ وَأَوْقَعَهُمَا فِي الْخُصُومَةِ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُبِيحُ تَأْخِيرَ الصَّلَاحِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ لِإِعْطَاءِ الْفُرْصَةِ لِكُلِّ مِنْهُمَا لَتَهْدَأَ ثَوْرَتُهُ، وَيَسْكُنَ غَضَبُهُ وَيَتْرَكَهُ الشَّيْطَانُ، ثُمَّ لَا يَجُوزُ لِهَمَا بَعْدَ الثَّلَاثَةِ أَنْ يَمْضِيَا فِي الْخُصُومَةِ وَإِلَّا فَهَمَّا مُحْرَمَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ حَتَّى يَصْطَلِحَا

١- متفق عليه: خ(٦٠٦٤/٤٨١/١٠)، م(٢٥٦٣/١٩٨٥/٤) وهذا لفظه .

٢- م(٢٥٦٤/١٩٨٦/٤).

٣- م(٥٤/٧٤/١)، د(٥١٧١/١٠٠/١٤)، ت(٢٨٢٩/١٥٦/٤)، ج(٦٨/٢٦/١).

٤- متفق عليه: خ(٦٠١١/٤٣٨/١٠)، م(٢٥٨٦/١٩٩٩/٤ و٢٠٠٠/٤).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَفِيقَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْذُرُ بِالسَّلَامِ»^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ»^(٢)

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٣)

وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنَ شَعْبَانَ أَطَّلَعَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُعْطِي لِلْكَافِرِينَ، وَيَدْعُ أَهْلَ الْحَقْدِ بِحَقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ»^(٤).

فليُنظر المتخاصمون في أسباب الخصومة وليقضوا عليها، وليبادروا إلى الصُّلْحِ حتى تعمهم رحمة الله، وليؤدِّ المدين ما عليه، وليعفُ صاحبُ الحق عن بعض ماله حتى يصلحوا، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]

اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سُبُلَ السلام. آمين.

١- متفق عليه: خ(٦٠٧٧/٤٩٢/١٠)، م(٢٥٦٠/١٩٨٤/٤)، د(٤٨٩٠/٢٥٦/١٣)، ت(٣/٢١٩/١٩٩٧).

٢- صحيح: [ص: ٤١٠٦، د(٤٨٩٣/٢٥٨/١٣)].

٣- م(٢٥٦٥/١٩٨٧/٤)، د(٤٩٨٥/٢٥٨/١٣)، ت(٢٠٩٢/٢٥١/٣/٢٥٢).

٤- حسن: [ص: ٧٨٣]، وقال الشيخ في [ص: ١٣٦/٣]: أخرجه ابن أبي عاصم (ق ٤٢-٤٣) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (٢/١١٨) وأبو القاسم الأزجي في «حديثه» (١/٦٧) واللالكائي في «السنة» (١٠٠-٩٩/١) وكذا الطبراني كما في «المجمع».

الصنف الثامن والثلاثون

الْمُتَعَبِّدُونَ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤَلِّفُ اللَّهُ بِهَا الْقُلُوبَ» وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» (١)

يقول الله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] يعني أن الله خلق الخلق بقدرته، ثم اجتنبى واصطفى من خلقه ما يشاء بفضله وحكمته، فخلق سبع سموات طباقاً، واختار العلّيا منها فجعلها مقرّاً للملائكة المقربين، واختصّها بالقرب من كرسيه وعرشه، وخلق الجنة واختار منها الفردوس وجعل سقفة عرشه، وخلق الملائكة واختار منهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وخلق آدم واختار من ذريته النبيين، ثم اختار منهم المرسلين، ثم اختار من المرسلين أولي العزم، واختار إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة، ثم اختار من ولد كنانة قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيّد ولد آدم محمداً ﷺ، واختار أمته على سائر الأمم، واختار أصحابه من جملة العالمين، واختار منهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان، واختار لهم من الدّين أكمله، ومن الشرائع أفضلها، ومن الأخلاق أزكاها وأحبّها وأطهرها.

ومن هذا الاختيار اختياره سبحانه من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، فاختار منها مكة، ثم المدينة، ثم بيت المقدس، وخلق الله الأيّام والشهور وفضّل بعضها على بعض، فأفضل أيام السنة يوم النحر، وأفضل أيام الأسبوع يوم

الجمعة، وأفضل الشهور شهر رمضان، وأفضل الليالي ليلة القدر.

والليالي العشر من ذي الحجة أفضل الليالي، وأيامها أفضل الأيام، ولذلك أقسم الله بها تنبيهاً على شرفها وفضلها، فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾ [الفجر] وهي عشر ذي الحجة، (١) أحبها الله تعالى وأحب صالح العمل فيها، وفضله على الجهاد في سبيل الله مع ما للجهاد من عظيم الأجر وكثير الثواب، فالمتعبون لله في هذه الأيام أحب إلى الله من غيرهم، فهلم عباد الله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

[آل عمران: ١٣٣]

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» (٢) هلم عباد الله إلى طاعة الله في أيام يحب الله فيها الطاعة، ويضاعف فيها الأجر والمثوبة: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)﴾ [البقرة] «فإن خير أعمالكم الصلاة» (٣)، كما قال ﷺ: «وهي أحب الأعمال إلى الله:

عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يَدْخُلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ: قُلْتُ بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ. قَالَ مَعْدَانُ، ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ

١- زاد المعاد باختصار وتصرف: (٣٩-٥٦/١).

٢- حسن [س.ص: ١٨٩٠]، طب (١/٢٥٠/٧٢٠).

٣- صحيح [ص.ج: ٢٢٤]، ج (١/٢٧٧) و (١/١٠٢).

لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ»^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرْتِهِ؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرْتِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا»^(٢)

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ»^(٣)

فحافظوا على الصلوات كلها، وكونوا أشدَّ محافظةً على الصلاة الوسطى التي خصَّها الله بالذكر، وهي صلاة العصر :

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَخْزَابِ: «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا»^(٤)

فحافظوا على صلاة العصر في أول وقتها، وإياكم وتأخيرها:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ قَامَ فَفَقَّرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»^(٥)

فلا تؤخروا صلاة العصر، واحذروا فواتها:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الَّذِي تَفَوَّتَهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا

١- م (١/٣٥٣/٤٨٨) ت (١/٢٤٠/٣٨٦) ن (٢/٢٢٨).

٢- متفق عليه: خ (٢/١١/٥٢٨) م (١/٤٦٣ و ٤٦٢/٦٦٧).

٣- م (٢/٢٣٢-١٣-١/٢٠٨) ن (٢/١١٢).

٤- م (١/٤٣٧-٢٠٥-٦٢٧).

٥- م (١/٤٣٤/٦٢٢) د (٢/٨٣/٤٠٩) ت (١/١٠٧/١٦٠).

وَتَرِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» (١) .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ » (٢)

وحافظوا مع صلاة العصر على صلاة الفجر، فقد جمع بينهما النبي ﷺ في الفضل:

عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٣)
عَنْ عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَنْ يَلْجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا - يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ - » (٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَفْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » (٥)

وحافظوا مع الفجر على العشاء في جماعة:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ » (٦)

وحافظوا على السنن الرواتب القبلية والبعديّة :

١- متفق عليه خ: (٢/٣٠/٥٥٢) م: (١/٤٣٥/٦٢٦) د: (١٠/٤١٠ و ٨٤/٢/٨٥) ت: (١١٣/١٧٥).

٢- خ: (٢/٣١/٥٥٣) ن: (١/٢٣٦).

٣- متفق عليه خ: (٢/٥٢/٥٧٤) م: (١/٤٤٠/٦٣٥).

٤- م: (١/٤٤٠/٦٣٤) د: (١/٤٢٤ و ٩٥/٢/٩٦) ن: (١/٢٤١).

٥- متفق عليه خ: (٢/٣٣/٥٥٥) م: (١/٤٣٩/٦٣٢) ن: (١/٢٤١ و ٢٤٠).

٦- م: (١/٤٥٤/٦٥٦) د: (٢/٢٦١/٥٥١) ت: (١/٤٢ و ٤١/٢٢١).

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» (١)

ثم اعلّموا عبادَ الله أنَّ المقصودَ الأعظمَ من الصلاة هو ذِكْرُ الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤١) [طه] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وعاب على المنافقين غفلتهم عن ذكر الله في الصلاة فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) [النساء]

وإذ الأمرُ كذلك ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) [الجمعة].

فعلى المسلم أن يُكثِرَ من ذكر الله في الصلاة وخارج الصلاة، فبذلك أمر الله تعالى فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) [الأحزاب] :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: «سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» (٢)

١- م (٧٢٨/٥٠٢ و ٥٠٣/١)، د (١٢٣٧/١٣٢ و ٤/١٣٢)، ت (٤١٣/٢٥٩ و ١/٢٥٩)،

ن (٣/٢٦١)، ج (١١٤١/١/٣٦١)

٢- م (٢٦٧٦/٢٠٦٢ و ٤/٢٠٦٢).

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» (١)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أَنْبِتُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى قَالَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى» (٢)

فأكثرُوا من ذكر الله، واعلمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَهَلِّلُوا وَكَبِّرُوا وَسَبِّحُوا وَاحْمَدُوا:

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» (٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٤)

واعلمُوا أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ أَصْلُ الذِّكْرِ، بَلْ هِيَ الذِّكْرُ نَفْسُهُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٥) [الحجر] وقال تَعَالَى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) [ص]، وَمَا تَقَرَّبَ أَحَدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ فَ «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ،

١- متفق عليه: خ(٧٤٠٥/٣٨٤/١٣)، م(٢٦٧٥/٢٠٦١/٤)، ت(٣٦٧٣/٢٣٨/٥)، ج(٣٨٢٢/٢/١٢٥٥).

٢- صحيح: [ص.ت: ٣٣٧٧]، ت(٣٤٣٧/١٢٧/٥)، ج(٣٧٩٠/١٢٤٥/٢).

٣- حسن: [ص.ت: ٣٣٨٣]، ت(٣٤٤٣/١٣٠/٥)، ج(٣٨٠٠/١٢٤٩/٢).

٤- صحيح: [ص.ج: ١٧١٤]، حم(٤٧/٢٢٠/١٤)، ك(٥١٢/١).

اَقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا
غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّيْتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تَحَاجَّانِ عَنِ
أَصْحَابَيْهِمَا، اَقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا
تَسْتَطِيعُهَا الْبُطْلَةُ (أَيِ السَّحَرَةُ) «(١)»

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ
حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» «(٢)»

فاقروا القرآن فيه ترفع درجاتكم عند ربكم:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ
وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مِثْلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا» «(٣)»

ومن الأذكار المستحبة الصلاة على النبي ، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب] فأكثرُوا من الصلاة عليه ﷺ :

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً
وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرَفِعَتْ لَهُ
عَشْرُ دَرَجَاتٍ» «(٤)»

ومن الأعمال الصالحة الصدقة: فتصدقوا ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ﴾
[التغابن: ١٦] فَإِنَّ الصَّدَقَةَ طَهْرَةٌ لِلنَّفْسِ، وَتَنْمِيَةٌ لِلْمَالِ قَالَ، تعالى: ﴿خُذْ مِنْ

١- م (١/٥٥٣/٨٠٤).

٢- صحيح: [ص.ت: ٢٩١٠، ت (٤/٢٤٨/٣٠٧٥)].

٣- حسن صحيح: [ص.ت: ٢٩١٤، ت (٤/٢٥٠/٣٠٨١)، د (٤/٣٣٨/١٤٥١)].

٤- صحيح: [ص.ن: ١٢٩٦، ن (٣/٥٠)].

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴿التوبة: ١٠٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨) ﴿الحديد﴾ وَبَيَّنَّ قَدْرَ هَذَا التَّضْعِيفِ فَقَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) ﴿البقرة﴾.

ومن الأعمال الصالحة الصيام :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي» (١)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَرْتِي بِأَمْرِ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ! قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ» (٢)

وصيامُ هذه العشر من السنة:

عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ» (٣)

فمن أعين عليها فليحمد الله، ومن عجز عنها فلا يفوتته يومَ عرفة ،

فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ

١- م(١١٥١-١٦٤-٢/٨٠٧).

٢- صحيح: [ص.ن: ٢٢٢٠]، ن(٤/١٦٥).

٣- صحيح: [ص.د: ٢١٢٩]، د(٢٤٢٠/١٠٢/٧)، ن(٤/٢٢٠).

السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةِ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (١)

فإذا كان العيدُ فبادروا إلى صلاة العيد في الخلاء، ثم ارجعوا فاذبحوا ضحاياكم كما أمركم ربكم فقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (٢) [الكوثر]

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا نَصَلِّي ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا وَمَنْ ذَبَحَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدِمَهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النَّسْكِ فِي شَيْءٍ» (٣)

والأضحية واجبة على القادر عليها لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلًّا» (٤)

عَنْ مِخْنَفِ بْنِ سَلِيمٍ قَالَ: كُنَّا وَقُوفًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَرَفَةَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ عَلَى كُلِّ أَهْلٍ بَيْتٍ فِي كُلِّ عَامٍ أَضْحِيَّةً وَعَتِيرَةً، أَتَذَرُونَ مَا الْعَتِيرَةُ؟ هِيَ الَّتِي يُسَمِّيَهَا النَّاسُ الرَّجَبِيَّةَ» (٥)

وهي ذبيحة كانت تُذبح في شهر رجب، وكانت واجبة ثم نُسخَتْ بقوله ﷺ: «لَا فَرَعٌ وَلَا عَتِيرَةٌ. وَالْفَرَعُ أَوَّلُ النَّتَاجِ كَانُوا يَذْبَحُونَهُ لِطَوَاغِيَتِهِمْ، وَالْعَتِيرَةُ فِي رَجَبٍ» (٥)

وَلَا تَكُونُ الْأَضْحِيَّةُ إِلَّا مِنَ النَّعَمِ، وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾

١- م (١١٦٢/١١٨ و ١١٩/٢).

٢- متفق عليه (٩٦٥/٤٥٣)، م (١٩٦١-٧-١٥٥٣/٣).

٣- حسن [ص. ج. ٢٥٣٢]، ج. ٣١٢٣ (١٠٤٤/٢).

٤- حسن [ص. ج. ٢٥٣٣]، ج. ٣١٢٥ (١٠٤٥/٢)، ت (١٥٥٥/٣٧/٣)، د (٢٧٧١/٤٨١/٧)، ن (١٦٧/٧).

٥- متفق عليه: خ (٥٩٦/٩٧٣)، م (١٩٧٦/١٥٦٤/٣)، د (٢٨١٤ و ٢٨١٥/٣٢/٨)، ت (١٥٤٨/٣٣ و ٣٤/٣)، ن (١٦٧/٧).

[الحج: ٣٤] والشاة الواحدة تُجزئ عن الرجل وأهل بيته، وتجزئ البقرة عن سبعة وكذلك البدنة.

ويُشترط في الأضحية أن تكون مُسنّة، وهي من الغنم ما بلغ سنةً فأكثر، ومن البقر ما بلغ سنتين فأكثر، ومن الإبل ما بلغ خمس سنين فأكثر، ويُشترط فيها السلامة من العيوب:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ لَا تُجْزِئُ فِي الْأَضَاحِيِّ: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي» (١)

وما كان بمنزلة هذه العيوب لا يُجزئ، وما كان دون هذه العيوب أجزأ مع الكراهة .

ويُستحبُّ بعد ذلك الإكثارُ من ذكر الله حتى تنتهي أيّام التشريق، وهي الأيام الثلاثة بعد العيد، ويُستحبُّ التكبير والتهليل دُبْرَ الصلوات المكتوبة من صُبْحِ يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧) [الحج] أي المخلصين في أعمالهم، المخلصين في أضياعهم، المخلصين في صلاتهم وصيامهم وحجهم، المخلصين في كلِّ ما يتقربون به إلى الله عزَّ وجلَّ، بشرُّهم بأنَّ الله قد قبلَ منهم وأثابهم، وسيؤفِّقهم أجورهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴿[فاطر] .

اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ آمِينَ.

١- صحيح: [ص.ج: ٢٥٤٥]، ج٤ (٣١٤٤/٢/١٠٥٠)، د (٢٧٨٥/٥٠٥/٧/٥٠٦)، ت (٣/٢٧/١٥٣٠)، ن (٢/٢١٤/٧).

الصنف التاسع والثلاثون

العالمون

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ»^(١).

إنَّ الإسلامَ هو دينُ العلم، وحسبك دليلاً أنَّ أوَّلَ ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ﴾ وهو أمرٌ بالقراءة التي هي وسيلةُ التَّعلُّم، فأمره بالتَّعلُّم قبل أمره بالإنذار والدَّعوة فالعلمُ أوَّلُ منازل السائرين، وأول مقامات السالكين، " وهذه المنزلةُ إن لم تصحب السَّالِك من أوَّل قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه فسُلوْكُهُ على غير طريق، وهو مقطوعٌ عليه طريقُ الوصول، مسدودٌ عليه سبيلُ الهدى والفلاح، مُغلَّقةٌ عليه أبوابها، لأنَّ العلمَ حياةُ القلوب، ونورُ البصائر، وشفاءُ الصدور وهو أنسُ المستوحشين، ودليلُ المتحيِّرين، وهو الميزانُ الذي تُوزن به الأقوالُ والأعمال والأحوال، وهو الحاكمُ المفرِّقُ بين الشكِّ واليقين، والغَيِّ والرَّشاد، والهُدَى والضلال، به يُعرف اللهُ ويُعبد، ويُذكر ويُوحَّد، ويُحمد ويُمَجَّد، وبه اهتدى إليه السَّالِكُون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون، به تُعرفُ الشرائعُ والأحكام، ويُميَّزُ الحلالُ والحرام، وبه تُوصل الأرحام، وبه تُعرف مرضي الحبيب، وبِمَعْرِفَتِهَا ومُتَابَعَتِهَا يُوصل إليه من قريب" ^(٢).

لذلك أمر الله ورسوله بطلب العلم، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ

١- صحيح: [ص.ج: ٤٠٩٠]، بز (١/٨٥/١٣٩)، طس (٤/٣٧٣/٣٩٦٠)، ك (١/٩٣ و ٩٢).

٢- تهذيب مدارج السالكين (٤٨٣ و ٤٨٤) بتصرف.

لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴿التوبة﴾ وقال ﷺ: **طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ (١).**

”وقد اختلفت عباراتُ النَّاسِ في بيان العلم المفروض، والصَّحِيحُ أن يُقال: هو علمُ مُعاملةِ العبدِ لربِّه، وهو يدخل في باب الاعتقاد والأفعال، وهذا العلمُ المفروضُ ينقسم إلى قسمين:

فرضٌ عَيْنٍ: وهو ما تعيَّنَ وَجُوبُهُ على الشَّخْصِ من توحيدِ الله ومعرفةِ أوامره وحدوده في العبادات والمعاملات التي يحتاج إليها.

وفرضٌ كِفَايَةٌ: وهو كُلُّ علمٍ لا يُستغنى عنه في قوام الدنيا، كالطَّبِّ والحساب وأصول الصناعات كالزراعة والحياسة والحجامة، فلو خلا بلدٌ عَمَّنْ يقوم بهذه العلوم والصناعات أَثَمَ أهلُ البلد جميعاً، وإذا قام بها واحدٌ فكفاهم سقط الإثْمُ عن الباقيين، والتَّعَمُّقُ في مثل هذه العلوم يُعَدُّ فضلةً لأنه يُستغنى عنه “ (٢)

وقد رَغِبَ اللهُ ورسولُهُ في الانشغال بالعلم تعلُّماً وتعليماً، بأساليبٍ مُتَنَوِّعةٍ وعباراتٍ محكمة: فنفى اللهُ تعالى التَّسْوِيَةَ بين العلماء وغيرهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر] وجعل الناس رجلين عالماً، وأعمى وهو الجاهل، فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩].

وجعل العلماء أحياء، والجهلة أمواتاً، فقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ [الأنعام] وقال تعالى:

١- صحيح: [ص:ج: ٣٨٠٨]، طس (١/٣٨/٩).

٢- جامع بيان العلم وفضله (١٠-١/١٢)، وانظر إحياء علوم الدين (١٣-١/١٧).

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) ﴾

[الأنعام]

وأخبر أنه يرفع العالمين فوق عامة المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (١١) ﴾ [المجادلة] وقال تعالى :
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنَّا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)﴾

[يوسف] .

ولمكانة العلماء العالية ودرجاتهم الرفيعة عند الله سبحانه استشهد بهم على التوحيد فقال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ [آل عمران] وأمر رسوله ﷺ أن يستشهد بهم على رسالته فقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣) ﴾ [الرعد] ، وأخبر سبحانه أن الأنبياء السابقين سيستشهدون يوم القيامة بعلماء هذه الأمة على أممهم، فقال تعالى :
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبَّ! فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيَقَالَ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ (١)»

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يكتفي بإيمان العلماء عن إيمان غيرهم فقال: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)﴾ [الإسراء]

ووعده الله سبحانه العلماء أن يؤتيهم أجراً عظيماً فقال: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)﴾ [النساء] وبين هذا الأجر فقال: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة] وقد حصر خشيته في العلماء فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقد حذر الله تعالى الأنبياء من الجهل والجاهلين، فقال لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾ [هود] وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)﴾ [الأنعام] وقال له أيضاً: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾ [الأعراف] فمخالطتهم عار، وصحبتههم شنار، وصحبة العالمين شرف وفخار، ولقد اكتسب الكلب من صحبتهم شرفاً وذكرأ، قال الله تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [كهف: ١٨] وفرق ربنا بين الكلب العالم والكلب الجاهل، فأحل صيد العالم وحرّم صيد الجاهل، فقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾ [المائدة] .

أمّا الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الحث على طلب العلم وبيان فضله

وشرف أهله فهي أكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تُذكر .

عَنْ مَعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» (٢)

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثَتُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ» (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ» (٤)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي

١- متفق عليه: خ (٧١/١٦٤)، م (١٠٣٧/٧١٨/٢)، ج (٢٢٠/٨٠/١).

٢- متفق عليه: خ (٧٣/١٦٥)، م (٨١٦/٥٥٩/١)، ج (٨/٤٢٠٨/١٤٠٧/٢).

٣- صحيح: [ص: ٩٦، د: ٣٠٩٦]، د (٣٦٢٤/٧٢-٧٤/١٠)، ت (٢٨٢٣/١٥٣/٤)، ج (٢٢٣/٨١/١).

٤- حسن: [ص: ٢٣٢٢]، ت (٢٤٢٤/٣٨٤/٣)، ج (٤١١٢/١٣٧٧/٢).

فَوَعَاَهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرَبُّ حَامِلٍ فَفَهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلَّغُوا عَلَيَّ وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٢)

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٤)

والانشغال بطلب العلم أحبُّ إلى الله تعالى من الانشغال بنوافل العبادة: فَلَا نَجِدُ الرَّجُلَ يَدْرُسُ الْعِلْمَ وَيَتَعَلَّمُهُ وَيَحْفَظُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ غَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ وَيَصُومَ، لقوله ﷺ: فضل العلم (أي نافلته الزائدة على الفرض) أحبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وما كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ كان أحبَّ إلى الله، بل إِنَّ الْمُحِبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بَعْدَ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يُحِبُّ إِلَّا مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وعلى هذا اتفقت كلمة الأئمة الأعلام:

عن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّخِيرِ قَالَ: حَظُّ مِنَ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَظِّ مِنَ الْعِبَادَةِ.

وقال الزُّهْرِيُّ: مَا عُبِدَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْفَقْهِ. وقال الثَّوْرِيُّ: مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلُ

١ - صحيح: [ص.ت: ٢٦٥٦]، ت (٤/١٤١/٢٧٩٤)، د (٤/٣٦٤٣/٩٤ و ١٠/٩٥)، ج (١٠/٨٤/٢٣٠).

٢ - خ (٦/٤٩٦/٣٤٦١)، ت (٤/١٤٧/٢٨٠٧).

٣ - خ (٩/٧٤/٥٠٢٧)، د (٤/٣٢٥/١٤٣٩)، ت (٤/٢٤٦/٣٠٧١)، ج (١١/٢١١/٧٦ و ١١/٧٧).

٤ - م (٣/١٢٥٥/١٦٣١)، د (٨/٨٦/٢٨٦٣)، ت (٢/٤١٨/١٣٩٠)، ن (٦/٢٥١).

من طلب العلم إذا صَحَّتِ النِّيَّةُ ، وعن الشَّافعيَّ قال: طلبُ العلم أفضلُ من صلاة النافلة.

وعن وَهْبٍ قال: كنتُ عند مالك بن أنس فجاءت الظهرُ أو العصرُ وأنا أقرأ عليه وأنظر في العلم بين يديه، فجمعتُ كُتُبِي وقمتُ لأركع، فقال لي مالك: «ما هذا؟ قلتُ أقوم للصلاة، قال: إنَّ هذا لعجب! فما الذي قمتَ إليه بأفضل مما كنتَ فيه، إذا صَحَّتِ النِّيَّةُ . وقال ابن عباس تذكُرُ العلم بعض ليلةٍ أحبُّ إليَّ من إحيائها.

وعن إسماعيلَ بن منصورٍ قال: قلتُ لأحمدَ بن حنبلٍ: قوله: تذكُرُ العلم بعض ليلةٍ أحبُّ إليَّ من إحيائها، أيُّ علمٍ أراد؟ قال: هو العلم الذي ينتفع به الناسُ في أمر دينهم. قلتُ: يعني في الوضوء، والصلاة، والصوم، والحج، والطلاق، ونحو ذلك؟ قال: نعم.

وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: أتينا أمَّ الدرداء فتحدَّثنا عندها، فقلنا: أملناك يا أمَّ الدرداء؟ فقالت: ما أملتُموني، لقد طلبتُ العبادةَ في كلِّ شيءٍ، فما وجدتُ شيئاً أشفى لنفسي من مذاكرة العلم .

وإنما كان الانشغال بطلب العلم أفضلَ من الانشغال بنوافل العبادة لأنَّ العلم نفعُهُ متعدّدٌ من العالم إلى الناس ، وأما نفعُ العبادة فملازمُ العابد وحده، ولذلك قال ﷺ: «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»^(١) وقال ﷺ: «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»^(٢)

فيا معشر المسلمين حافظوا على مجالس العلم ولا ترغبوا عنها، فإنها مجالسُ مباركة ، وأهلُها مرحومون:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ

١- صحيح: [ص: ٣٠٩٦، د: ٣٦٢٤/٧٢-١٠/٧٤]، ت(٢٨٢٣/١٥٣/٤)، ج(٢٢٣/٨١/١).

٢- صحيح: [ص: ٢٦٨٥، ت: ٢٨٢٦/١٥٤/٤].

يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١)

ولذلك قال لقمان لابنه: «يا بني! جالس العلماء وزاحمهم برُكبتك، فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء»^(٢).

وقال علي رضي الله عنه:

ما الفخرُ إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاءً
وقدّر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداءً
ففرّ بعلم تعش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

فاحرصوا على العلم ولا تعرضوا عنه، فإن المعرض عن مجالس العلم لغير عذر معرض عن الله :

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: «فَوْقًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحُلُقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٣)

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا طَيِّبًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا. آمين.

١- م (٢٦٩٩/٢٠٧٤/٤)، ج (١/٨٢/٢٢٥).

٢- جامع بيان العلم وفضله (١/١٠٦).

٣- متفق عليه (١/١٥٦/٦٦)، م (١٧٦/٢١٧٣/٤)، ت (٢٨٦٨/١٧١/٤).

الصنف الأربعون

الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ يَذْكُرُونَ اللَّهَ

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (١).

الذِّكْرُ ضِدُّ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالذِّكْرِ وَرَغَّبَ فِيهِ، وَنَهَى عَنِ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ وَحَذَّرَ مِنْهُمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٠٥) [الأعراف] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) [الأحزاب] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩) [الحشر] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) [المنافقون] .

وَجَعَلَ الذِّكْرَ عُنْوَانَ الْإِيمَانِ، وَالنِّسْيَانَ وَالْغَفْلَةَ عُنْوَانَ النِّفَاقِ وَالْكَفَرَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ (٢٩) [الرعد] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٦٧) [التوبة] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلََّا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) [النساء] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ

أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ [المجادلة].
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ
 مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ» (١)
 وَعَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ
 عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَرَةً، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ
 اللَّهِ تَرَةً» (٢)

ولقد استجاب أولوا الأبواب لربهم فأكثرُوا من ذكره بالليل والنهار وعلى
 كل حال حتى قال الله عنهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى
 جُنُوبِهِمْ ﴿آل عمران: ١٩٠ و ١٩١﴾ «فَالذِّكْرُ قُوَّةٌ قُلُوبِهِمْ، وَرَأْسُ أَمْوَالِهِمْ، وَسَبَبُ
 سَعَادَتِهِمْ، وَرِيَاضُ جَنَّتِهِمْ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ لَهُمْ بِرَبِّهِمْ، بِهِ يَسْتَدْفِعُونَ الْآفَاتِ،
 وَيَسْتَكْشِفُونَ الْكُرْبَاتِ، وَتَهْوَنُ عَلَيْهِمْ بِهِ الْمَصِيبَاتِ، وَإِذَا أَظْلَمَ الْبَلَاءُ فَالْيَهُ
 مُلْجَأُهُمْ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ النَّوَازِلُ فَالْيَهُ مَفْزَعُهُمْ» (٣)

وقد علق الله تعالى على الذكر الخير كله:

فَأخْبِرْ أَنَّهُ يَذْكُرُ مَنْ يَذْكُرُهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].
 وَأخْبِرْ أَنَّهُ مَعَ مَنْ يَذْكُرُهُ، فَقَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ
 عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ

١- صحيح: [ص: ٤٠٦٤ د: ٤٨٣٤] د: (١٣/٢٠٢).

٢- حسن صحيح: [ص: ٤٠٦٥ د: ٤٨٣٥] د: (١٣/٢٠٢).

٣- تهذيب مدارج السالكين (٤٦٣).

ذَكَرْتِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(١)

وأخبر أن الذكر سبب الفلاح والنجاح، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) [الأنفال].

ومن فوائد الذكر أنه يطرد الشيطان من البيت :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ»^(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(٣)

ومن فوائده أنه يعصم الإنسان من الشيطان :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ، إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»^(٤)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ كُفِّتَ،

١- متفق عليه: خ(٧٤٠٥/٣٨٤/١٣)، م(٢٦٧٥/٢٠٦١/٤)، ت(٣٦٧٣/٢٣٨/٥)، ج هـ (٢/١٢٥٦ و ٣٨٢٢/٢).

٢- م(٢٠١٨/١٥٩٨/٣)، د(٣٧٤٧/٢٣٩/١٠)، ج هـ(٣٨٨٧/١٢٧٩/٢).

٣- م(٧٨٠/٥٣٩/١)، ت(٣٠٣٧/٢٣٢/٤).

٤- متفق عليه: خ(٦٤٠٣/٢٠١/١١)، م(٢٦٩١/٢٠٧١/٤)، ت(٣٥٣٥/١٧٥/٥)، ج هـ (٢/١٢٤٨ و ٣٧٩٨/٢).

وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ فِي رَوَايَةٍ «فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هَدَى وَكَفَى وَوَقِيَ» (١)

ومن فوائده أنه يزيل الهمَّ والغمَّ من القلب:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» (٢)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا» (٣)

ومن فوائده أنه سببُ تنزيل السَّكِينَةِ، وغشيان الرحمة، وحُفُوفِ الملائكةِ

بحلقات الذكر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَذَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (٤)

١- صحيح: [ص.ت: ٣٤٢٦]، ت(٥/١٥٤/٣٤٨٦).

٢- متفق عليه: خ(١١/١٤٥/٦٣٤٦)، م(٢٠٩٢/٢٧٣٠ و٤/٢٠٩٣)، ت(٥/١٥٩/٣٤٩٦)، ج(٢/١٢٧٨/٣٨٨٣).

٣- صحيح: [صحيح الكلم الطيب: ٧١ و٧٢]، حم(١٤/٢٦٢/١٦٤)، حب(٥٨٩/٢٣٧٣)، ك(١/٥٠٩).

٤- م(٤/٢٠٧٤/٢٦٩٩)، ت(٤/٢٦٥/٤٠١٥)، ج(١/٨٢/٢٢٥).

ومن فوائده أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإزالة الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابَّ نَشَأً فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (١)

ومن فوائده أنه غراس الجنة :

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ! أَقْرَأُ أَمْتُكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٢)

ومن فوائده أنه سبب حياة القلوب:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (٣)

ومن فوائده أنه يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢)﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٣)﴾ [الأحزاب]

١- متفق عليه: خ (٢/١٤٣/٦٦٠)، م (٢/٧١٥/١٠٣١)، ت (٤/٢٥٠٠/٢٤ و ٤/٢٥٠)، ن (٢٢٢ و ٢٢٣/٨)

٢- حسن: [ص: ٣٤٦٢، ت (٥/١٧٣/٣٥٢٩)].

٣- خ (١١/٢٠٨/٦٤٠٧).

ومن فوائده أنه يجعل الدعاء مستجاباً:

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُيَيْدٍ قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَجَلَ هَذَا، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لغيره: «إِذَا صَلَّيْ أَدْعُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالتَّسْبِيحِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدَ بِمَا شَاءَ»^(١)

والخلاصة أن الذكر مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، فعلى المسلمين أن يذكروا الله كما أمرهم ذكراً كثيراً.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والمراد بالذكر الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها، والإكثار منها، فمن حافظ على الأذكار المطلقة والمقيدة كان من الذاكرين الله كثيراً^(٢):

فإذا استيقظ من نومه قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٣). الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(٤)

وإذا دخل الخلاء قال: «بِسْمِ اللَّهِ»^(٥)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(٦) وإذا خرج قال: «عَفْرَانِكَ»^(٧).

وإذا توضأ قال: بِسْمِ اللَّهِ، فإذا فرغ قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ

١- صحيح: [ص.ن: ١٢٨٣]، ن(٣/٤٤) واللفظ له، ت(٥/١٨٠/٣٥٤٦)، د(٤/٣٥٤/١٤٦٨).

٢- خ(١١/١١٣/٦٣١٢)، ت(٥/١٤٦/٣٤٧٧)، د(٥/١٣٩/٥٠٢٨)، ج(١٣/٣٩١/٣٨٨٠)، ه(٢/١٢٧٧/٣٨٨٠).

٣- حسن: [ص.ت: ٣٤٠١]، ت(٥/١٣٩/٣٤٦١).

٤- صحيح: [ص.ت: ٦٠٦]، ت(٢/٥٩/٦٠٣)، ج(١/١٠٩/٢٩٧).

٥- متفق عليه: خ(١/٢٤٢/١٤٢)، م(١/٢٨٣/٣٧٥)، د(١/٢١/٤)، ج(١/١٠٩/٢٩٨)، ت(١/٧/٦) ن(١/٢٠).

٦- صحيح: [ص.د: ١/٢٣]، د(١/٥٢/٣٠)، ت(١/٧/٧)، ج(١/١١٠/٣٠٠).

لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(١)، «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(٢)، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٣)

وإذا خرج من بيته قال: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٤)

وإذا دخل المسجد قال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٥)، «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»^(٦)

وإذا صلى أتى بالأذكار المشروعة دُبُرَ الصلاة، وهي مشهورة. ويحافظ على أذكار الصباح والمساء، ويكثر أثناء النهار من التسبيح والتحميد، والتلهيل والتكبير، والصلاة على النبي وقراءة القرآن، فمن فعل ذلك كان من الذاكرين الله كثيراً.

وقوله : «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» إشارة إلى الحرص على الموت على الإسلام كما وصَّى بذلك ربُّ العالمين سبحانه فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿آل عمران﴾ وهي وصية بالحرص على حسنِ الخاتمة، فإنَّما الأعمالُ بالخواتيم،

١- م (١/٢١٠ و ٢٠٩/٢٣٤).

٢- صحيح: [ص.ت.٥٥]، ت (١/٣٨/٥٥).

٣- صحيح: [الترغيب: ٢٢٠]، ك (١/٥٦٤).

٤- صحيح: [ص.ت.٣٤٢٦]، ت (٥/١٥٤/٣٤٨٦).

٥- صحيح: [ص.د.٤٤١]، د (١/١٣٢/٤٦٢).

٦- صحيح: [ص.ج.٦٢٥]، ج (١/٢٥٤ و ٢٥٣/٧٧١) ، ت (١/١٩٧/٣١٣).

«وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١) وفي هذه الرواية إشكالٌ تزحجه الرواية الثانية وهي: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْذُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ سَمَى أَمْسَى تَتَدَرَّى حِينَئِذٍ لِلنَّاسِ رُسُومٌ مِنْ أَمْسِ الْجَنَّةِ^(٢)

فمن أراد النجاة فليحافظ على طاعة الله، وليكثر من ذكر الله، حتى يأتيه الموت وهو كذلك، فإنَّ الإنسان إذا حضره الموت وعاین سكراته نطق بما كان مشغولاً به في حياته، فمن كان مشغولاً بذكر الله نطق به، ومن كان مشغولاً بذكر غير الله نطق به، كالنائم ينام وهو مشغول بشيءٍ فيتكلم به وهو نائم.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣)

والذين تشغلهم أموالهم وأهلؤهم وأولادهم عن ذكر الله إذا جاء أحدهم الموت لا يذكرون الله، وإنما يذكرون ما كانوا منشغلين به، روي أنه قيل لأحد المرابطين: «قل لا إله إلا الله، قال: عشرة بإحدى عشرة، وقيل لمن كثر ماله وأرضه: قل لا إله إلا الله، قال: ما فعل البستان الفلاني، وما فعلت الأرض الفلانية وقيل لرجلٍ تعلّق بامرأةٍ فأكثر من ذكرها: قل لا إله إلا الله، فجعل يذكر المرأة»^(٤).

قيا عباد الله! أكثروا من ذكر الله، وحافظوا على طاعة الله فإن الموت يأتي بغتة، «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا

١-م(٤/٢٠٤٢/٢٦٥١).

٢-م(٤/٢٠٤٢-١١٢-٢٦٥١).

٣-صحيح: [ص:د. ٢٦٧٣] د(٨/٣٨٥/٣١٠٠).

٤-الجواب الكافي(١١٦ و١١٧).

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴿ [لقمان] . والنبي ﷺ يقول: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١)، فمن مات يذكر الله بُعِثَ كذلك، ومن مات راکعاً أو ساجداً بُعِثَ على ذلك، ومن قُتِلَ شهيداً بُعِثَ يومَ القيامة ينزف دمه، اللون لونُ دمٍ، والريخ ريحُ مسك، ومن مات مُحَرِّماً بعمرةٍ أو حَجٍّ يُبْعَثُ يومَ القيامة مُلَبَّياً ، فاحرصوا على واحذروا المعاصي فإنه يُخْشَى على المتلبسِ بالمعصية أن يَأْتِيَهُ الموتُ وهو كذلك فيُبْعَثُ يومَ القيامة على هيئته . نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

الخاتمة

نسأل الله عز وجل حسنها

هذه هي منزلة المحبة، وهذه هي آثارها وشواهداها، وثمراتها وفوائدها، وهؤلاء هم أحباب الله الذين «أجابوا مُناديَ الشوق إذ نادى بهم: حيَّ على الفلاح. وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم. تالله لقد حمدوا عند الوصول سُرَاهم، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم، وإنما يحمد القوم السُّرى عند الصباح.

فحيلاً إن كنتَ ذا همٍّ فقد	حدا بك حادي الشوق فاطور المراحل
وقل لمنادي حُبِّهم ورضاهم	إذا ما دعا «لبيك» ألفاً كواملا
ولا تنتظر الأطلالَ من دونهم فإنْ	نظرتَ إلى الأطلالِ عُدْنَ حوائلا
ولا تنتظرُ بالسَّيرِ رُفْقَةَ قاعدٍ	ودَعَه فإنَّ الشَّوقَ يكفيك حاملا
وخذُ منهم زاداً إليهم وسِرُّ على	طريق الهدى والفقير تصبح واصلاً
وخذ قَبساً من نورهم ثم سِرْ به	فنورهم يهديك ليس المشاعلا
وخذ يُمنَةً عنها على المنهج الذي	عليه سرى وفدُ المحبَّة أهلا
وقل ساعدي يا نفسُ بالصبر ساعةً	فعند اللقاء الكدُّ يصبح زائلا
فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي	ويصبح ذا الأحزان فرحانَ جاذلاً» ^(١)

اقرأوا إن شئتم :

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٢٢) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ (٢٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
لُغُوبٌ (٢٥) ﴿[فاطر]

اللهم اجعلنا من أحبائك وأوليائك واحشرنا مع الصالحين من عبادك. آمين .

وكتبه

عبد العظيم بن بدر بن الخلفي

قائمة المراجع

- (١) القرآن الكريم ... طبعة الشمرلى .
- (٢) آداب الزفاف ... طبعة المكتبة الإسلامية سنة ١٤٠٩ هـ - الألبانى .
- (٣) الأم ... طبعة دار المعرفة سنة ١٩٧٣ م للشلفعى .
- (٤) الأدب النبوى ... محمد الخولى - دار القلم - بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .
- (٥) تفسير القرآن الكريم ... طبعة دار المعرفة سنة ١٩٨٣ م - ابن كثير
- (٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الرئاسة العامة السعودية ١٤٠٤ هـ .
- (٧) تهذيب مدارج السالكين ... لابن القيم - وزارة العدل والشئون الإسلامية - الإمارات .
- (٨) الجواب الكافى ... لابن القيم - دار الكتب العلمية.
- (٩) جامع البيان الطبرى - دار الفكر ١٤٠٥ هـ .
- (١٠) جامع الأصول ... لابن الأثير - دار الفكر طبعة ٢ سنة ١٤٠٣ هـ
- (١١) جامع العلوم والحكم ... لابن رجب دار الفكر .
- (١٢) الجامع لأحكام القرآن ... القرطبى دار الفكر .
- (١٣) الحرب والسلام في الإسلام في ضوء تفسير سورة محمد (ص) - رسالة ماجستير للمؤلف - مكتبة كلية أصول الدين .
- (١٤) الرياض النضرة ... عبد الرحمن السعدى - الرئاسة العامة - السعودية .
- (١٥) روح المعانى ... للألوسى .
- (١٦) زاد المعاد ... لابن القيم مؤسسة الرسالة - ط ١٣ - ١٤٠٦ هـ .
- (١٧) سنن ابن ماجه دار الفكر ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ .
- (١٨) سنن ابى داود (عون المعبود) دار الفكر - ط ٣ ١٣٩٩ هـ .
- (١٩) سنن البيهقى ... دار المعرفة .
- (٢٠) سنن الترمذى ... دار الفكر ط ٢ - ١٤٠٣ هـ .

- (٢١) سنن الدارقطني ... دار المحاسن للطباعة - القاهرة .
- (٢٢) سنن الدارمي ... حديث أكاديمي - باكستان ١٤٠٤ هـ .
- (٢٣) سنن النسائي ... دار الفكر .
- (٢٤) السلسلة الصحيحة ... الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٤ - ١٤٠٥ هـ
- (٢٥) شرح الطحاوية ... ابن أبي العز (تعليق الألباني) - المكتب الإسلامي - بيروت ط ٦ - ١٤٠٠ هـ .
- (٢٦) صحيح ابن خزيمة ... الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت ط ١ - ١٣٩٥ هـ .
- (٢٧) صحيح البخاري (فتح الباري) ... دار المعرفة بيروت ط ٥ - ١٤٠٥ هـ
- (٢٨) صحيح الجامع الصغير ... الألباني - المكتب الإسلامي - ط ٣ - ١٣٨٨ هـ
- (٢٩) صحيح الأدب المفرد ... الألباني - دار الصديق - ط ٢ - ١٤١٥ هـ
- (٣٠) صحيح سنن ابن ماجه ... الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج ط ٢ - ١٤٠٧ هـ .
- (٣١) صحيح سنن أبي داود ... الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج ط ٢ - ١٤٠٩ هـ .
- (٣٢) صحيح سنن الترمذي ... الألباني - مكتبة المعارف - الرياض ط ٢ - ١٤٢٠ هـ .
- (٣٣) صحيح سنن النسائي ... الألباني - مكتبة المعارف الرياض ط ٢ - ١٤١٩ هـ
- (٣٤) صحيح مسلم ... دار الفكر .
- (٣٥) صحيح مسلم بشرح النووي ... دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ٢ - ١٣٥٢ هـ .
- (٣٦) طريق الهجرتين لابن القيم ... المطبعة السلفية ط ٢ - ١٣٩٤ هـ .
- (٣٧) العقيدة الطحاوية (بتعليق الألباني) ... المكتب الإسلامي ط ١ - ١٣٩٨ هـ .
- (٣٨) في ظلال القرآن ... سيد قطب .
- (٣٩) الفلسفة ... د . عبد الحليم محمود .

- (٤٠) فقه السنة ... سيد سابق - دار الفكر ١٩٧٧ م .
- (٤١) كشف الأستار عن زوائد البزار ... الهيئى - مؤسسة الرسالة ط ٢ - ١٤٠٤ هـ .
- (٤٢) الكشوف الجلية ... عبد العزيز السلطان - الرئاسة العامة السعودية ١٤٠٢ هـ
- (٤٣) لسان العرب ... دار صابر - بيروت .
- (٤٤) مصنف ابن أبى شيبه ... طبعة الدار السلفية بالهند - ١٩٧٩ م .
- (٤٥) مجموع فتاوى ابن تيميه ... جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم الحرمين .
- (٤٦) محاسن التأويل ... القاسمى - دار الفكر ط ٢ - ١٣٩٨ هـ .
- (٤٧) مختصر تفسير المنار ... رشيد رضا - المكتب الإسلامى ط ٢ - ١٤٠٤ هـ
- (٤٨) مختصر منهاج القاصدين ... المقدسى - مكتبة دار البيان دمشق ١٣٩٨ هـ
- (٤٩) مستدرك الحاكم ... دار الكتب العلمية .
- (٥٠) مسند أحمد (الفتح الربانى) .. البنا - دار الشهاب بالقاهرة .
- (٥١) مصنف ابن أبى شيبه ... الدار السلفية - الهند - ١٩٩٩ هـ .
- (٥٢) مصنف عبد الرزاق ... المكتب الإسلامى ط ٢ - ١٤٠٣ هـ .
- (٥٣) معالم التنزيل ... البغوى - دار الفكر ١٤٠٥ هـ .
- (٥٤) المعجم الأوسط ... الطبرانى - دار الحديث القاهرة ط ١ - ١٤١٧ هـ
- (٥٥) المعجم الصغير ... الطبرانى - المكتب الإسلامى ط ٢ - ١٤٠٥ هـ
- (٥٦) المعجم الكبير ... الطبرانى - مكتبة ابن تيمية القاهرة .
- (٥٧) مفاتيح الغيب ... الرازى - دار الفكر ط ٣ - ١٤٠٥ هـ .
- (٥٨) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ... الهيئى - دار الكتب العلمية - بيروت .
- (٥٩) موارد الظمان لدروس الزمان ... عبد العزيز السلطان - شركة الراجحى ط ٢ - ١٤٠٣ هـ .
- (٦٠) نضرة النعيم - دار الوسيلة - جدة - ثغر ط ١ - ١٤١٨ هـ .

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

مقدمة المؤلف

- ٥ أحباب الله
- ٥ منزلة المحبة
- ٦ حُبُّ الله لعبده فضل، وحُبُّ العبد لربه نعمة
- محبة الله لعباده صفة من صفاته التي يجب إثباتها
- ٧ والإيمان بها دون تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تكيف
- ٩ آثار المحبة
- ٩ ثمرات المحبة
- ١٠ محبة الله تعالى فرض عين
- ١١ الأسباب التي تجلب محبة العبد لربه
- ١٣ علامات صدق المحبة
- ١٥ الصنف الأول : التوابون
- ١٥ ويستلونك عن المحيض قل هو أذى
- الفوائد والآداب التي يجب على المسلمين أن يتعلموها
- ١٥ من هذه الآية
- ١٦ من استحلّ إتيان الحائض كفر
- ١٦ من أتى حائضاً فعليه كفارة
- للرجل أن يستمتع من امرأته الحائض بكل شيء
- ١٧ سوى الوطء
- ١٧ الاعتزال مستمرٌ إلى أن تغتسل
- ١٧ تحريم الحديث بما يكون بين الزوجين
- ١٨ التَّوَاب هو كثير الرجوع إلى الله تعالى

رقم الصفحة

الموضوع

- الحث على المبادرة بالتوبة والتحذير من التسويف ١٩
- الترغيب في التوبة والتحذير من اليأس ٢٠
- شروط التوبة النصوح ٢١
- التوبة واجبة على المطيعين والعاصين سواء ٢٢
- الحث على تغيير البيئة بعد التوبة ٢٢
- فائدة تتعلق بتوحيد الأسماء والصفات ٢٣
- أسماء الله الحسنى على قسمين : ما يختص به
فلا يجوز تسمية غيره به، ومنها ما لا يختص به ٢٤
- الصنف الثاني: المتطهرون ٢٥
- فضل أهل قباء ٢٥
- المتطهرون هم الذين يتطهرون بالماء من الحدث والنجس ٢٥
- آداب الاستنجاء ٢٦
- الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة ٣٠
- شروط صحة الوضوء ٣٠
- صفة الوضوء ٣٠
- ما يقول إذا فرغ من وضوئه ٣١
- يستحب لمن توضأ أن يصلي ركعتين ٣٢
- صفة الغسل ٣٢
- جواز اغتسال الزوجين معاً ٣٢
- الصنف الثالث: المحسنون ٣٥
- المحسنون هم الذين أحسنوا فيما بينهم وبين الله
وأحسنوا فيما بينهم وبين عباد الله ٣٥
- إحسان العبد فيما بينه وبين الله معناه الإخلاص

رقم الصفحة

الموضوع

- ٣٦ في عبادة الله عز وجل
- ٣٧ حقيقة الإخلاص
- ٣٨ إذا عجز المحسن عن عملٍ فله أجره وثوابه
- ٤٠ للمحسنين الأجر والثواب على شهواتهم ولهوهم المباح
- ٤١ من الإحسان اتباع النبي ﷺ
- ٤١ الإخلاص والمتابعة شرطان لقبول الأعمال
- ٤٢ الأمر بالإحسان إلى عباد الله
- لا نجا للعبد إلا بالإحسان فيما بينه وبين الله
- ٤٣ وفيما بينه وبين الناس
- ٤٤ فضل الإحسان
- ٤٥ معية الله نوعان: عامة وخاصة
- ٤٧ الصنف الرابع: المتبعون
- ٤٧ فطر الله النفوسَ على حُبٍّ من أحسن إليها
- ٤٧ حُبُّ الله فرض عَيْنٌ
- ٤٨ حقيقة المحبة
- ٤٩ اتباع النبي ﷺ هو مفتاح كل خير
- ٥٢ اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم
- ٥٥ الصنف الخامس: الصابرون
- ٥٥ الصبر: لغة وشرعاً
- ٥٥ الصبر من صفات الله عز وجل
- ٥٦ الصبر من صفات النبيين والمرسلين والمؤمنين المتقين
- ٥٦ الصبر سبب خيري الدنيا والآخرة
- ٥٨ أنواع الصبر

رقم الصفحة

الموضوع

- ٥٨ الصبر على الطاعة
- ٦١ الصبر عن المعصية
- ٦٦ الصبر على الأقدار المؤلمة
- ٦٩ الصنف السادس: المتقون
- ٧٠ المتقون هم أصحاب العقيدة السليمة والعمل الصالح
- ٧١ بعث الله الرسل يدعوون الناس إلى تقوى الله
- أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره
- ٧٢ وقاية تقيه منه
- ٧٢ الخوف سبب التقوى، فمن خاف الله اتقاه
- ٧٣ كثيراً ما تُختم الأوامر والنواهي بالأمر بالتقوى
- ٧٦ درجات التقوى
- ٧٧ علّق الله تعالى خيري الدنيا والآخرة على التقوى
- ٧٩ الصنف السابع: المتوكلون
- ٧٩ حاجة الإنسان إلى وكيل
- ٨٠ وجوب التوكل على الله وحده
- ٨١ التوكل على الله عنوان الإيمان
- ٨١ فضل التوكل
- ٨٣ تفاوت متعلّق التوكل بين المتوكلين
- ٨٥ التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب
- ٨٧ الصنف الثامن: المقسطون
- ٨٧ الفرق بين المقسطين والقاسطين
- ٨٩ الفرق بين العدل والظلم
- ٩٠ أظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد

الموضوع	رقم الصفحة
أنواع من الظلم	٩١
العدل في الحكم	٩٣
العدل في القول	٩٥
العدل بين الأزواج	٩٦
العدل بين الأولاد	٩٦
العدل بين التلاميذ	٩٧
العدل في الميزان	٩٨
الصنف التاسع: المجاهدون في سبيل الله	٩٩
الإسلام هو دين السلام	٩٩
الترغيب في الجهاد	١٠٠
أهداف الجهاد في الإسلام	١٠٣
آداب الجهاد	١٠٣
الصنف العاشر: الذين يحبون قل هو الله أحد	١٠٥
لماذا سميت هذه السورة سورة الإخلاص ؟	١٠٥
فضلها	١٠٥
لماذا كانت هذه السورة تلى القرآن ؟	١٠٦
أقسام التوحيد	١٠٧
تفسير الصمد	١١٠
تفسير لم يلد ولم يولد	١١١
ليس كمثله شيء	١١٢
تفسير توحيد الربوبية	١١٣
تفسير توحيد الألوهية	١١٣
تفسير توحيد الأسماء والصفات	١١٤

رقم الصفحة

الموضوع

- ١١٧ الصنف الحادي عشر: الذين لا يحلفون إلا بالله
- ١١٧ تعريف الأيمان
- ١١٧ بم تتعقد اليمين ؟
- ١١٨ الحلف بالله عبادة يُحب الله أهلها
- ١١٨ التحذير من الحلف بغير الله
- ١١٩ الرد على شبهات الذين يحلفون بغير الله
- ١١٩ أقسام الأيمان:
- ١١٩ اليمين اللغو
- ١٢٠ اليمين الغموس
- ١٢١ اليمين المنعقدة
- ١٢٢ كفارة اليمين
- ١٢٢ الحلف بالطلاق والحرام
- ١٢٣ كفارة الظهر
- ١٢٥ الصنف الثاني عشر: المؤمن القوي
- ١٢٥ حقيقة الإيمان
- ١٢٦ لماذا كان المؤمن القوي أحب إلى الله؟
- ١٢٧ لماذا فسرنا القوة هنا بقوة الإيمان ؟
- ١٢٨ الحث على اغتنام الصحة والوقت
- ١٢٨ الحث على الإنصاف في المفاضلة
- ١٢٩ احرص على ما ينفعك
- ١٣٠ إذا تعارض عمل الدنيا وعمل الآخرة فقدم عمل الآخرة
- ١٣١ استعن بالله
- ١٣٢ ارض بما قسم الله

رقم الصفحة

الموضوع

- لا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ١٣٣
- الصنف الثالث عشر: أهل السنن وأصحاب النوافل ١٣٥
- ما هي النوافل ؟ ١٣٥
- فضلها ١٣٦
- نوافل الصلاة ١٣٦
- نوافل الصيام ١٤٠
- صدقة التطوع ١٤٢
- التطوع بالحج والعمرة ١٤٣
- يكره للقادر أن يتأخر عن حج التطوع أكثر من خمس سنين ١٤٣
- الصنف الرابع عشر: الزاهدون ١٤٥
- تعريف الزهد ١٤٥
- لم يصل الصحابة إلى ما وصلوا إليه من الزهد في الدنيا
- إلا بعد طول مجاهدة الرسول ﷺ لهم وتربيته لهم بالوحي ١٤٦
- نماذج من آثار هذه التربية ١٤٦
- حاجة الناس إلى مجالس العلم ومصاحبة العلماء ١٤٩
- التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة من الكتاب والسنة ١٥٠
- الحرص على محبة الناس علامة العقل ١٥٤
- أسباب محبة الناس ١٥٤
- الصنف الخامس عشر: أنفع الناس للناس ١٥٧
- أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ١٥٨
- أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم ١٥٩
- أحب الأعمال إلى الله أن يكشف عن مسلم كربة ١٥٩
- أحب الأعمال إلى الله أن تقضي عن مسلم ديناً ١٦١

الموضوع	رقم الصفحة
أحب الأعمال إلى الله أن تطرد عن مسلم جوعاً	١٦٢
أحب الأعمال إلى الله المشي في حوائج المسلمين	١٦٥
أحب الأعمال إلى الله كظم الغيظ	١٦٨
التحذير من سوء الخلق	١٧٠
الغاية من الأعمال الصالحة تتميم مكارم الأخلاق	١٧١
الصنف السادس عشر: أهل الرفق	١٧٣
الله لطيف بعباده	١٧٣
صفات الله نوعان: ما لا يمكن الاتصاف به	
وما يمكن الاتصاف به	١٧٤
ترغيب النبي ﷺ في الرفق	١٧٤
أولى الأشياء برفق الإنسان نفسه	١٧٥
الرفق بالزوجة والأولاد	١٨٠
رفق الراعي بالرعية	١٨٠
رفق العالم بالمتعلم	١٨١
رفق الداعي بالمدعوين	١٨٢
الصنف السابع عشر: البررة بآبائهم	١٨٥
نشأة الإنسان	١٨٥
فُطر الإنسان على حُبِّ النساء والبنين	١٨٦
شقاء الآباء من أجل سعادة الأبناء	١٨٦
شكوى والد من ولده	١٨٦
وصايا الله ورسوله بالوالدين	١٨٧
فضل بر الوالدين	١٨٨
كيف يكون البرّ ؟	١٩٠

رقم الصفحة

الموضوع

- ١٩٠ لا يجزي ولد والدا
- ١٩١ حياة الوالدين فرصة ذهبية
- ١٩١ برّ الوالدين بعد الموت
- ١٩٢ العقوق من أكبر الكبائر
- ١٩٣ للعقوق عقوبة معجلة في الدنيا
- ١٩٤ العقوق يحبط الأعمال
- ١٩٤ صور من العقوق
- ١٩٧ الصنف الثامن عشر: المتحابون في الله
- ١٩٧ المحبة بين المسلمين فرض
- ١٩٨ شرائع الإسلام كلها تدعو إلى المحبة
- ٢٠٢ فضل الحب في الله
- ٢٠٥ لوازم المحبة
- ٢٠٩ الصنف التاسع عشر: الذين يحبون أصحاب رسول الله ﷺ
- ٢٠٩ من هم الأنصار؟ ولماذا سُموا بذلك؟
- ٢١٠ موقف قريش من الدعوة
- ٢١١ محاولة الرسول ﷺ الانتقال بالدعوة إلى أرض جديدة
- ٢١٢ بيعة العقبة
- ٢١٢ هجرة المسلمين إلى المدينة ولحاق الرسول ﷺ بهم
- ٢١٣ كيف استقبل أهل المدينة المهاجرين؟
- ٢١٤ ثناء الله على أهل المدينة لحسن استقبالهم إخوانهم
- ٢١٥ الإيثار خلق من أخلاق الأنصار
- ٢١٧ حب الأنصار علامة الإيمان
- ٢١٨ وصية الرسول ﷺ بالأنصار في مرض موته

- الموضوع
- رقم الصفحة
- أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أنصار وإن اختص الاسم بأهل المدينة ----- ٢١٨
- الصف العشرون: أهل الجود والكرم ----- ٢٢١
- ما هو الجود؟ وما هو الكرم؟ ----- ٢٢١
- تفسير اسم الله « الكريم » ----- ٢٢١
- الجود والكرم صفتان لله عز وجل ----- ٢٢٢
- صفات الله ضربان ----- ٢٢٢
- الأمر بالجود والكرم والنهي عن البخل والشح ----- ٢٢٢
- الترغيب في الجود والكرم ----- ٢٢٣
- كان الرسول ﷺ أجود الناس ----- ٢٢٤
- النهي عن البخل والتحذير منه ----- ٢٢٧
- البخل من صفات الكافرين والمنافقين ----- ٢٢٧
- وعيد البخلاء ----- ٢٢٨
- من شؤم البخل زوال النعمة ----- ٢٢٩
- الصف الحادي والعشرون: أهل الحياء والستر ----- ٢٣١
- الحياء صفة من صفات الله عز وجل، والملائكة المقربين،
والنبيين والمرسلين، وعباد الله الصالحين ----- ٢٣١
- تفسير الحياء الذي هو صفة لله عز وجل ----- ٢٣٣
- تفسير حياء الإنسان ----- ٢٣٣
- الله تعالى ستر يحب الستيرين ----- ٢٣٧
- تحذير الرسول ﷺ من تتبع العورات ----- ٢٣٨
- الصف الثاني والعشرون: أهل الحلم والأناة ----- ٢٤١
- الحلم صفة من صفات الله عز وجل وهو أيضاً
من صفات الأنبياء والمرسلين ----- ٢٤١

رقم الصفحة

الموضوع

- ٢٤٢ تفسير حلم الله على عباده
- ٢٤٣ تفسير حلم الإنسان
- ٢٤٣ صور من حلم النبي ﷺ
- ٢٤٤ ترغيب النبي ﷺ في الحلم
- ٢٤٥ صور من حلم الصحابة
- ٢٤٦ الأخلاق قسمان: سجية ومكتسبة
- ٢٤٦ إنما الحلم بالتحلم
- ٢٤٧ من حكايات الصالحين في الإعراض عن الجاهلين
- ٢٤٨ الأناة من الصفات التي يحبها الله عز وجل
- ٢٤٨ أمر الله ورسوله بالتأني ونهى الله ورسوله عن العجلة
- ٢٤٩ التأني من الله والعجلة من الشيطان
- ٢٥٣ الصنف الثالث والعشرون: أهل الصدق والأمانة
- ٢٥٣ فضل أهل البحرين
- ٢٥٥ تبرك الصحابة بالنبي ﷺ وآثاره
- ٢٥٥ بركة آثاره ﷺ لا تتفع إلا المؤمنين
- لا سبيل لنا اليوم للحصول على بركته ﷺ إلا أن
- ٢٥٦ نتبرك بحبه وطاعته والتمسك بسنته
- ٢٥٦ التحذير من التبرك بالصالحين والأحجار والأشجار
- ٢٥٧ من موجبات محبة الله:
- ٢٥٧ صدق الحديث
- ٢٥٩ أداء الأمانة
- ٢٦٠ حسن الجوار
- ٢٦٣ الصنف الرابع والعشرون: المتواضعون

- الموضوع رقم الصفحة
- من هو المتكبر؟ ٢٦٣
- النهي عن التكبر والأمر بالتواضع ٢٦٣
- ما هو التواضع؟ ٢٦٤
- تواضع النبي ﷺ ٢٦٥
- ما هو الكبر؟ ٢٦٧
- أنواع الكبر ٢٦٨
- الكبر على الله ورسوله ٢٦٨
- الكبر على عباد الله ٢٧٠
- كيف الخلاص من الكبر؟ ٢٧١
- الصنف الخامس والعشرون: المتجملون والمتزينون ٢٧٣
- تفسير "إن الله جميل" ٢٧٣
- جَمَلَ الله خَلْقَهُ وَزَيْنَهُ وَأَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَتَجَمَّلُوا وَيَتَزِينُوا ٢٧٤
- كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَجَمَّلُ وَيَتَزِينُ وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّجَمُّلِ وَالتَّزِينِ ٢٧٥
- خَذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ٢٧٦
- لَا فَرْقَ فِي الْأَمْرِ بِالتَّجَمُّلِ وَالتَّزِينِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ٢٧٧
- مَا هِيَ الزَّيْنَةُ الْمَحْرَمَةُ عَلَى الرِّجَالِ؟ ٢٧٨
- مَا هِيَ الزَّيْنَةُ الْمَحْرَمَةُ عَلَى النِّسَاءِ؟ ٢٨١
- وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا..... ٢٨٣
- الصنف السادس والعشرون: البكاعون من خشية الله ٢٨٥
- لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْعِزَّةِ وَالْكِبَرِيَاءِ مَا يُوجِبُ خَوْفَ الْعِبَادِ مِنْهُ
- وَإِنْ لَمْ يَعْصُوهُ ٢٨٥
- حَثَّ الْعَصَاةَ عَلَى التَّوْبَةِ وَالبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ٢٨٦
- الْحَثَّ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٢٨٩

رقم الصفحة

الموضوع

- ٢٩٠ فضل دماء المجروحين في سبيل الله
- ٢٩١ فضل الشهداء
- ٢٩٢ تفسير ﴿إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم﴾
- ٢٩٧ الصنف السابع والعشرون: الناطقون بذكر الله الساكتون عما سواه
- ٢٩٧ خطر اللسان
- ٢٩٨ تفسير ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾
- ٢٩٩ الأمر بصيانة اللسان
- ٣٠١ تسبيح الله وظيفه الكائنات كلها
- ٣٠١ أمر الله رسوله والمؤمنين بتسبيحه
- ٣٠٢ الحمد لله كلمة أحبها الله
- ٣٠٢ ما هو الحمد ؟
- ٣٠٣ لا إله إلا الله كلمة التوحيد
- ٣٠٣ فضل التوحيد
- ٣٠٥ الحث على الإكثار من قول لا إله إلا الله
- الترغيب في الإكثار من قول سبحان الله، والحمد لله،
- ٣٠٦ ولا إله إلا الله، والله أكبر
- ٣٠٩ معنى الله أكبر
- ٣١١ الصنف الثامن والعشرون: المؤمنون
- ٣١١ تفسير ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾
- ٣١٢ تفسير ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم....﴾
- ٣١٢ دعوة الرسل إلى الوفاء بذلك الميثاق
- ٣١٣ إن الدين عند الله الإسلام
- ٣١٣ تفسير الإسلام والإيمان

الموضوع	رقم الصفحة
فضل الإيمان	٣١٥
الإيمان يزيد وينقص	٣١٧
أعمال القلوب	٣١٨
أهمية القلب وخطورته	٣١٨
توسل المؤمنين إلى ربهم بإيمانهم	٣١٩
الصف التاسع والعشرون: الواصلون أرحامهم	٣٢١
ما هي الأرحام ؟	٣٢١
الحث على صلة الأرحام والتحذير من قطعها	٣٢٢
فضل صلة الرحم	٣٢٤
كيف تكون الصلة؟	٣٢٦
هل يستطيع الإنسان أن يعرف أنه واصل؟ أم قاطع؟	٣٢٩
الصف الثلاثون: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر	٣٣١
ما هو المعروف؟ وما هو المنكر؟	٣٣١
منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين	٣٣١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة النبي ﷺ وأتباعه	٣٣٢
حكم الدعوة إلى الله؟	٣٣٢
التحذير من التواجد في أماكن المنكر	٣٣٤
واجب المسلم نحو بيته وأهله	٣٣٦
ضرورة مساندة الأمراء للعلماء	٣٣٧
فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٣٩
الفوائد المأخوذة من قوله تعالى ﴿عليكم أنفسكم....﴾	٣٤٠
ما لا بدّ منه للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر	٣٤١
الصف الحادي والثلاثون: الذين يقبلون رخص الله	٣٤٣

رقم الصفحة

الموضوع

- ٣٤٣ سماحة الدين
- ٣٤٤ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
- ٣٤٥ إن الله يحب أن تؤتى رخصه
- ٣٤٦ تعريف الرخصة
- ٣٤٦ الرخص في العقائد
- ٣٤٦ الرخص في الصلاة
- ٣٥٣ الرخص في الصيام
- ٣٥٥ الرخص في المعاملات
- ٣٥٥ التحذير من تتبع زلات العلماء
- ٣٥٦ كيف الخروج من خلاف العلماء ؟
- ٣٥٧ الصنف الثاني والثلاثون: العافون عن الناس
- ٣٥٧ فضل ليلة القدر
- ٣٥٨ الحث على تحرّرها والاجتهاد فيها
- ٣٥٩ علاماتها
- ٣٦٠ العفو: لغة واصطلاحاً
- ٣٦١ الله تعالى هو العفو
- أمر الله نبيه ﷺ بالعفو عن زلات المؤمنين،
- ٣٦١ وأمر المؤمنين أن يعفو بعضهم عن بعض
- ٣٦٢ أمثلة من عفو النبي ﷺ
- ٣٦٣ أمثلة من عفو الصحابة
- ٣٦٦ أسباب عفو الله عز وجل عن عباده
- ٣٦٧ الصنف الثالث والثلاثون: الذين هم على صلاتهم دائمون
- ٣٦٧ الحث على اتباع السنة

الموضوع	رقم الصفحة
الحث على القصد وترك الغلو	٣٦٨
الحث على القصد في طلب الرزق	٣٧٠
الحث على القصد في العبادة	٣٧١
تفسير "لن يُدخل أحدكم عمله الجنة"	٣٧٣
القليل الدائم خير من الكثير المنقطع	٣٧٤
الحث على المداومة على فعل الخير بعد رمضان	٣٧٥
الصنف الرابع والثلاثون: أحسن الناس خلقاً	٣٨١
منزلة الخلق في الإسلام	٣٨١
تعريف حسن الخلق	٣٨١
الأخلاق قسمان: جبيلية ومكتسبة	٣٨٢
إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٣٨٢
صلاح الأخلاق عنوان صلاح العبادات	٣٨٤
﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾	٣٨٤
ترغيب النبي ﷺ في حسن الخلق	٣٨٤
من الآيات الجامعة لمكارم الأخلاق	٣٨٦
من الأحاديث الجامعة لمكارم الأخلاق	٣٨٧
علامات حسن الخلق	٣٨٨
من أحق الناس بحسن خلق الرجل؟	٣٨٩
الصنف الخامس والثلاثون: أهل السماحة	٣٩٣
السماحة: لغةً واصطلاحاً	٣٩٣
الإسلام دين اليسر والسماحة	٣٩٣
السماحة في البيع والشراء والاقتضاء	٣٩٥
السماحة في القضاء	٣٩٦

رقم الصفحة

الموضوع

- ٣٩٨ كان الرسول ﷺ المثل الأعلى في السماحة
- ٣٩٩ مظاهر السماحة
- ٤٠٠ الوسائل الناجحة لاكتساب السماحة
- ٤٠١ الصنف السادس والثلاثون: الصادقون
- ٤٠١ الصدق في الحديث من صفات الله
- ٤٠١ الصدق في الحديث من صفات الملائكة المقربين
- ٤٠٢ الصدق في الحديث من صفات النبيين والمرسلين
- ٤٠٢ أمر الله بالصدق ونهى عن الكذب
- ٤٠٣ أعظم حديث يجب الصدق فيه حديث الرجل عن حاله مع الله ورسوله
- ٤٠٥ فضل الصدق
- ٤٠٦ التحذير من الكذب
- ٤٠٧ أعظم الكذب إثماً: الكذب على الله ورسوله
- ٤٠٨ الكذب لتضييع حقوق الناس
- ٤٠٨ الكذب للضحك
- ٤٠٨ من الكذب قول الإنسان أنا شعبان وهو جوعان
- ٤٠٩ من الكذب قول الرجل لأخيه تفضل وهو لا يريد
- ٤٠٩ من الكذب قول المرأة لابنها تعال أعطيك وهي لا تريد أن تعطيه
- ٤٠٩ من الكذب كذب التجار في الأسواق
- ٤١٠ من الكذب الكذب في الشهادة
- ٤١١ الصنف السابع والثلاثون: المصلحون بين الناس
- ٤١١ الحث على الصدقة
- ٤١٢ اسم الصدقة لا ينحصر في صدقة المال
- ٤١٣ من الصدقة التي يحبها الله الإصلاح بين الناس

رقم الصفحة

الموضوع

- ٤١٣ لا تتبعوا خطوات الشيطان
- ٤١٥ الدعوة إلى إصلاح ذات البين
- ٤١٦ كان رسول الله ﷺ يصلح بنفسه بين المتخاصمين
- ٤١٧ وكان يرغب أصحابه في إصلاح ذات بينهم
- أمر الإسلام بكل ما يشيع المحبة والمودة ونهى عن
- ٤١٧ كل ما يوقع العداوة والبغضاء
- ٤١٩ التحذير من الهجر والقطيعة
- ٤٢١ الصنف الثامن والثلاثون: المتعبدون في عشر ذي الحجة
- ٤٢١ تفسير ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾
- ٤٢٢ فضل عشر ذي الحجة
- ٤٢٢ الحث على الاجتهاد في العبادة في عشر ذي الحجة
- ٤٢٣ الحث على المحافظة على الصلاة
- ٤٢٥ الحث على المحافظة على السنن الراتبة
- ٤٢٦ الحث على ذكر الله كثيراً
- ٤٢٨ أفضل الذكر قراءة القرآن
- ٤٢٩ من الأذكار المستحبة الصلاة على النبي ﷺ
- ٤٢٩ الحث على الصدقة والصيام
- ٤٣٠ صلاة العيد والنحر
- ٤٣١ أحكام الأضحية
- ٤٣٢ الإكثار من ذكر الله أيام التشريق
- ٤٣٥ الصنف التاسع والثلاثون: العالمون
- ٤٣٥ منزلة العلم في الإسلام
- ٤٣٦ طلب العلم فريضة على كل مسلم

الموضوع	رقم الصفحة
الحث على التعلم والتعليم	٤٣٦
طلب العلم أحب إلى الله تعالى من نوافل العبادة	٤٤١
الحث على المحافظة على مجالس العلم	٤٤٢
الصنف الأربعون: الذين يموتون وهم يذكرون الله	٤٤٥
الحث على الذكر والتحذير من الغفلة	٤٤٥
فضل الذكر	٤٤٧
كيف يكون المسلم من الذاكرين الله كثيرا ؟	٤٥١
﴿لا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾	٤٥٣
الأعمال بالخواتيم	٤٥٣
الخاتمة	٤٥٥
قائمة المراجع	٤٥٧
شرح الرموز المستخدمة في التخريج	٤٦٣
الفهرس	٤٦٥

شرح الرموز المستخدمة في التخریج والتحقیق

الرمز	الشرح	الرمز	الشرح
بز	البزاز	ص.خد	صحيح الأدب المفرد
ت	ترمذی	ص.د	صحيح أبی داود
جه	ابن ماجه	ص.نس	صحيح النسائی
حب	ابن حبان	طب	الطبرانی في الكبير
حم	مسند أحمد (الفتح الربانی)	طس	الطبرانی في الأوسط
خ	البخاری	طص	الطبرانی في الصغير
خز	صحيح ابن خزيمة	قط	الدارقطني
د	أبو داود (عون المعبود)	كم	الحاكم
س.ص	السلسلة الصحيحة	م	مسلم
ش	مصنف ابن أبی شيبة	می	الدارمی
ص.ت	صحيح الترمذی	نس	النسائی
ص.جه	صحيح ابن ماجه	هق	البيهقي